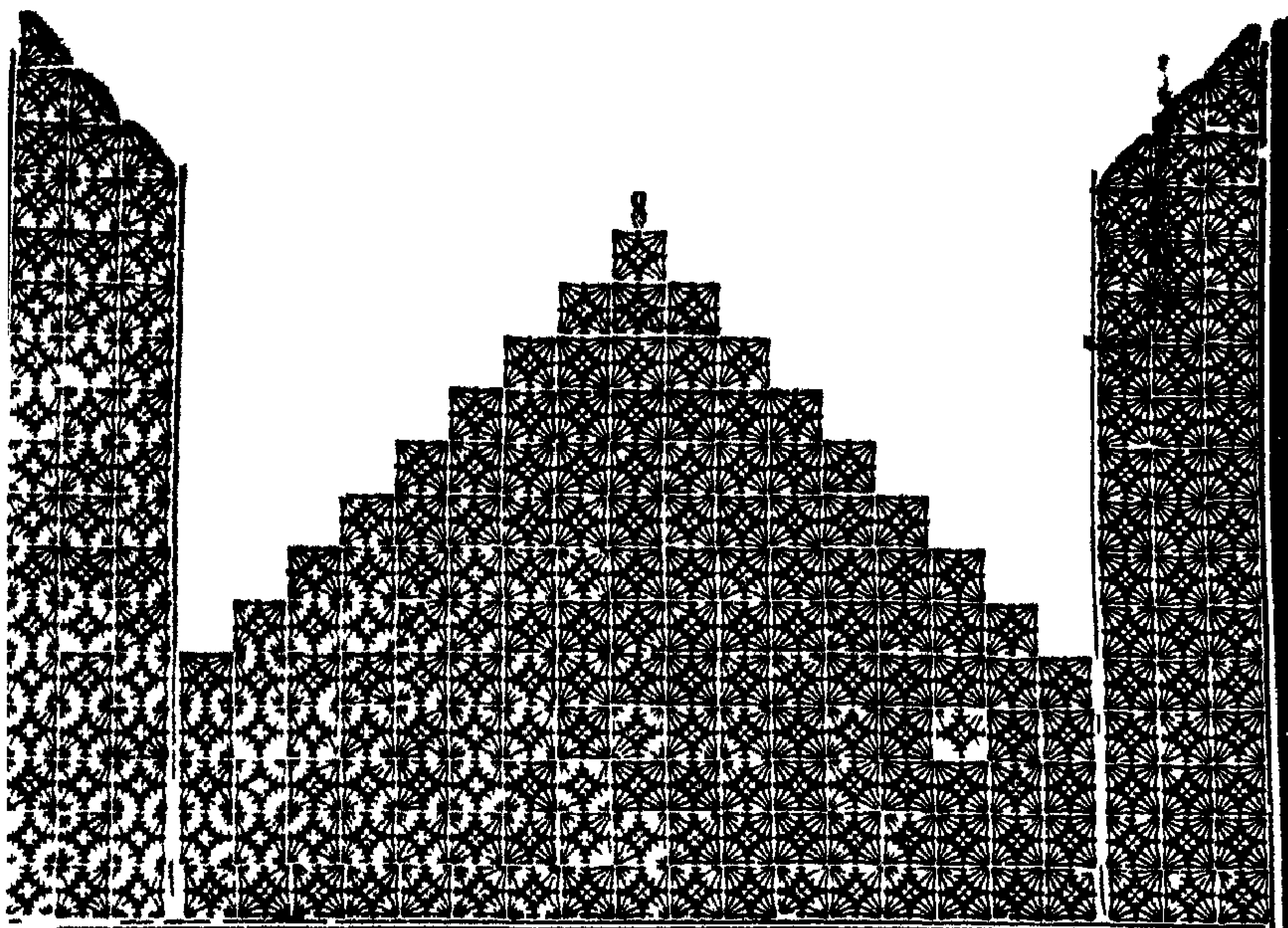
الجزء الاول من شرح العالم العلامة والبحر الفهامة وحيد دهره وفريد عصره محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفزى الرندى على متن الحكم للامام المحقق أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى تغمدهما الله بالرحمة والرضوان وأسكنهما أعلى الجنان

م

﴿ولاجل تمام النفع وضع على هامش هذا الشرح شرح المحقق شيخ الاسلام﴾
﴿الشيخ عبد الله الشرقاوى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته امين﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير الى الله تعالى المعتمد فى غفران ذنوبه على الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله ابن ابراهيم بن عباد النفزى الرندى لطف الله به الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال المقدس عن سمات الحدوث من التغير والانتقال والاتصال والانفصال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى من الضلال وعلى آله وأصحابه الذين خلصت لهم الاعمال وصفت منهم الاحوال وعلى جميع من اتبعهم فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال (أما بعد) فانا لما رأينا كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام المحقق العارف المكاشف الولى الربانى أبى الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ونفعنا به من أفضل ما صنف فى علم التوحيد وأجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فائقة قصد فيها الى ايضاح طريق العارفين والموحدين وابانة مناهج السالكين والمتجردين أخذنا فى وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب وما تضمنه من لباب اللباب لان كلام الاولياء والعلماء بالله منطو على أسرار مصونة وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقائقها الا بالتلقى عنهم ونحن فى هذه الكلمات التى نوردها والمناحى التى نعتمدها غير مدعين لشرح كلام المؤلف ولا ان ما نذكره فيه هو حقيقة مذاهبهم حسبما يفعله كل مصنف فانا ان ادعينا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) فيقول المرتجى غفر المساوى عبد الله بن حجازى الخلوتى المشهور بالشرقاوى هذه تقييدات لطيفة على حكم العارف بالله سيدى أحمد بن عطاء الله قدس سره وقصده بها فى الغالب خطاب المريدين الصادقين وترقيهم الى مقام العرفان فينبغى لنا أن نقتصر على بيان مقصوده بحسب الامكان * قال رضى الله عنه

ذلك كان منا اساءة آدب توّل بنا والعياذ بالله الى العطب وكنا قد تعرضنا للخطر والضرر في تعاطي مالا يليق بنا من شرح كلام السادة من أهل الله تعالى من غير خوف ولا حذر واغا نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه من مذاهبهم فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من النعم التى لا نحصى لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك ولم نهتد الى تلك المسالك أحلناه على نقصنا وجهلنا واتقى عنا التعزير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر فى ذلك علينا وكانوا هم مبرئين مما قلناه ونوينا فلا جرم اذ كان هذا مقصدنا الوجود السلامة التى جعلناها معتمدنا ينبغى لنا ان نقدم أولا كلام المؤلف رحمه الله تعالى مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر والدعوى ونأتى فيه بعبارة أبسط من عبارته واشارة أجلى من اشارته ليفهم بذلك ما عندنا فى تفسير ما ذكره لا أنه تفسيره حقيقة مقررة ونذكر فى أثناء ذلك كثيرا مما ناسب عندى من الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفائدة فى الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا فى كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان رأينا التنبيه عليه كالغرض وأحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع أن يتبع فيه مارسمناه ويكتب نص كلام المؤلف بصبغ يخالف لونه لون ما يكتب به سواه أو يكتبهما بقلمين مختلفين فى الغلظ والرقة ويوفى من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك أقرب الى حصول المرام فى استخراج فائدة ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذى حملنى على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التى لا تغلب وتقديره الذى ليس للعبد منه منجى ولا مهرب ثم الرأى الذى رأيناه من المطالب والمقاصد المعظمة ونبهنا عليه فى صدر هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب فى ذلك على وترداد هم بالمسئلة الى لكونهم على اعتقاد صحيح فى هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة فأسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شاء الله تعالى وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله واياهم بما يجرى منه على يدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطيناه من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ به من الوقوع فى حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يقف بنا على جادة الاستقامة ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة أو ندامة ونرجو مع هذا اذ من علينا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق بأذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم ورزقنا شيأ من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم أن لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنف ولايتهم ولا يطاردنا عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم

لى سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه

ان لم أكن منهم فلى * فى حبهم عز وجاه

(من علامة الاعتماد على العمل) أى عمل الجوارح من صلوات وأوراد وأذكار وغيرها والمعتمد على ذلك العباد والمريدون فالاولون يعتمدون عليها فى دخول الجنة والتنعم فيها والنجاة من عذاب الله تعالى والآخرون يعتمدون عليها فى الوصول الى الله تعالى وكشف الاستار عن القلوب وحصول الاحوال القائمة بها والمكاشفات والاسرار وكلاهما مذموم وناشئ من رؤية النفس ونسبة الاعمال اليها حتى ينتج ماذكر * أما العارفون فلا يرون لانفسهم شيأ حتى يعتمدوا عليه بل يشاهدون أن الفاعل الحقيق هو الله تعالى وأنهم محل لظهور ذلك فقط * وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى علامة يعرف بها العبد نفسه فمن علامة كونه من القسمين الاولين (نقصان الرجاء) أى رجائه فى الله تعالى أن يدخله الجنة وينجيه من العذاب ان كان من العباد وأن يوصله الى مطلوبه المتقدم ان كان من المريدين (عند وجود الزلل) بأن تصدر منه معصية كزنا وغفلة عن الله تعالى وترك أوراد ومن علامة كونه من العارفين فناؤه عن نفسه فاذا وقع فى زلة أو أصابه غفلة شهد تصريف الحق فيه وجريان قضائه عليه كما أنه اذا صدر منه طاعة أو لاح له مشاهدة قلبية لم يرفى ذلك حوله وقوته فلا فرق عنده بين الحالين لانه غارق فى بحار التوحيد قد استوى خوفه ورجاؤه فلا ينقص العصيان خوفه ولا يزيد الاحسان رجاءه فمن لم يجد هذه العلامة فيه فليجاهد نفسه بالرياضات والاذكار حتى يصل الى مقام العرفان ومراد المصنف

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم أحبوك ولم يحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فبك الا بعطائك منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم عليهم تسليما كثيرا * وهذا حين أبتدئ وبالله التوفيق ومنه الهداية الى سواء الطريق * قال المؤلف قدس الله سره (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) أقول الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم وأعمالهم وأحوالهم اما العارفون الموحدون فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن أنفسهم فاذا وقعوا فى زلة أو أصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما أنهم اذا صدرت عنهم طاعة أو لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا فى ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم ذكر ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من أنواره ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقى فى بحار التوحيد قد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد فى رجائهم ما يأتون به من الاحسان * قال شارح المجالس العارفون قائمون بالله قد تولى الله أمرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا أنفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم زلة فالدية على القاتل لم يشاهدوا غيره فى الشدة والرخاء قيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبته ورجاؤهم الانس به اهـ وأما غيرهم فبقوا مع نفوسهم فى نسبة الاعمال والافعال اليها وطلبوا الحظ لها وعليها فاعتمدوا على أعمالهم وسكنوا الى أحوالهم فاذا وقعوا فى زلة نقص بذلك رجاؤهم كما أنهم اذا عملوا طاعة جعلوها من أعظم عددهم وأقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة فى نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد طوره فيدعى مقامات الخاصة من المقربين وانما هو من عامة أصحاب اليمين وسيأتى اشارات الى هذا المعنى فى موضع من كلام المؤلف قدس الله سره * وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى والحافظ أبو نعيم الاصفهانى عن يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنهم قال عارضنى بعض الناس فى كلام وقال لى لا تستدرك مرادك من علمك الا أن تتوب فقلت مجيبا لو أن التوبة تطرف بابى ما أذنت لها على أنى أنجو بها من ربى ولو أن الصدق والاخلاص كانا عبدين لى لبعتهما زهدا منى فيهما لانى ان كنت عند الله فى علم الغيب

بهذه الحكمة تنشيط السالك ورفع همته عن الاعتماد على شئ سوى مولاه لا التزهيد فى الاعمال لانها سبب عادى فى الوصول الى الله تعالى ولا تحقير ما تنتجه من الاحوال وغيرها لان ذلك منة من الله تعالى لا ينبغى رده

(ارادتك التجريد) أى ميل نفسك أيها المريد الصادق الى التجريد عن الاسباب الظاهرية أى خروجك عنها وعدم معاناتها (مع اقامة الله اياك فى الاسباب) وعلامة ذلك أن يهيئها لك وان تجد ٥ السلامة فى دينك عند معاناتها وينقطع بها طمعك عما بأيدى الناس ولا يشغلك عما أنت فيه من وظائف العبادات الظاهرة والاحوال الباطنة (من الشهوة) أى من شهوات النفوس التى تدعو اليها (الخفية) وكانت شهوة لعدم وقوفك على مراد سيدك وموافقتك مراد نفسك وخفية لان ظاهر ذلك أن مرادك بالتجرد الانقطاع الى الله تعالى والتقرب اليه وباطنه ان مرادك الشهوة بالولاية لتقصدك الناس بالاعتقاد والتقرب لك فتنقطع عما أنت بصدده فقد قال العارفون اقبال الناس على المريد قبل كماله سم قاتل وربما انقطعت بذلك عن وظائفك وأورادك وصرت تتطلع لما بأيدى الناس (وارادتك الاسباب) أى التسبب والاكتساب (مع اقامة الله اياك فى التجريد) أى بأن يسر لك القوت من حيث لا تحتسب وجعل نفسك مطمئنة عند تعذره متعلقة بمولاها ودمت على الاشتغال بوظائف العبادات (انحطاط عن الهمة العلية) لارادتك الرجوع الى الخلق بعد التعلق بالحق ولو لم يكن الا المخالطة أبناء الدنيا فيما هم فيه لكان كافيا فى دناءة الهمة فالواجب على السالك أن يمكث فيما أقامه الحق فيه ويرضى به حتى يتولى الله اخراجه منه ولا يخرج بنفسه وارادته وتسويل الشيطان فيقع فى بحر القطيعة والعياذ بالله تعالى

الغيب سعيدا مقبولا لم انخلف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لا لم تسعدنى توبتى واخلاصى وصدقى وان الله سلقى انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لى اليه وهدانى لدينه الذى ارتضاه لنفسه فقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين فاعتمادى على فضله وكرمه أولى بى ان كنت حرا عاقلا من اعتمادى على أفعالى المدخولة وصفاتى المعلولة لان مقابلة فضله وكرمه بأفعال الناس من قلة معرفتنا بالكريم المتفضل * قلت وهذه الحكاية وأمثالها عما تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده أو يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مؤدية بصاحبها الى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر فى هذه الطريقة أن ينكر ما ذكرناه فيقع فى الاعتراض على السادة والاولياء وفى ذلك بعد من الله تعالى أو يدعيه مقاما لنفسه من غير أن يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذى نبهنا عليه ومحال وجود ذلك عمن لم يصح مقام الفناء عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من الزندقة والعياذ بالله سبحانه وتعالى

﴿(ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية) الاسباب ههنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما من الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الحق تعالى فى الاسباب وأراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هى أعلى بزعمه لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به فى الوقت وعلامة اقامته اياه فى الاسباب أن يدوم له ذلك وأن تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بأن يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة فى دينه وقطعا للطمع عن غيره وحسن نيته فى صلة رحم أو اعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الحق تعالى فى التجريد وأراد الخروج منه الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسوء أدبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لان التجريد مقام رفيع أقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا أقامه الحق تعالى فى مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل أهل الانتقاص * قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد فى الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه فى التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهى قوة ارادة وغلبة انبعاث

الى نيل مقصودها وتكون عالية ان تعلقت بمعالى الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر وأجاد

وقائلة لم علتك الهموم * وأمرك ممتثل فى الامم
فقلت ذريني على حالتى * فان الهموم بقدر الهمم

وقال الآخر

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وما ذكرته من معانى الاقامة فى نوعى الاسباب والتجريد هو شئ فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك فى الشئ ادامته اياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم وقد ذكر فى التنوير هذه المسئلة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال باثره وافهم رحمك الله أن من شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك أنه يأتى للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار قائلا وكذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه فى الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بأمر الرزق فيرمى فى بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك فى صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتى المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا أن ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما فى أيدى الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت فى الاسباب بقى غيرك منتظرا ما يفتح به عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود المداثم فى سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجك كما تولى ادخالك

(سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) هذه الحكمة كالتعليل لما قبلها ويصلح أيضا لما بعدها كأنه قال أرادتك أيها المريد خلاف ما أراده مولاك لا تجدي نفعا لأنه إذا كانت سوابق الهمم أي الهمم السوابق أي سريعة التأثير في الأشياء وهي قوى النفس التي تنفعل عنها الأشياء وتكون للولي كرامة يقال فعل كذا بهمته إذا وجهها إليه فوجد ولغيره كالساحر والعائن إهانة لا تنفعل عنها الأشياء إلا بتقدير الله تعالى أي بإذنه سبحانه فالهمم غير السوابق كهمتك أيها المريد لا أثر لها من باب أولى ففي هذا تبريد نار الحرص المشتعلة في قلبه حتى يخيل له أن ذلك الشيء طوع يده وأنه يدركه لا محالة والإضافة في قوله سوابق الهمم من إضافة الصفة إلى الموصوف كما تقرر وفي قوله أسوار الأقدار من إضافة المشبه به للمشبه ثم قال (أرح نفسك) أيها المريد (من التدبير) لأمر دنياك وهو أن يقدر الشخص في نفسه أحوالا يكون عليها على ما تقتضيه شهوته ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لأجل ذلك وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه وفي تعبيره بأرح إشارة إلى أن المطلوب تركه للمريد هو ما فيه تعب ومعاناة أما تدبير أمور معاشه على وجه سهل يستعين به على مطلوبه فلا بأس به ولذا ورد التدبير نصف المعيشة (فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) يعني أن الأمر مفروغ منه إذ قد قام به غيرك وهو الله تعالى وما قام به غيرك لا فائدة في قيامك به فيكون قيامك به فضولا لا ينبغي أن يتلبس به ذوو العقول وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة لأحكام الربوبية ومنازعة القدر وإنما خاطب المريد بذلك لأنه إذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله تعطلت عليه أسباب معاشه في الغالب فيأتيه الشيطان ويوسوس له ويصير يدبر في نفسه أمورا لا يقع أكثرها وذلك يشغله عما هو بصدده فيرجع عما هو متوجه له ودواء ذلك كثرة الذكر والرياضة حتى يرجع عنه الشيطان وتحصل له الراحة من تعب التدبير ولذا قال

وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب * قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت إليه ثم تركني السبب فلم أعد إليه ودخلت على الشيخ رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي إن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله صحبني إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها إذ ذاق من هذه الطريق شيئا فجاء إلي فقال يا سيدي أخرج عما أنا فيه وأتجرد لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو إليك واصل ثم قال الشيخ ونظر إلي وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اه كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن وإنما أثبتناه ههنا على طوله لأنه تولى فيه بيان مسئلته التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا فما قلناه بلفظه ووددنا لو أن جميع مسائله تكون هكذا * (سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) الهمم السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عنها بعض الموجودات بإذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون أحال فلان همته على أمر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا تنفعل الأشياء عنها إلا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا بإذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها ونفوذها لا تخرق أسوار الأقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون للأولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن والساحر وقد ثبت أن العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وحاصل ذلك أنه يجب أن يعتقد أنها أسباب لا تأثير لها ولا فاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها * وكأن المؤلف رحمه الله إنما أورد هذه المسئلة بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك أن وجود التدبير لا جدوى له ولا فائدة لأن الهمة الفعالة إذا لم تنفذ في خرق أسوار الأقدار شيئا كيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي أن يتشاغل به ويتعب فيه ذوو العقول ولذلك قال * (أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) تدبير الخلق لأمور دنياهم على الوجه الذي نقوله مذموم لأن الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا

بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو أن يقدر العبد لنفسه شؤنا يكون عليها من أمر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده وأسبابه * قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم * وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي ان كان ولابد أن تدبروا فدبروا أن لا تدبروا وهذه المسئلة أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المؤلف رحمه الله أفرد في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير أحسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه بحيث يستغنى به عما صنف في هذا الطريقة من دوان فتحصيله متعين على كل مريد نجيب ﴿اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك﴾ الشيء المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا أن الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام له والشيء المطلوب من العبد هو العمل الذي يتوصل به الى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا أنه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاة شروطه وأسبابه وأوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى في عباده * قال الله عز وجل في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه منه وأن ليس للانسان الا ما سعى وقد روي في بعض الآثار أن الله تعالى يقول عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك وذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور * وقال ابراهيم الخواص العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الامر المطلوب منه وتفريغ القلب عن الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته وأشرق نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك * والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين فالتقوى هي التي يجب على العبد أن يجتهد فيها ولا يتوانى ويقصر عما يمنع منها وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد

(اجتهادك فيما ضمن لك) أي تكفل الله لك به وهو الرزق تفضلا منه واحسانا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم الى غير ذلك من الآيات (وتقصيرك فيما طلب منك) وهو العمل الذي تتوصل به عادة الى مولاك من أذكار وصلوات وأوراد وغير ذلك من أنواع الطاعات قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية فالمطلوب من المريد السعي في قوت الارواح وهو ذكر المولى وفعل ما يقرب اليه لا قوت الاشباح لانه قائم به غيره وهو مولاه (دليل على انطماس) أي عمى (البصيرة منك) وهي عين في القلب تدرك الامور المعنوية كما أن البصر يدرك الامور المحسوسة وفي تعبيره بالاجتهاد اشارة الى أن طلب الرزق من غير اجتهاد لا بأس به للمريد ولا يدل على انطماس بصيرته

اشعار بأن طلب الرزق من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير فيما أمر به قال فى التنوير فى قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيآن شئ ضمنه الله لك فلا تتهمه وشئ طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل أن ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان الله سبحانه وتعالى قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان سبحانه قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجرى رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد أن الدنيا مضمونة لك أى مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أى العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم ان الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا اه

❁ (لايكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد)

حكم العبد أن لا يتخير شيأ على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل من كل وجه قد يكره الشئ وهو خير له ويحب الشئ وهو شر له * قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لا تختر من أمرك شيأ واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه وهو يتألم لما به فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدى فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدى فقال له الشيخ أبو العباس وأنا ما سألت الله العافية فقد سألته العافية والذى أنا فيه هو العافية هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودنى والآن قد قطعت أبهرى وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما وسيدنا عمر رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مطعونا وسيدنا عثمان رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحا وسيدنا على رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا سألت الله تعالى العافية فاسأله من حيث يعلم أنها لك عافية اه فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعلم أن الخيرة له فى جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيأ يرى ان له فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله عز وجل وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

* ثم قال (لايكن تأخر امد) أى زمن (العطاء) بتأخر ما يقع فيه (مع الالحاح فى الدعاء) بزوال اوصاف بشريتك ورفع الحجاب عنك ووصولك الى مولاك (موجبا ليأسك) أى من اجابة الدعاء (فهو ضمن لك الاجابة) بنحو قوله ادعونى أستجب لكم (فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد) فقد يكون دوام الحجاب على المريد خيرا له ليجتهد فى الاعمال ويدوم خوفه من مولاه لكن الشيطان ربما أتى له وقال له لو كنت من أهل الارادة لاجابك مولاك وأزال أوصاف بشريتك وحصل لك مقصودك ويجهل أن عدم اجابته قد يكون خيرا له وقد تكون بشريته غليظة فلا تنقطع الا بعد مدة طويلة وما أتى به من المجاهدات والرياضات لا يفيد ذلك فى تلك المدة * وقد شبه بعض العارفين الطبيعة بارض ذات شوك فقد يكون الشوك غليظا كثيرا لا ينقطع الا بعد مدة ومعاناة تامة وقد يكون قليلا ضعيفا أدنى شئ يزيله وكذلك أوصاف النفوس قد تكون خبيثة كثيرة فتحتاج الى مدة طويلة وشدة معاناة فى قطعها فاذا حصل المقصود ولو فى آخر نفس من عمره كان هو الغاية القصوى وكان ما تعب فيه حقيرا بالنسبة لذلك وقد تكون بضد ذلك فلا تحتاج الى طول مدة وكثرة معاناة

ما من احد يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من داع يدعو الا استجاب الله له دعوته او صرف عنه مثلها سوأ او حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق الا ان الاجابة امرها الى الله تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخر العطاء اجابة وعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا راى منعا او تأخيرا وان الح فى دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك الى الآخرة خيرا له فقد جاء فى بعض الاخبار يبعث عبد فيقول الله تعالى له الم آمرك برفع حوائجك الى فيقول نعم وقد رفعتها اليك فيقول الله تعالى ما سألت شيأ الا اجبتك فيه ولكن نجزت لك البعض فى الدنيا وما لم انجزه فى الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض لى حاجة فى الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى النهى عن الاستعجال فى اجابة الدعاء فى قوله يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما اخبر الله به عنهما حيث قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه اجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد اجيبت دعوتكما وهلاك فرعون اربعون سنة (قال) سيدى ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى قوله تعالى فاستقيما اى على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وناهيك شرفا وحظا ما يحصل له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقد جاء فى الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول دعوا عبدى فانى احب ان اسمع صوته رواه انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل الله له نوال حاجته لكراهة صوته وقد روى هذا المعنى ايضا منصوصا فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل اجابة دعائه قال ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه كل من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فانى اكره ان اسمع صوته فاذا كان فى دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره لنفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال بخواتيمها اهـ وقد تكون الاجابة مرتبة على شروط لا علم للداعى بها فتؤخر لعدم وقوع ذلك او بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين اذا اراد الله ان يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار فى الدعاء والاضطرار لا يحققه العبد من نفسه فى جميع

حالاته

(لايشككنك فى الوعد) الذى وعدك به مولاك فى منام أو على لسان ملك أو بالهام رحمانى (عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه) أى وان كان زمنه معينا بأن ألهمت أنه يحصل لك فى الوقت الفلانى فتح أو يحصل فى العام رخاء أو غير ذلك (لئلا يكون ذلك) الشك (قدحا فى بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) فمن وعده ولامشيأ وان كان معين 11 الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغى أن يشككه ذلك فى صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الموعود معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد لحكمة يريدها ومن هذا القسم ما يقع لبعض الاولياء أن يخبر بأنه يحصل فى هذا العام كذا ثم لا يحصل فيقع بعض الناس فى اعراضهم ومنه ما وقع له صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من اخباره للصحابة بالفتح ثم لم يحصل فى ذلك العام بل فى عام بعده فاذا خطر للمريد خاطر رحمانى أو ملكى ثم لم يحصل مقتضاه لا ينبغى ان يشك فى حصول الموعود بل ينبغى أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ولا يتشكك فى ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فمن كان كذلك فهو عارف بالله سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس من ذلك (اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل) بفتح الهمزة (عملك) أى بقلة عملك اعلم أن السالك لابد له فى سلوكه من كثرة الاعمال لقطع عقبات النفوس ويصل الى حضرة الرب فاذا شرع فى المجاهدة وطالت عليه المدة ربما كسل عن بعض أنواع العبادات والاوراد التى رتبت عليه فيحصل عنده شدة الهم والغم وربما تسول له نفسه الترك بالكلية مع كونه قد حصل عنده نوع من معرفة الله تعالى فارشده الشيخ رضى الله عنه الى انه اذا فتح له وجهة من التعرف أى نوعا من المعرفة كان عرف بطريق

حالانه قال بعضهم المضطر الذى اذا رفع الى الله تعالى يده لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعسر على أكثر الناس الوصول اليه فكيف يتحقق بما ينبنى عليه وفى المسئلة التى بأثر هذا تنبيه على هذا المعنى ﴿(لايشككنك فى الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن وعده ولا مشيأ وان كان معين الزمن ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغى أن يشككه ذلك فى صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمئن اليه ولا يتشكك فى ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس

﴿(اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والاعمال أنت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك) معرفة الله تعالى هى غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فاذا واجه الله تعالى عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف له منها وأوجد له سكينة وطمأنينة فيها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغى أن لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم أنه سالك به مسلك الخاصة المقربين المؤدى الى حقائق التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد ولا بعمل والاعمال التى من شأنه أن يتلبس بها هى باكتسابه وبعمله فلا تسلم من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما يريده من الثواب عند مناقشة الحساب وأين أحدهما من الآخر ومثاله ما يصاب به الانسان من البلايا والشدائد التى تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير أعمال البر فان مراده أن يستمر بقاؤه فى دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله فى طلب سعادة الآخرة حال المترفين المتورعين فلا تستخف نفسه الا بالاعمال الظاهرة التى لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذته ولا تفوته شهوته ومراد الله منه أن يطهره من أخلاقه اللئيمة ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال والتمام الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة فاذا فهم هذا علم ان اختيار الله له ومراده منه خير له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روى ان الله تعالى أوحى الى بعض انبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعانى

الذوق ان الله تعالى حاضر معه مطلع على حاله وعرف ذوقا انه لا فاعل الا الله بأن حصل له تجلي الافعال الذي هو اول التجليات
عندهم فلا يبالي حينئذ بقلة العمل لان ١٢ القصد من العمل القرب من حضرة الرب وفتح تلك الوجهة دليل على ذلك وعلى انه
معتني به وانه سيصير من اهل وده
وقد تكون قلة العمل بسبب
مرض يعوقه عنه فاذا حصل
عنده نوع من المعرفة بأن عرف ان
نزول المرض به خير من الصحة
لما فيه من ترقيه وان الله يفعل به
ما يريد فلا يبالي حينئذ بقلة العمل
(فانه ما فتحها) اي تلك الوجهة (لك
الا وهو يريد ان يتعرف اليك)
اي يواجهك بفضله ويقرب منك
ويتجلى عليك بصفاته وأسمائه
ولا شك ان ذلك اعظم من كثرة
الاعمال الظاهرة (الم تر ان التعرف
هو مورده عليك) اي محصله لك
بطريق التفضل (والاعمال انت
مهديها اليه واين ما تهديه اليه
مما هو مورده عليك) فان هدية
العبد وان كانت جليلة هي
حقيرة بالنسبة الى هدية السيد
وان كانت قليلة على ان هدية
العبد هنا نفعها عائد عليه لا على
السيد وحاصل ما ذكر ان قليل
العمل مع المعرفة خير من كثير
العمل بدونها فاذا حصل للسالك
بعض المعرفة ينبغي له ان يوجه
قلبه الى حضرة مولاه ليزيده من
معرفته وقربه ويهتم بذلك اكثر
من اهتمامه بالاعمال الظاهرة
ولذا كانت اعمال العارفين
الظاهرة قليلة في اواخر عمرهم
وما زالوا يحنون الى البداية لما
فيها من كثرة الانوار بسبب كثرة الاعمال

فساطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا
ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني الى عواده أنشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه
ودما خيرا من دمه ويستأنف العمل وروى عن سعيد المقبري قال سمعت أبا هريرة رضي الله
عنه يقول قال الله تبارك وتعالى اني ابتلي عبدي المؤمن فاذا لم يشك الى عواده حللت
عنه عقدي وبدلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استأنف العمل قال
أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت في سالف أيامي مرضة
فلما شفاني الله تعالى منها مثلت في نفسي ما دبر الله تعالى لي من هذه العلة في مقدار هذه
المدة وبين عبادة الثقلين في قدر أيام علتي فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون
لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها الى أيهما يميل اختياري فصح عزمي ودام يقيني ووقفت
بصيرتي أن مختار الله تعالى أكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهي العلة التي دبرها لي
ولا شوب فيه اذا كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت ذلك
دق في عيني عبادة الثقلين في مقدار تلك المدة في جنب ما آتاني فصارت العلة عندي نعمة
وصارت النعمة منة وصارت المنة أملا وصار الامل عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا
يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون
بالبلاء اهـ فهذه هي وجهة التعرف التي فتحها الله تعالى له وحصلت له الغبطة بها
وآثرها على عبادة الثقلين والله أعلم فاذا أنزل الله تعالى على العبد شيأ من البلايا
فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له من
السكون والطمأنينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجد حلاوته
وعند ذلك يكون حاله في بلائه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط به فيرى من حق
شكره أن يأتي بما يمكنه من أعمال بره واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسئلة بالحكاية التي
ذكرها أبو العباس بن العريف رحمه الله في كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق
الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله ونفعنا
بذكره أصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه
وذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة
بعيدة قال الذي حدثني رأيته يصلي على الماء ثم لقيت بعده محمد الاسفنجي فاذا هو الابرص
فقلت له يا سيدي كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة
أوليائه قال لي فقال لي اسكت لا تقل ذلك انه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله
شيأ اشرف ولا اقرب اليه من البلاء فسألناه اياه فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب
العباد وامام الاولياء الاوتاد بغار في ارض طرسوس وجبالها لحمه يتناثر وجلده

ثم قال (تنوعت أجناس الاعمال) على العاملين (لتنوع واردات الاحوال) اى الواردات التى تنتج أحوالا قائمة بقلوبهم تقتضى ميلهم الى تلك الاعمال أو واردات هى الاحوال فان الوارد قد يسمى حالا كما سيأتى يعنى أن بعض المريدين تجده مشتغلا بالصلاة وبعضهم بالصيام وهكذا وسبب ذلك وارد الهى اقتضى ميل هذا الى كذا وهذا الى كذا وينبغى لكل أحد أن يعمل بمقتضى ميله المذكور ان لم يكن تحت تربية شيخ والا فلا يشتغل بشئ الا باذنه وارادته وحاصل ذلك ان تنوع الاوراد فى حق المريدين الصادقين ناشئ عن تنوع الواردات على قلوبهم فينبغى لكل مريد أن يعمل بمقتضى وارده بالشرط المتقدم ولا يعمل بمقتضى وارد غيره ولا يعترض على ذلك الغير فى عدم اشتغاله بما اشتغل به هو ثم قال (الاعمال) الظاهرة (صور قائمة) أى كالاشخاص التى ليس فيها أرواح فلا نفع بها (وأرواحها) التى بها حياتها ونفعها (وجود سر الاخلاص) أى سر هو الاخلاص (فيها) والاخلاص يختلف باختلاف الناس فاخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلى والخفى وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل الا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب مع نسبة العمل اليهم والاعتماد عليه فى تحصيل ما ذكر واخلاص المحبين هو العمل لله اجلالا وتعظيما لانه تعالى أهل لذلك لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب ولذا قالت رابعة العدوية ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك فنسبت العبادة اليها واخلاص العارفين شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم من غير أن يروا لانفسهم فى ذلك حولا ولا قوة فلا يعملون العمل الا بالله لا بحولهم ولا قوتهم وهذا أرفع مما قبله ثم ذكر رحمه الله ما يعين على الاخلاص ويحصله بقوله

يسيل قيحا وصديدا وقد أحاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة واسكن جسده من العافيه حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر اه وسيأتى شئ من كلام المؤلف رحمه الله فى هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولى التوفيق ﴿تنوعت أجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال﴾ واردات الاحوال هى ما يرد على القلوب من المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهى التى توجب لها أحوالا حميدة فمنها وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب أنسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يوجب بسطا الى غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات أيضا متنوعة كانت أجناس الاعمال التى تقتضيها هذه الواردات أيضا متنوعة والاعمال الظاهرة أبدا تبع لاحوال القلوب الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا فى قوله حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال ﴿الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها﴾ اخلاص كل عبد فى اعماله على حسب رتبته ومقامه فأما من كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه أن تكون اعماله سالمة من الرياء الجلى والخفى وقصده موافقة اهواء النفس طلبا لما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهربا مما اوعد به المخلطين من أليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقيق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد اى لا نعبد الا اياك ولا نشرك فى عبادتنا غيرك وحاصل امره اخراج الخلق عن نظره فى اعمال بره مع بقاء رؤيته لنفسه فى النسبة اليها والاعتماد عليها واما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه فى عمله فاخلاصه انما هو فى شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه فى ذلك حولا ولا قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذى به يصح مقام الاخلاص وصاحب هذا سالك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين اى لا نستعين الا بك لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله تعالى وعمل الثانى هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارات للامام ابى القاسم القشيرى رضى الله عنه وبهذا يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما فى الشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها اهلية وجود القبول

لها وبعد ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذذاك أشباحا بلا أرواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة * ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التي اذا كان العبد عليها كان مخلصا ما المعنيين فقال ﷺ (ادفن وجودك في أرض الخمول فانبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) لاشئ أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من أعظم حظوظه التي هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض للعبودية التي هو مطالب بها قال ابراهيم ابن أدهم رضي الله عنه ما صدق الله من أحب الشهرة وقال بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا لاقوام كنست بأرواحهم المزابل وقال أيوب السختياني رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحرث رضي الله عنه اوصني فقال أخمل ذكرك وأطب مطعمك وقال بعضهم رضي الله عنه ما أعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة من أحب ان يعرفه الناس وقال الفضيل رضي الله عنه بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم انعم عليك ألم استرك ألم اخمل ذكرك ثم ان تلك الاشياء الراجعة الى محبة الاشتهار والاستعلاء مما يقدح في اخلاص العبد على اختلاف مراتبه لانه اما بسقوط الناس عن النظر اليهم أو بسقوط النفس عن النظر اليها ولا يثبت للمريد جميع ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة لم ينفك عن الاغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق لما يرى لنفسه عليهم من الحق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله بالرياء انصباغا لا يتفطن له كما سيأتي عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققك بوصف الخمول يتحقق لك مقام الاخلاص حتى تتخلص بذلك من رؤية اخلاصك وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس الا من رحم الله تعالى وان الاخلاص في غاية الصعوبة على النفس وانه اعز الاشياء في الوجود وقيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه اى شئ أشد على النفس قال الاخلاص لانها ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اعز شئ في الدنيا الاخلاص وكم أجتهد في أسقاط الرياء عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق عن معاملة الخالق واول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين ان لا يعمل عملا لاجل النفس والادخل عليه مطالبة العوض اوتشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق عن النظر اليهم في الافعال وترك السكون والاستراحة بهم في الاحوال اه فاذا اخمل العبد نفسه والزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته الما ولا لمذلته طعما فحينئذ تزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه ويسال من

(ادفن وجودك في ارض الخمول) أي في الخمول وهو عدم الشهرة الشبيه بالارض ودفن وجودك فيه أن لا تتعاطى أسباب الشهرة بأن تعرض نفسك للمناصب وغيرها مما فيه انتشار الصيت فان سلكت الطريق بعد شهرتك فالواجب عليك التواضع وأن لا ترى لنفسك مقاما ولا ترى ما انت فيه من المناصب وغيرها شيأ عظيما بل ترى أن الخير في تركه لكن لا تتركه الا باشارة أستاذك أو باذن الهي ثم ضرب لذلك مثلا بقوله (فما نبت) من الحب (مما لم يدفن لا يتم نتاجه) بل يخرج ضعيفا مصفرا لا ينتفع به الانتفاع التام واذا لم ينبت فالغالب أن يلتقطه الطائر فلا ينتفع به أيضا وكذلك السالك اذا تعاطى اسباب الشهرة في بدايته قل ان يفلح في نهايته وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق له مقام الاخلاص فينبغي أمره في الابتداء على الفرار من الخلق واخمال الذكر وعدم حب الشهرة حتى اذا فنيت أوصافه وبقي بربه كان مع مولاه ان شاء أظهره وان شاء أخفاه قال أبو العباس قدس الله سره من احب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اه

ربه أعلى درجات الخصوصية ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال الشيخ أبو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة للزبال والكناسة للكناس وهما صنعتان له كسائر الصنائع وربما افتخروا بهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا مقام محمود محبوب وبعده مقام المكاشفات بأسرار الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المستكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك حياة نفسه اه فاذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من اعين الناس كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك السائح استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا بمرأى من الملك فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاماله وسيأتي نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك سائغا لهم أن يفعلوه ويأمروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك مضيا بحيث يرى ويظن به السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثله ماروى عن أبي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطائه لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة في المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وغيره قال بعض المصنفين واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين أولى اذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت نفسه وحي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض قلت وقد ورد عن

النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة منها ماروى أبو امامة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله عز وجل ان أغبط أوليائي
عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال
عجلت منيته قلت بواكيه قل عزاؤه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله
لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان
يسيرا من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاتقياء
الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح
الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه فيه باسم أويس القرني وأشاد بذكره ونبه على عظيم أمره
رضي الله عنه أنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من أصحابه اذ
قال ليصلين معكم غدا رجل من أهل الجنة قال أبو هريرة فطمعت أن أكون ذلك الرجل
فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأقمت في المسجد حتى انصرف الناس
وبقيت أنا وهو صلى الله عليه وسلم فبينما نحن كذلك اذ أقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد
برقعة فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي
بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت
يا رسول الله أهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت أفلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله فقال
وأنى لي بذلك ان كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة ان لاهل الجنة
ملوكا وسادة وان هذا الاسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة ان الله عز وجل
يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم
من كسب الحلال الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات
لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان
مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك
أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل
القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام بنظره الى موضع سجوده واضع
يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء
صوف مجهول في أهل الارض معروف في أهل السماء لو اقسم على الله لابر قسمه ألا وان
تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة
ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي
اذا أنتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث وفي حديث

قوله بحزاه في بعض النسخ ثراثه اه

آخر اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى رجل يقال له اويس القرنى يدخل فى شفاعته عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لأبره فمن لقيه بعدى فليقرئه منى السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل أصهب اشهل ذو طمرين ابيضين له أم وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الامقدار الدينار أو الدرهم لايؤبه له مجهول فى الارض معروف فى السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعفه ان الناس كانوا يسخرون منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه اهلية الخداع والتلصص وينسبونه الى ذلك فقدروى فى ذلك انه دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لاجل العرى فردهما عليه بعد أن أخذهما منه وقال ان الناس يقولون من أين له هذان الثوبان ترى من خدع عليهما وكان فى ذلك الوقت يجالس الفقهاء ويظهر للناس وذلك قبل ان يعرف برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضى الله عنه به على المنبر فلما رأى ان الناس عرفوا حاله هرب عنهم واستخفى منهم ولبس أمره عليهم برعاية الابل وغير ذلك وقيل لعمر رضى الله عنه لما سأل عنه قومه ما فينا أخمل منه ذكرا فلما لقيه هو وعلى رضى الله عنهما وسأله من هو فقال له راعى غنم واجير قوم وستر ذكر اويس فلما سأله عن اسمه قال له عبد الله فلما سأله عن اسمه الذى سمته به أمه امتنع ان يجيبه عن ذلك فلما أخبراه بوصف النبى صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك قال لهما عسى ان يكون ذلك غيرى فلما قالا له اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحت منكبك الايسر لمعة بيضاء وطلبا منه ان يوضحها لهما لم يجد بدا من أن يوضحها لهما وذلك والله أعلم ليريهما رؤية عين صحة قول النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه فى اخباره بالغيب وذلك أمر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما فعله فى كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما سأله عمر رضى الله عنه ان يلتقى معه ويجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له ياأمير المؤمنين لاميعاد بينى وبينك ولا أعرفك ولا تعرفنى بعد اليوم ثم دفع الابل الى أصحابها وخلا عن الرعاية وكذلك فعل مع هرم بن حيان رضى الله عنه لما لقيه بشاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف قال له حدثنى بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك فقال له لاحب ان افتح هذا الباب على نفسى لا احب ان اكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذى كانا بصدده سأله مداومة الاجتماع به فأبى وامتنع وقال له لا أراك بعد اليوم تطلبنى ولا تسأل عنى انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد فى طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر ومن عجيب امره ان حقق الله تعالى له هذا الحال من التخفى والتستر وأتمه له بعد موته مع ما اظهره بسببه من الآيات والعبر حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا اذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعنا أويس القرنى رضى الله عنه فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال

بعضنا البعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لاقبر ولا اثر قلت والحكايات والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار اكثر من ان يأتي عليها الحصار وقد اورد كثيرا منها الائمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى أحسن التوفيق والتأييد وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى ههنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من ملح الاستعارات ﴿(مانفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) مداواة امراض القلب واجبة على المريد وامراضها انما تكون من غلبة احكام الطبع عليه من محبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وانسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض تتأتى من وجوه كثيرة وابلغها في ذلك وانفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والاخلاق الدنيئة ويستفيد بذلك أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض في مثل هذا فواجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السؤال عن اخبار الناس وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء الى أراجيف البلدان وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها وليحرص على ان لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤديه الى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من يتعرف له ممن هذا شأنه من المنتسبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ او صاحب لا يوازرك على مبرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود مالي أراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مبرتي فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني وما أحسن قول أبي اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري في هذا المعنى

تخف أبناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبنتى
وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامري اذا لمستا

وبالعزلة ايضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها تفرق الهم

(مانفع القلب) أي قلب المريد في التطهر من غفلاته والقرب الى حضرة مولاه (شئ مثل عزلة) اي اعتزال عن الناس (يدخل بها ميدان فكرة) أي فكرة شبيهة بالميدان لتردد القلب فيها كتردد الخيول في الميدان فالمريد اذا كان مخالطا للناس اشتغل نظره بالمحسوسات فلا يتفكر قلبه الا فيها ولا يزال ناظرا الا عالم الشهادة فاذا اعتزلهم انعكس الحال وجال قلبه في عالم الغيب وقد جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقيل لام الدرداء ما كان أفضل اعمال ابي الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء والى تعظيم الله وتعظيم كل ما يرضيه فيفعله وتحقير كل ما يسخطه فيجتنبه ويطلع به على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل في التباعد عنها او يسلم به من الآفات الناشئة عن مخالطة أهلها وبالعزلة المذكورة يحصل التمرن على الخلوة التي هي أحد اركان الطريق الاربعة بالنسبة للمريدين وباقيها الصمت والجوع والسهر وبهذه الاربعة تصير الابدال ابدالا وهذا كله في حق

وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد فى خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفى الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أخوف ما أخاف على أمتى ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة ارباب البطالة والقسوة قال أبو طالب المكى رضى الله عنه واضر ما بلى به العبد وادخله واعمله فى هلاكه واشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه لما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين أصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى المخلوقات فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لى منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت أنا بين أظهرهم ولابد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أتنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون أبدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان الى ما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية ولا ينبغى لاحد ان يستحقر هذا فانه يؤدى الى امراض عظيمة فى القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فأرباب المجاهدات اذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا أصل كبير لهم فى المجاهدات فى أحوال الرياضات اهـ وقال محمد بن سيرين رضى الله عنه اياك وفضول النظر فانه يؤدى الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن أرسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تفرقة القلب وقد أنشدوا فى هذا المعنى

وانك ان أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الاياس وذلك من أعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهى المقصودة ههنا وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعاة آدابه الباطنة وقد ذكر منها الشيخ أبو حامد الغزالى جملة شافية فى كتاب العزلة من الاحياء فلينظر هنالك وقد جاء فى الخبر تفكر

المريد الذى يسلك بنفسه فان كان تحت تربية شيخ فلابد من مخالطته ومخالطة الاخوان الذين يعينونه على سلوك الطريق فاذا ذهبت رعونات نفسه وصار من العارفين فلا تضره مخالطة الخلق أجمعين لانه حينئذ لا يرى غير الله تعالى واعلم ان الفكرة هى المقصود والعزلة وسيلة لها ومعينة عليها ثم بين الامور التى تصيب القلب اذا لم يحصل له نظيره بعزلة ولا فكرة بقوله

(كيف يشرق قلب صور الاكوان) اى المكونات من الآدميين وغيرهم (منطبعة فى مرآته) باعتقاده انها تضر وتنفع ويطلعه لها فى حصول أمر ما من الامور وتعلقه بها (ام كيف يرحل) أى يسير (الى الله وهو مكبل) اى مقيد (بشهواته) النفسية والمقيد لا يمكنه السير (ام كيف يطمع ان يدخل) ذلك القلب (حضرة الله) بان يشاهده (وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته) اى من غفلاته الشبيهة بالجنابة فكما يمنع ٢٠ الجنب من دخوله المسجد كذلك يمنع من استولت عليه الغفلة من دخوله حضرة الرب (ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار) وهى العلوم الدقيقة التى ترد على قلوب العارفين (وهو لم يتب من هفواته) وهى ما يصدر منه من المعاصى لا عن قصد واغا تعجب المصنف من ذلك لما فيه من الجمع بين الاضداد وهو محال وهذه الاشياء المذكورة متضادة فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التى استولت عليه بالركون الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والمسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال فى حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة القلب ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة الغفلات التى مقتضاها الابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصى والهفوات واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روى فى بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم وكل واحد من هذه الاربعة سبب فيما بعده فانطباع صور الاكوان فى مرآة القلب سبب فى تكبله بالشهوات والتكبل بها سبب فى الغفلة وهى السبب فى كل هفوة والهفوة سبب فى عمى القلب ثم شرع رحمه الله يتكلم على شئ من المعارف لينشط المريد حتى يدرك ذلك ذوقا فتكلم على وحدة الوجود التى افردت بالتاليف فقال

ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكذا هو والله أعلم وكان عيسى بن مريم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر وقيل لأم الدرداء ما كان أفضل عمل ابى الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء وتبين الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل فى التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن البصرى رضى الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من قبحك ويطلع بها أيضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر فى آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تتضمن وجود الخلوة وهى أحد الاركان الاربعة التى هى أساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت اذ لا يأتى من اكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان أضاف اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كلية الدواء والتحق بزمرة الاولياء والبدلاء قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اجتمع الخير كله فى هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا خماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها فى نظمه

يا من يروم منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالى

(كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته) الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التى استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والمسير الى الله تعالى

(الكون) أي المكونات اي الموجودات بأسرها (كله ظلمة) اي عدم محض لا وجود له في نظر ارباب الشهود (وانما اناره) أي اوجده (ظهور الحق) أي الله (فيه) كظهور الشمس في الكوة ذات الزجاج فليس هنالك الا وجود واحد وهو وجود الحق وبظهوره في الاشياء وجدت على حسب ما تقتضيه طبائعها وليس لها وجود في ذاتها واذا كان كذلك (فمن رأى الكون) اي شيأ منه (ولم يشهده فيه أو عنده او قبله أو بعده فقد أعوزه) اي فاته (وجود الانوار) الالهية التي يدرك بها مشاهدة الله على أي وجه من الوجوه المذكورة (وحجبت عنه شموس المعارف) أي المعارف التي كالشموس (بسحب الآثار) أي بالآثار وهي الاكوان التي كالسحب جمع سحاب بجامع ان كلا يحجب ما وراءه واشار المصنف رحمه الله بذلك الى اختلاف أحوال أرباب المشاهدة في شهودهم فمنهم من يشاهد المكون قبل الاكوان فاذا وقع بصره على شيء كحيوان شاهد قيام الحق به وظهوره فيه وانه المحرك والمسكن له قبل ان يخطر له كونه آدميا أو شاطويلا أو قصيرا الى غير ذلك ومنهم من يشاهد ذلك بعد كونه حيوانا ومنهم من يشاهده معه ومنهم من يشاهده فيه وهو ظرف متسع وهذا تقريب للافهام والا فهذا أمر لا يدرك الا بالذوق وما كان كذلك تقصر عنه العبارة (مما يدلك على وجود

بقطع عقبات النفس مضادة للاعتقاد في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضادة لما هو عليه من جناية غفلاته التي مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات والى الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري فقال ابن حنبل لابن أبي الحواري يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك أبي سليمان فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال ابن أبي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت في الاسلام بحكاية أعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث الذي ذكرناه من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن أبي الحواري صدقت يا أحمد وصدق شيخك ولاجل كون هذه الاشياء اضدادا عجب المؤلف رحمه الله تعالى ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع في نيل مراتب الرجال مع كونه على أقبح الخلال

﴿الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار﴾

العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف أحوال الناس ههنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه في الظلمات محجوب بسحب الآثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم في مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية ههنا اما معية اتصال وهو شهوده في الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هي عليه موكول الى اربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة في الشرع فكفروا بذلك وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير سبحانه لا اله غيره ﴿مما يدلك على وجود

قهره سبحانه ان يحيط عنه بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ماذكرناه قبيل هذا من ان ماسوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه وتعالى اذ لو وصف به لكان ذلك شركة والثنينية وهو مناقض لاخلاص التوحيد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

قال بعض العارفين ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل فى الوجود شئ سوى الواحد الحق فلا نراهم وان كان ولا بد فنراهم كالهباء فى الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيأ وقال أيضا رضى الله عنه قوى على الشهود مرة فسألته ان يستر ذلك عنى فقيل لى لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه صلوات الله عليهم أجمعين لم يفعل ولكن سله ان يقويك فسألته فقوانى قال ابن عطاء فى التنوير فما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولأشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكره فى هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت ان أرى غيره لم أستطع فانه لا غير معه حتى أشهده معه وقال الشاعر

مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * وأنا اليوم واصل مجموع

وقال آخر

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال

واعلم بانك والعوالم كلها * لولاه فى محو وفى اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا بان لم يشهدوا * شيأ سوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

وقد صنفوا فى بيان هذا الامر تصانيف وتفننوا فى الكلام فى هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فاذا تقرر هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الاخروية ومقاماتهم العلوية فكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهره اذ من أسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وارادتهم وبقوا بربهم وكانوا عباد الله حقا وقد سئل أبو سعيد بن الاعرابى رضى الله عنه عن الفناء فقال الفناء

ان

قهره سبحانه ان يحيط عنه) خطاب لعامة الناس (بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين واشاراتهم ومواجيدهم على ماذكر من ان ماسوى الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله تعالى قال بعض العارفين ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية اه ومع كون ما ذكر عدما فهو حجاب عن الله تعالى فان الناس لا يشهدون عند نظرهم الاكوان الاهى ولا يشاهدون كونها مع انها لا وجود لها والوجود انما هو له سبحانه فهذا مما يقضى منه العجب ثم ذكر أدلة تدل على انه لا ينبغى ان يحتجب بتلك الاكوان وان الاحتجاب بها انما هو للعوام فقال

(كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ) بما اشرق عليه من نور الوجود وقد كان فى ظلمة العدم كما تقدم فبظهوره فى الاشياء ظهرت واذا كان ظهور الاشياء متوقفا عليه فيستحيل ان تحجبه حتى يكون خفيا غير ظاهر فان الاظهار انما يفيد ظهور المظهر لا خفاءه (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكل شئ) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وذلك لان الاثر يدل على المؤثر ويعرف به فهذا مقام المستدلين الضعفاء (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر فى كل شئ) بذاته كما يقوله اهل الشهود او بمحاسن صفاته وأسمائه كما يقوله أهل الحجاب فالاشياء كلها مجالى ومظاهر لظهور معانى أسمائه التى هى تفاصيل معانى صفاته فيظهر فى اهل العزة كونه معزا وفى أهل الذلة كونه مذلا وفى الاحياء معنى اسمه المحيي وعند سلب الارواح معنى اسمه المميت وعند العطاء معنى اسمه المعطي وعند المنع معنى اسمه المانع وعند افاضة الفضل معنى اسمه الكريم وعند اجابة الدعاء معنى اسمه المجيب وعند تسليطه المضار وجلب المنافع معنى اسمه الضار النافع الى غير ذلك (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكل شئ) اى تجلى لكل شئ حتى عرفه ولذا كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقه ذلك فكل شئ عارف به على قدر تجليه له وان كان فى الاشياء من لا يقدر الله حق قدره لنقص معرفته وقصورها الا انتفاء أصلها (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا فظهوره تعالى ذاتى له غير مكتسب ولا مستفاد ولا معلول وظهور الاكوان ناشئ من تجليه عليها بصفة الظهور فكيف تكون حاجبة له (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اظهر من كل شئ) لان الوجود اظهر من العدم على كل حال ولان الظهور الذاتى أقوى من العرضى والظهور المطلق أقوى من المقيد والدائم اقوى من المنصرم وانما لم يدركه العقول مع شدة ظهوره لان شدة الظهور لا يطيقها الضعفاء كالخفاش يبصر بالليل دون النهار لا لخفاء النهار واستتاره بل لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت فيكون شدة ظهور النهار مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره وكذلك العقول ضعيفة وجمال الحضرة الالهية فى غاية الاشراق والاستنارة فصارت شدة ظهوره سببا لخفائه (كيف

أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق فى التعظيم عقله اه قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء فى الصفات أى لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفناء فى الذات أى لا موجود على الاطلاق الا الله تعالى وأنشدوا فى ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء

وقال سيدى محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا فى هذا المعنى

من أبصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا * بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه * هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب

(كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كل شئ) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان فى ظلمة العدم كما تقدم (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكل شئ) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر فى كل شئ) اذ هو المتجلى فيها بمحاسن صفاته واسمائه (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكل شئ) فى طور ذلك الشئ ولذلك كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقه ذلك (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ) لتحقق هذا الاسم له أزلا وابدا (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اظهر من كل شئ) لان الوجود اظهر من العدم على كل حال (كيف

يتصور ان يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ) اذ كل شئ سواه عدم لاوجود له على التحقيق فليس ثم شئ يحجبه اذ الوجود الحقيق كله له ولاشئ منه لغيره (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو أقرب اليك من كل شئ) لثبوت احاطته بك وقيوميته عليك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فهو قريب لنا بذاته عند أهل الشهود وأما اهل الحجاب فية ولون هو قريب بعلمه وقدرته وارادته الى غير ذلك (كيف يتصور ان يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ) حتى استدل به المشاهدون على الاشياء قال تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ولواسقط لفظ كل لكان اظهر فى افادة العموم والقصد بهذا الكلام المبالغة فى نفى الحجاب ٢٤ فلا يضر كون هذا الوجه بمعنى الوجه الاول وبعضهم اثبت التغاير بينهما بمافيه كلفة (ياعجبا كيف يظهر الوجود فى العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهماضدان لايجتمعان (ام كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الحادث باطل والله تعالى حق والباطل لايثبت مع ظهور الحق قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالظاهر والثابت هو الحق تعالى لا الكون ومابدا الاوجه الحق فهو المظهر والظاهر والموجود دون كل المظاهر والتعجب المذكور ناشئ من غلبة الشهود فانه اذاقوى على العبد اضمحلت الاكوان فى نظره وفنى عنها بالمرة (ماترك من الجهل شيأ من آراد ان يحدث فى الوقت غير ما اظهره الله فيه) فاذا كان المريد فى حال بدنى اوقلبى لايذمه الشرع لزمه حسن الادب فى اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى ينقله الله عنه فاذا كان متجردا وتعلق قلبه بالتكسب اوكان فى صنعة واراد الانتقال عنها لغيرها كان قليل الادب مع مولاه جاهلا بما يناسب حضرته وكذا ان كان فى حال قبض وأراد عنها الانتقال عنه الى البسط قال بعضهم لى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولانقلنى الى غيره فسخطته وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساءة الادب فى حضرته وهذا من معارضة حكم الوقت الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة

يتصور ان يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ) اذ كل ماسواه عدم لاوجود له على التحقيق (كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اقرب اليك من كل شئ) لثبوت احاطته بك ووجود قيوميته عليك (كيف يتصور ان يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ) حتى استدل به الشاهدون على الاشياء كما قال الله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد (ياعجبا كيف يظهر الوجود فى العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهماضدان لايجتمعان (ام كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الباطل لايثبت مع ظهور الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقال عزمن قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (قلت) وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الابداع وأتى فيه بما تقربه الاعين وتلذبه الاسماع فانه رضى الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وأبطل حجابية كل ظلام ونور وأرانا فيه الحق رؤية عيان وبرهان ورفعنا من مقام الايمان الى أعلى مراتب الاحسان كل ذلك فى أوجز لفظ وأفصح عبارة واتم تصريح وألطف اشارة فلولم يكن فى هذا الكتاب الاهذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عنا خيرا ثم قال رضى الله عنه ۞ (ماترك من الجهل شيأ من اراد ان يحدث فى الوقت غير ما اظهره الله فيه) اذا أقام الله تعالى العبد فى حال من الاحوال التى لايذمها الشرع فليلتزم حسن الادب فى اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى فى مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى فى ذلك حتى يكون هو الذى ينقله عنها قال أبو عثمان رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما اقامنى الله فى حال فكرهته ولانقلنى الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المؤلف رحمه الله تعالى مع شيخه ابى العباس المرسى حين عزم على التجرد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به الشيخ رضى الله تعالى عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال

عنها بنفسه وأراد أن يحدث غيرما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء الادب فى حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى فى ذلك الوقت فهو أدب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو أحد معانى لفظ الوقت فى اصطلاحهم قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أى انه مستسلم لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع اذ التضييع لما أمرت به واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف أى كما ان السيف قاطع فالوقت بما يقضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وأنشدوا

وكالسيف ان لاينته لان مسه * وحداه ان خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام أبى القاسم وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله الموفق ﴿احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس﴾ اذا كان العبد متلبسا بحال من أحوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحة وأحال ذلك العمل على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثار الدنيا على الآخرة وليس هذا من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والثانى تسويفه بالعمل الى أوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لان أشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض كما قيل

فما قضى أحد منها لبانته * ولا انتهى أرب الا الى أرب

والثالث ان يفرغ منها ما الذى يرضيه من تبدل عزمه وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة فى جميع الاحوال ما يستحقر فى جنبه جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال على أى حال كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل مفاجأة الموت وحلول الفوت وان يتوكل على الله تعالى فى تيسرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينها وبينه وما أحسن قول ابن الفارض فى هذا المعنى

وعد من قريب فاستجب واجتنب غدا * وشمر عن الساق اجتهادا بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى * واياك مهلا فهى أخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما أخرت عزما لصحة

(احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) فاذا كان المريد مشتغلا بحال من أحوال دنياه وكان ذلك يمنعه من الاعمال التى يتوصل بها الى حضرة مولاه وأحال ذلك على فراغه من تلك الاشغال فقال اذا تفرغت عملت كان ذلك دالا على رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وذلك لتسويفه العمل الى فراغ أوانه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك ويزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض ولو فرض انه تفرغ منها فقد يتبدل عزمه وتضعف نيته فالواجب عليه النهوض الى ما يوصله الى مولاه قبل الفوات واذا قيل الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك

لاتطلب منه ان يخرجك من حالة) دنيوية كصناعة اودينية كطلب علم (ليستعملك فيما سواها) لتوهمك ان ما أنت فيه عائق عن نهوضك لحضرته (فلو أرادك) أى أحبك وكنت من اهل الارادة (لاستعملك) استعمالا محبوبا عنده بأن يوفقك للاعمال الصالحة ويشغل قلبك به (من غير اخراج) أى مع بقائك على حالتك التى أنت عليها فاذا كان المريد على حالة لاتوافق غرضه وكانت مباحة فى الشرع لاينبغى له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم الوقت كما مر فى قوله ماترك من الجهل شيأ الخ وكذا لاينبغى له أن يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير على الله ولاخيرة له فى ذلك بل ينبغى ان يطلب حسن الادب معه وايثار مراده على اختياره فاذا علم منه مولاه ذلك استعمله استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على ماهو عليه ٢٦ فيكون اذ ذاك بمراد الله له لابمراده لنفسه وهو خير له مما اختاره ولو قال لحصل لك المطلوب من غير اخراج لكان أولى اما لو كان على حالة لاتوافق الشرع فيجب عليه المسارعة الى الانتقال والطلب من مولاه أن ينقله الى مايرضيه (ما أرادت همة سالك) أى سائر الى الله تعالى (ان تقف عند ما كشف لها) فى اثناء السلوك من المعارف والاسرار والانوار بأن يرى ان ما وصل اليه من المعرفة وذوق الاحوال ومنازلة المقامات هو الغاية القصوى والنهاية فتقف همته عنده وتعشقه وتحبه أو يرى ان مافوقه اعظم منه لكنه يقنع بذلك ويرى ان فيه الكفاية فلا يرقى بهمته أو يرى قصور همته عن الرقى لما فوقه (الا ونادته هواتف الحقيقة) أى الهواتف التى تهتف على قلبه من جهة الحقيقة الالهية ويحتمل ان المعنى الا ناداه لسان حال الحقيقة التى كشفت له سر وجد فى السير لاتقف فان (الذى تطلب) ه وهو وصولك الى المولى وعدم ركون قلبك الى شئ سواه (امامك) فلاتقف السائر عندما كشف لك (ولا تبرجت) اى اظهرت لك محاسنها (ظواهر المكونات) كتسخير الخلق لك واقبالهم عليك والتوسعة فى الدنيا وظهور خوارق العادات كتسخير الحيوانات والمشى على الماء والتربع فى الهواء والاطلاع على اسرار الخلائق وخواص الموجود وتكثير القليل من الطعام وطى الارض ونحو ذلك مما تميل النفس له (الا ونادتك حقائقها) أى بواطنها نداء معنويا وان لم تشعر به (انما نحن فتنة) أى ابتلاء واختبار (فلا تكفر) أى فلا تفتتن بنا ولا تقف عندنا ولا تجعل نفسك رفقا لنا فتحجب بنا عن الله لان ذلك كفر لحق المنعم وشكر النعم بالاقبال على المنعم فالاعراض عنه بالوقوف مع النعم عكس المطلوب

وجد بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

(لاتطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو ارادك لاستعملك من غير اخراج) كما انه اذا كان المرء على حالة لاتوافق غرضه كانت متعلقة بالدين او بالدنيا لاينبغى له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما أظهره الله فيه كما تقدم فى قوله ماترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه مع الشرط المتقدم وهو أن لايكون فى ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهى فينبغى له أيضا أن لايعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير على الله تعالى ولاخيرة له فى ذلك بل ينبغى له حسن الادب معه وايثار مراده به على اختياره هو وحينئذ يتحقق بحال يتعرف فيها محبة الله تعالى وارادته له فيستعمله استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على حالته التى هو عليها فيكون اذ ذاك بمراد الله تعالى له لابمراده لنفسه وهو خير مما اختاره قال فى التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت لو أنى تركت كل الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت فى السجن يؤتى الى كل يوم برغيفين فطال ذلك على حتى ضجرت فتفكرت يوما فى أمرى فقيل لى انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فأعطيناك ماطلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله تعالى فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ماطلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيأ وداخل فى غيره ليجد الثروة والراحة فيتعب ويقوبل بوجود التعسير عقوبة لوجود الاختيار اه كلامه فى التنوير وهو كالتفسير لما ذكره هنا فلذلك أوردته

(ما ارادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر)

السائر الى الله تعالى يتجلى له فى أثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فان أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك لاعتقاده انه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوب الذى تطلب امامك فجد فى السير ولا تقف فان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها ومالت الى حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغمض عينك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه مادامت لك همة وارادة فأنت بعيد فى الطريق لم تصل فلو فنيت عنها الوصلت وما أحسن قول الشيخ أبى الحسن التسترى فى هذا المعنى

ولا تلتفت فى السير غيرا فكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا من الترقى فى الاحوال وظهور النقص فى رؤية الكمال فرأيت أن أذكره ههنا بنصه لما فيه من سنى الفوائد وشريف المقاصد قال رضى الله عنه اعلم انك اذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيأ على ذلك بل كن فى ذلك عبدا لله أمرك ان ترفض عدوه فان أتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الناس والزهد فى الدنيا فأقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الاربعة أن تقوم عبدا لله فيما تأتى وما تذر وتراقب قلبك أن لا يرى قلبك فى المملكة شيأ لغيره فان أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العزانك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شئ رقيبا فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت انه قريب فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك أن لا يشم ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى التوبة منه بدت والانابة منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك تظهر أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ فى الاستغفار والانابة والاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع الى أوصافه فان كنت بهذه الصفة أعنى الاستغفار والانابة نادالك عن قريب اخضع لاحكامى ودع عنك منازعتى واستقم مع ارادتى برفض ارادتك وانما هى ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا تقدر على شئ فى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شئ عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من

(طلبك منه اتهام له) يعني ان المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه بما يقربه من مولاه من الاعمال الصالحة ولا يشغل قلبه بالطلب لشيء من الاشياء لان ذلك مذموم قاطع عن الله فان طلبك منه أن يرزقك بالقوت الذي يعينك على سيرك وأن يوسع عليك الرزق تهمة منك له بأنه لا يرزقك اذ لو وثقت به في ايصال منافعه اليك من غير سؤال وتيقنت انه عالم بحاجتك قادر على ايصالها لك لما طلبت منه شيأ (وطلبك له) بأن تطلب قربك منه وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك (غيبة منك عنه) اذ الحاضر لا يطلب (وطلبك لغيره) من الاعراض الدنيوية وزخارفها ومناصبها ومن المكاشفات والكرامات والاحوال والمقامات (لقلة حيائك منه) اذ لو حصل لك حياء منه لما التفت الى غيره وطلبت شيأ سواه (وطلبك من غيره) بأن توجهت الى بعض الناس لتطلب منه شيأ من اعراض الدنيا غافلا في حال الطلب عن مولاك (لوجود بعدك عنه) اذ لو كنت قريبا منه لكان غيره بعيدا عنك ولو كنت مشاهد القرب منك لا كتفيت ٢٨ به عن سائر خلقه لكن وجود البعد قضى عليك بالشعور بالغير حتى توجهت اليه وطلبت منه فالطلب كله من المريدين معلول سواء كان متعلقا بالحق أو بالخلق الا ما كان على وجه التعبد والتأدب واتباع الامر واظهار الفاقة اما العارفون فلا يرون غير الله تعالى فطلبهم ليس من المخلوق في الحقيقة وان كان منه بحسب الظاهر (ما من نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن والمعنى أن كل نفس من أنفاسك (تبديه) أى تظهره بقدرة الله تعالى لا تبديه (الاوله) تعالى (فيك قدر) أى امر مقدر عليك من طاعة او معصية أو نعمة أو بلية (يمضيه) أى يبرزه بقدرته في ذلك النفس فكل نفس يبدو منك ظرف لقدر من اقدار الحق ينفذ فيك كائنا ما كان

(طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) الطلب الذي يتصور من العبد على أربعة أوجه وكلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له اذ لو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه شيأ وطلبه له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء منه اذ لو استحيا منه انقبض عما يكرهه له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه أن لا يذكر معه غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول سواء كان الطلب متعلقا بالحق أو بالخلق الا ما كان من الطلب على وجه التأدب والتعبد واتباع الامر واظهار الفاقة والافتقار فحينئذ تزول العلة عنه (ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه) الانفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على العبد مادام حيا فكل نفس يبدو منه ظرف لقدر من أقدار الحق تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان فاذا كانت جزئيات العبد ودقائقه قد استغرقتها أحكام الله تعالى وأقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤل عنه وعن أنفاسه التي هي أمانة للحق عنده لم يبق له اذ ذاك مجال لتدبير أمور دنياه ولا محل لمتابعة شهوته وهواه (لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) اذا أقام الله تعالى عبدا في سبب من الاسباب فالواجب عليه أن يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فان تأميله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيما أقيم فيه ويوفيه

فينبغي لك الادب معه ومراقبته في كل نفس من أنفاسك فتكون في كل نفس سالكا طريقا الى الحق سبحانه وتعالى بما وهو معنى قولهم الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق (لا تترقب) أيها المريد (فروغ الاغيار) الواردة على قلبك وهي ظلمات تحدث فيه فتحول بينه وبين شهود المولى والحضور معه (فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) من الاعمال التي تتوصل بها اليه فالمطلوب منك المواظبة على ما أنت فيه ومراقبة المولى في ذلك ولا تشتغل بما ورد على قلبك من ظلمة أو نور ولو قال فان ذلك يقطعك عما هو مقيمك فيه لكان اولى ووجه كونه قاطعا أن نفسك تسول لك وتقول لو كنت من أهل الارادة لما وردت هذه الاغيار عليك مع كثرة عبادتك فيشتغل قلبك بهذه الوساوس وربما سولت لك الرجوع عما أنت قاصده وترك الاعمال الصالحة وسبب هذه الاغيار غالبا ما يرد عليك من أكدار الدنيا وذلك أمر لابد منه ولذا قال

بما يحب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال ابو حفص رضى الله تعالى عنه الفقير الصادق هو الذى يكون فى كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه اذا جنك الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك لك وتؤدى حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك واذا أصبحت فكذلك وسئل سهل رضى الله تعالى عنه متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذى هو فيه قال البغوى فى تفسيره عند قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير الشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لننظر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون ﴿لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت فى هذه الدار فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها﴾ جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل أحد فيها على مقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه فى الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها انما هو مخالفة شهوات نفسه أو موافقتها وذلك لا محالة يستدعى وجود محبوب أو مكروه بفعل أو بترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك أيضا فحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهى لا تفى بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتقلبها فصادوا بوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل فى المعنى

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قريب تقشع

فلا تستغرب وقوع أمثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها من وجدان المكاره التى هى ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا ان الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج فى اللوزينج وسيأتى التنبيه على الحكمة فى هذا عند قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفى بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه انه قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة فى الدنيا وفى معناه أنشدوا

تطلب الراحة فى دار العنا * خاب من يطلب شيأ لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة فى دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على جراحف الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها فى سرور فهو ربح وقال الامام الجنيد رضى الله تعالى عنه لست استبشع ما يرد على من العالم لانى قد أصلت أصلا وهو ان الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه ان يتلقانى بكل ما أكره فان تلقانى بكل ما أحب فهو فضل والا فالاصل هو الاول وقال أبو تراب رضى الله تعالى عنه يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليس هى لكم تحبون النفس وهى لهواها وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة

(لا تستغرب وقوع الاكدار) الموجبة للاغيار بل الاغيار فى ذاتها أكدار (ما دمت فى هذه الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) اى وصفها المستحق ونعتها الواجب أى اللازم فمن ضروريتها وجود المكاره والمشاق فيها وسيأتى التنبيه على حكمة ذلك بقوله وانما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوقوع الاكدار تزهيدا لك فيها ومن كلام جعفر الصادق رضى الله عنه من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل له وما ذاك قال الراحة فى الدنيا فينبغى للمريد الصادق أن لا يلتفت لذلك ويجد فى السير حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحى عنه وجود الاغيار وتزول عنه الاكدار بمشاهدة العزيز الغفار ثم قال

وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما فى الجنة قالوا يجب على العبد أن لا يوطن على الراحة فى الدنيا نفسا ولا يركن فيها الى ما يقتضى فرحا وأنسا وان يعمل على قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه الدنيا سجن المؤمن فتوطين العبد على المحن فى دنياه يهون عليه ما يلقاه و يجد السلوان عند فقد ان ما يهواه كما قيل فى المعنى

يمثل ذو اللب فى لبه * شدائده قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى اخر * فصير آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه * و ينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم فى نفسه * لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضا فعن قريب ان شاء الله يجلى الامر ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولى التوفيق قال احمد بن ابى الحوارى رضى الله تعالى عنه قال لى أبو سليمان الدارانى جوع قليل وعرى قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا واعلم أن ما ذكرناه من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال الله تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال عز من قائل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما ان استطعت أن تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مازورا وقال على رضى الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العدة الصبر عند الشدة وفى بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

فمن جعل الصبر معقده فى نوازله واعتده من أعظم عدده ووسائله فهو مصيب فى رأيه منجح فى سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب عند وقوع النوائب كان عاملا فيما يزيده ضرا ويكسبه وزرا و يفوته اجرا وناهيك به خسرا كما قيل

(ماتوقف) أى تعسر (مطلب) من مطالب الدنيا والآخرة (أنت طالبه بربك) أى ملاحظا فى حال طلبه ربك حاضر القلب معه معتمدا عليه فى تيسير ذلك المطلب (ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) بأن كنت غافلا عنه معتمدا على حولك وقوتك فمن أنزل حوائجه بالله والتجأ اليه وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر له كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على حوله وقوته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه ولما كان من أشرف المطالب وأقربها للقواطع والمعاطب أخذ المريد فى سلوك الطريق خصصه من العموم لزيادة الاعتناء به فقال (من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات) بداية المريد حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله والتوكل عليه والاستعانة به ان يوصله اليه لا على أعماله المعلولة نجح فى نهايته أى حصل له الوصول وأمن عليه من الرجوع من الطريق ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العارفين من ظن انه يصل الى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه ثم قال (من أشرقت بدايته) بأن عمر أوقاته بأنواع الطاعات والأوراد وثابر على ذلك كل المثابرة (أشرقت نهايته) بإفاضة الأنوار والمعارف عليه وزوال كدورات النفس الحائلة بينه وبين مولاه على وجه أتم وعكسه بعكسه فمن كان قليل الاجتهاد فى بدايته لم يحصل له اشراق فى نهايته ولو فرض انه فتح عليه كان على وجه أضعف من غيره ويحتمل أن المعنى من أشرقت بدايته بالرجوع الى الله تعالى والالتجاء اليه أشرقت نهايته بحصول الوصول اليه فتكون هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما قبلها وما قلناه أولا أولى وأظهر (ما استودع فى غيب السرائر) أى فى القلوب الغائبة أى غير المشاهدة بالابصار من المعارف والأنوار الالهية (ظهر فى شهادة الظواهر) أى فى الظواهر الشاهدة اى الحاضرة فما استودعه الله تعالى فى القلوب والسرائر من المعارف والأنوار لا بد أن يظهر أثره على الوجه والجوارح وهذه علامة يعرف بها حال المريد السالك لأن الظاهر مرآة الباطن فيستدل بذلك من أراد صحبته والاجتماع به لينتفع به.

وإذا أصبت بمصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل أيضا

وعوضت أجرا من فقيد فلا تكن * فقيدك لا يأتى وأجرك يذهب

(ماتوقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه الله تعالى فى هذه المسئلة عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التى مآل أمرها الى الدين وأشرف تلك المطالب وأكثرها قواطع ومعاطب أخذ المريد فى سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله تعالى أحق وأصوب وفى جميع جزئياته الرجوع الى الله تعالى أولى وأوجب فلا جرم كان من الرأى السديد والأمر الأكيد أن يخصصه من ذلك العام وأن يفرده عقيب هذه المسئلة بمزيد من الكلام فلذلك قال (من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله تعالى فى البدايات) للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكرنا أفلح وأنجح فى نهايته وكان وصوله الى الله تعالى فأمن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من ظن انه يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك أن يجعل معتمد أمره الاستعانة بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها فى كثير من عمله ولا قليله فهذا هو أساس السلوك الذى يبنى عليه قواعده (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى فى مهماته وثقته به فى ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربته والحصول فى حضرته (ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر) هذا بيان علامة يعرف بها حال

المريد السالك وما تعمر به باطنه من المزيد المتدارك لان الظاهر مرآة الباطن كما قيل الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره فما استودعه الله القلوب والاسرار من المعارف والانوار لابد وان تظهر آثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد العبد على غائبه من أراد صحبته والوصلة به وما أشبه هذا من الاغراض والمقاصد قال أبو حفص رضى الله تعالى عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره لايخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الادب فى الظاهر عنوان أدب الباطن قلت وآكد من ذلك أن يعرف المريد نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته فمن ادعى فى قلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند يقين شهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسايط المبعدة منه فهو كذاب فى دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال منحرفا بظاهره عن جادة الاعتدال فهو فى دعواه أكذب وحاله للنفاق والشرك أقرب قال الشيخ ابو طالب المكى رضى الله عنه قد جعل الله تعالى وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله وحده فى شئ انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره فى شئ فرحوا وجعل من نعوتهم أنهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده وافراده بشئ غمطوا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره فى ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا والكفر التغطية والشرك الخلط أى انه يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلى الكبير يعنى لا يشركه خلق فى حكمه لانه العلى فى عظمته الكبير فى سلطانه لا شريك له فى ملكه وعطائه ولا نظير له من عباده ففى دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد والافراد فى شئ انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت الوسايط والاسباب التى دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد فى القلب او وجود خفى الشرك فى السر ان كنت عارفا اه قلت وهذه المسئلة التى تضمنها كلام الشيخ ابى طالب المكى رضى الله عنه من أعظم المسائل على صدق الصادق وكذب الكاذب ومن أوضح الدلائل ولما كان قصدنا فى هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغربة الدين فى هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات

على

على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك
ولينتهج من مناصحة ربه فى دينه وقلبه أوضح المسالك واحمل على هذا الاسلوب كل كلام
لم تظهر لك مطابقته ولم يتم فى نظرك مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما
تولع به أصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله ﴿(شتان بين من يستدل به

او يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله فأثبت الامر من وجود اصله والاستدلال

عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار
هى التى توصل اليه) بنو آدم فى أول نشأتهم ومبدا خلقتهم وخروجهم من بطون أمهاتهم
موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون
شيأ ثم ان الله تعالى اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختارهم من أهل ولايته وما
ذاك الا لحصول العلم الذى تضمنه قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذى
يحقق لهم النسبة ويوجب لهم الزلفى والقربة المشار الى ذلك بقوله تعالى لعلكم تشكرون
وجعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما مراد
ومجذوب على التحقيق قال الله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب
فالمريدون السالكون الى الله تعالى فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار
والآثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم فلم يروه فهم
يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه
الكريم الاكرم وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه احتجبت الاغيار عنهم
فلم يروها فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى
بعد ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق الذى هو الوجود الواجب لاهله وهو
المختص بوصف القدم وأثبت الامر المشار به الى الآثار العدمية من وجود أصله
المشار به الى المؤثر المحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لانه استدل
بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك
لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم احتظائه بالوصول والاقتراب والا فمتى
غاب حتى يستدل عليه بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هى التى

(شتان) اى بعد ما (بين من يستدل به) على الاشياء وهم المرادون المجذوبون اليه الذين هم من أهل الشهود دائما ابتداء وأما بعد السلوك وهم العارفون فانهم لايشهدون غير مولاهم ويستدلون به على الاشياء (أو) بمعنى الواو (يستدل عليه) وهم المريدون السالكون الى الله تعالى فأهل الله تعالى على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وهم أهل الشهود وسالكين فالمريدون السالكون فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار والآثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون وهم المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف اليهم فعرفوه واحتجبت عنهم الاغيار فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم ان جذبوا ابتداء أو بعد سلوكهم ان كانوا من أهله وهم العارفون فانهم من أهل الجذب أيضا لكن لشدة تمكنهم فى أحوالهم لايظهر عليهم ولذا قيل نهاية السالك بداية المجذوب وورد أعظم الناس جذبا الانبياء والمرسلون فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك ان (المستدل به) على غيره (عرف الحق) وهو الوجود الواجب (لاهله) وهو الله تعالى أى لم يثبت الوجود الا له سبحانه وتعالى وأما الحوادث فهم عدم محض (فأثبت الامر) وهم الحوادث العدمية (من وجود أصله) وهو الله تعالى أى جعل وجودهم مستفادا من وجود الله تعالى الذى قابلهم وظهر فيهم فوجدوا والا فهم عدم محض فى نظر أرباب الشهود (والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه) فالمستدل بغيره عليه على العكس مما ذكر لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالعدم على الوجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب (والا) نقل انه من عدم الوصول (فمتى غاب) أى فلا يصح لانه متى غاب (حتى يستدل عليه) بالاشياء الحاضرة (ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) أى يستدل بها عليه لانها لا وجود لها معه عند أهل الشهود حتى توصل اليه اما المحجوبون فلا يرون الا الاكوان ويستدلون بها عليه وهم قسمان عامة وسالكون لم يصلوا الى مقام الشهود والمراد باستدلال المجذوب الذى حصلت له افاقة انه حينئذ يلاحظ الغير فيثبت بوجوده وجوده سبحانه وثبوته باثباته وليس المراد انه يستدل حينئذ بالدليل العقلى والنظر الفكرى

(لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه) اى اشارة الى حال الواصلين اليه تعالى فانهم لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم وأفيض عليهم علوم وأسرار الهية فصاروا ينفقون الغير ويتصرفون فى عوالمهم الباطنية كيف شاؤا (ومن قدر عليه رزقه ٣٤ السائرون اليه) أى اشارة الى حال السائرين اليه فهم مقدور عليهم فى ارزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من فضله من الرزق المقدر الضيق على غيرهم ويتصرفون فى عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله عزوجل (اهتدى الراحلون) أى السائرون (اليه بأنوار التوجه) أى الانوار الحاصلة من العبادات والرياضات التى توجهوا بها الى حضرة الرب فان المجاهدة بحسب العادة يحصل منها أنوار فى القلوب يهتدون بها الى الله تعالى حتى يصلوا اليه (والواصلون لهم أنوار المواجهة) أى الانوار التى واجهتهم من حضرة الرب أى أفيضت عليهم حتى عرفوه سبحانه وتعالى (فالاولون للانوار) أى عبيد لها ومحتاجون اليها للتوسل بها الى مطلوبهم (وهؤلاء) أى الواصلون (الانوار لهم) أى ثابتة لهم من غير معاناة ومشقة مع فنائهم عنها بربهم (لانهم لله لا لشئ دونه) قال تعالى (قل الله) أى توجه اليه ولا تمل الى أنوار ولا غيرها (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فافراد التوحيد بعد فناء الاغيار هو حق اليقين ورؤية ما سوى الله خوض ولعب وذلك من صفات المحجوبين (تشوفك) أيها المريد (الى ما بطن فيك من خير العيوب) النفسانية كالرياء وسوء الخلق والمداهنة وحب الرياسة والجاه أى توجه همتك الى زوال ذلك بالرياضة والمجاهدة وطلبك الخلاص منه ولا يكون فى الغالب الا على يد شيخ كامل ناصح

توصل اليه أو فقد حتى تكون الآثار الموجودة هى التى تدل عليه وأنشد

عجبت لمن يبغى عليك شهادة * وأنت الذى أشهدته كل مشهد

قال فى لطائف المنن واعلم أن الادلة انما تنصب لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لان الشاهد غنى بوضوح المشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ماهو غنى بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له وان كانت الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهى لمن وقف عندها ولم تنفذ قدرته عين الحجاب

(لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) هذه اشارة مليحة الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فأنفقوا من سعتهم وتصرفوا فى عوالمهم كيف شاؤا والسالكون اليه مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المضيق

(اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشئ دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أنوار التوجه هو ما صدر منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومكابدات ومجاهدات وأنوار المواجهة هو ما صدر من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها فى الوصول الى مقصودهم والآخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم لله لا لشئ دونه وسيأتى هذا المعنى عند قوله أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار هو حق اليقين ورؤية ما سوى الله خوض ولعب وهما من صفات الكاذبين والمنافقين قال الله عزوجل اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال الله تعالى بل هم فى شك يلعبون وقال رضى الله تعالى عنه (تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب

خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) حكم المريد أن يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي أن يحرص عليه ويصرف عنها عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء أعماله من الآفات ونقاء أحواله من الكدورات وينتفي عنه الجهل والغرور وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتابه رياضة النفس فصلا في الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله أربعة أوجه أحدها أن يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه في نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على أحواله وأعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث أن يستفيد معرفة عيوبه من أعدائه اذ لابد من جريان ذلك على ألسنتهم عند ثلبهم وغيبتهم والرابع أن يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم أنه لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو أعظم مما رآه في غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها فهذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده اه وأما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فانه حظ نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى فليطب عنها نفسا ولا يشتغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة فان نفسك تحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك * ومن الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن وهب ابن منبه رضي الله تعالى عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل ستة أيام فسأل الله تبارك وتعالى أن يريه كيف تغوي الشياطين على الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فأرسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى أرسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به أحب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالارض واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسيأتي بيان ان الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها لدى كل عالم نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه ۞ (الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه اذ لو حجبه

خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) من خفايا القدر ولطائف العبر والاسرار الالهية والمعارف اللدنية والكرامات الكونية لان ذلك حظ نفسك وليس لمولاك شيء معه فلا تقصدها بأعمالك ولا تشغل قلبك بها ولا تركن الى ما ظهر لك منها فان ذلك يقدح في عبوديتك ولذا قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطلبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ثم قال (الحق) تعالى ليس بمحجوب) أي ليس الحجاب وصفا له سبحانه (وانما المحجوب) أي المتصف بالحجاب (أنت) بصفاتك النفسانية (عن النظر اليه) فان أردت الوصول اليه والدخول في حضرته فابحث عن عيوب نفسك وعالجها تصل اليه وتشاهده ببصيرتك ثم استدل على نفي الحجاب عن الرب بقوله (اذ لو حجبه

شئ استره ماحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده) الحجاب على الحق تعالى محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم والوجود فان أراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف شاء متى شاء رأى من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وهذا مما يجب اعتقاده

﴿(اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا) أوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين احدهما ما وافق الامر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما كلية العبد وظاهره تبع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التي أشار اليها المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وترك الثقة بمجئ الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذمية والاخلاق اللئيمة وأصل فروعها وعنصر ينابيعها انما هو رؤية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع أمرها فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع جسيما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بأثر هذا وشأن الصوفي انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من أنواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه فلا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعاني صفات الربوبية

صفات

شئ استره ماحجبه) ودفع بذلك ما يتوهم من عدم استحالة الحجاب في حقه تعالى لان الحجاب انما يتخذه العظماء والرؤساء فهو ينبئ عن الرفعة ويشعر بالعظمة فمن أين نشأ النقص وحاصل الدفع أنه لو حجبه شئ كما هو شأن العظماء لستره (ولو كان له ساتر لكان لوجوده) أي ذاته (حاصر) لاستلزام الستر انحصار المستور فيه (وكل حاصر لشئ فهو له قاهر) لانه يمنعه عما وراءه ويقصره على محله ويجعله في أسر قبضته وتحت حكمه وذلك لا يصح في حقه تعالى لقوله في كتابه (وهو القاهر فوق عباده) فوقية مكانة وجلالة لا مكان ان قلت كيف جعل الحجب ملزوما والستر لازما مع ان الحجب هو الستر قلت معنى الحجب انما يشعر في العرف بما تقدم من الرفعة والعظمة ولا يشعر بحصر المحجوب ومعنى الستر على العكس فهو الذي يلزمه مع انحصار المحجوب فجعل لازما في الشرطية الاولى ليجعل ملزوما في الثانية والمعنى انا لو نظرنا الى ما تقتضيه عظمته سبحانه من ثبوت الحجاب لكان له ساتر فتغاير المقدم والتالي بهذا التأويل (اخرج) بالرياضة والمجاهدة (من اوصاف بشريتك) المذمومة سواء كانت تلك الاوصاف ظاهرة وهي القائمة بالجوارح كغيبة ونميمة

صفات العبودية وأخلاق الشياطين بأوصاف المؤمنين وطبائع البهائم بأوصاف الروحانيين من الأذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق الى هذا بأن يملك نفسه فيملكها بحضرته ويسلط عليها فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك واذا أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن معتاد ملائمها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت أن تقوى عليها فأضعفها بقطع أسبابها وحبس موادها والا قويت عليك فسرعتك اه فاذا قام بذلك المريد على الوجه الذى رسموه له والتزم الوظائف التى أمروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصفت بمحاسن الصفات التى تزينه بين العباد وينال بها من قرب ربه غاية المراد فيظهر حينئذ عليه آثار عبديته من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص فى عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه فى منعه واعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والشفقة والعطف والتأنى والوقار والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من أخلاق الايمان التى بها ينال العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة قال وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما أئمة الصوفية رضى الله تعالى عنهم بالتخلى والتحلى أى التخلى عن الصفات المذمومة والتحلى بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما أيضا بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذى يعبرون عنه أيضا وستأتى الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فاذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى أفضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى فى القرب من ربه الى أشرف محل فيكون هنالك منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله تعالى لنداء الحق مجيبا لانه اذ ذاك مناديه باسم العبد فيقول له يا عبدى فيجيبه حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يارب فيكون صادقا فى اجابته متحققا فى نسبته ويكون أيضا من حضرته قريبا لوجود بعده عن نفسه التى من شأنها النفور عنها والفرار منها فاذا أقامه الحق تعالى مقام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرا عليه أعمال الاخيار متحليا فى الظاهر والباطن بأشرف الحلى محتظيا بفضيلة التشبه بالملا الاعلى قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال الله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فرتبة العبودية انالتهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم فى محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية الا أن هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق

وقتل وسلب وباطنة وهى القائمة بالقلب ككبر وعجب ورياء وسمعة وحقد وحسد وحب جاه ومال الى غير ذلك ولما كانت أوصاف البشرية شاملة للاوصاف المحمودة كالطاعة والايمان وهى غير مرادة أبدل منها قوله (عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا) لانك اذا خرجت عن تلك الاوصاف المذمومة اتصفت بمحاسن الصفات كالتواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والخوف منه والاخلاص فى عبوديته فحينئذ يناديك نداء معنويا باسم العبد فيقول لك يا عبدى فتجيبه بقولك لبيك يارب وتكون صادقا فى اجابتك لفقد الصفات منك التى تنافى العبودية وتقتضى الربوبية (و) تكون أيضا (من حضرته قريبا) فتحفظ من الاوزار وتتيسر لك الاعمال وتتلذذ بها والفرق بين المحفوظ والمعصوم ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل له زلات ولكن لا يكون منه اصرار بل يتوب من قريب واعلم أن التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل هو حقيقة السلوك عندهم ولا يتم ذلك الا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات لان من عرف ذلك منها لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع فيما يسخط مولاه من حيث لا يشعر واذا قال

بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما هو ما قاله الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه ان المعصوم لايلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل منه هفوات وقد يكون له فى الندرة زلات ولكن لايكون له اصرار أولئك الذين يتوبون الى الله من قريب وقد وصف الله تعالى عباده ذوى التخصيص أولى التطهير والتمحيص فى آيات كريمة بصفات جليلة عظيمة وأعدلهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وعليك النظر فيما قاله فيها أهل التفسير وما استنبطه منها أرباب الاشارات والتذكير وأما من عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو حظوظهم الدنيوية قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد العدد المعنيين بقوله عز وجل انْ كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا واعلم أنه لايتهيأ هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لايزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والاوقع فى المعاصى والذنوب من حيث لايشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله تعالى على هذا بقوله

(أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها) الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل * وعين الرضا عن كل عيب كليلة * وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولايغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل فى الشطر الاخير * كما أن عين السخط تبدى المساويا * فمن رضى عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعى الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير مايدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع فى المعاصى لامحالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلايكون لها عليه غلبة ولاقوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل مانهاه الله عنه محافظا على جميع ما أمره به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا الاشئ أوجب على العبد

التعلق بما يشغل عن الله تعالى (الرضا عن النفس) باجماع العارفين وأرباب القلوب لان الرضا عنها يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا فمن رضى عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة عن الله وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور عليه حينئذ دواعى الشهوات وتغلبه اذ ليس عنده من المراقبة مايدفعها ومن غلبته شهوته وقع فى المعاصى لامحالة (وأصل كلّ طاعة) أى موافقة للامر والنهى (ويقظة) أى دخول فى حضرة الرب وتنبه لما يرضيه (وعفة) أى علو الهمة عن الشهوات (عدم الرضا منك عنها) فانّ من لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متنبها متيقظا للطوارق والعوارض وبالتيقظ يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلايكون لها عليه غلبة ولاقوة فيتصف حينئذ بالعفة واذا اتصف بذلك كان مجتنبا لكل مانهى الله عنه محافظا على جميع ما أمر الله به وذلك معنى طاعة الله سبحانه ولما كان الرضا عن النفس شأن من

يتعاطى العلوم الظاهرية التى لاتدل على عيوب النفس نهى المصنف عن صحبتهم ومخالطتهم فقال

من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها أكثر من ان يحصى ولذلك قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال أيضا أبو حفص رضي الله تعالى عنه منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي رضي الله تعالى عنه أنه قال اني لانظر الى وجهي في اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أيضا رضي الله تعالى عنه من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني الا منهم الى غير هذا من العبارات الصادرة من المشايخ رضي الله تعالى عنهم في هذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه جزأ صغير الجرم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك ألف قبله الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي كتابا سماه النصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية ونبه فيه على سنن دارسة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وأنفسهم والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام أبو حامد الغزالي قدس الله روحه منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد أن أثنى على مؤلفه بما هو أهله فبان للجاهل به علمه وفضله فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله تعالى حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان أوحد زمانه علما وعبادة ونخبة أوانه ورعا وزهادة سيدي الحاج أبو العباس بن عاشر رحمة الله تعالى عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظنني سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الا ولي أو كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا منه توفيقا وارشادا اليه نصحا ولاه في مراعاة اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق في مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب التصوف وموالاة أهله بالتألف والتعرف فبذلك تتقوى أنوار ايمانه ويقينه وتنتفي عنه الغرة في عمله بوظائف دينه ولا يقدم على

(ولان) أى والله لان (تصحب) أيها المريد (جاهلا) بالعلوم الظاهرية (لا يرضى عن نفسه) بأن يسخط عليها ويعتقد نقصها (خير لك من ان تصحب عالما) بذلك (يرضى عن نفسه) لان صحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض لك لان الصحبة تؤثر فتكتسب منه هذا الوصف الخبيث فصار علمه غير نافع لك فى تهذيب نفسك وجهله الذى أوجب رضاه عن نفسه ضار لك غاية الاضرار وكأنه اذا فاته العلم بعيوب نفسه حتى لا يرضى عنها لا علم عنده فلذا قال (فأى علم لعالم يرضى عن نفسه) وصحبة من لم يرض عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيها كل الفائدة لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله فصار جهله غير ضار لك وعلمه الذى أوجب عدم رضاه عن نفسه نافعا لك غاية النفع وكأنه اذ علم بعيوب نفسه حتى لم يرض عنها لا جهل عنده ولذا قال (وأى جهل ٤٠ لجاهل لا يرضى عن نفسه) لانه اذا حصل له هذا العلم صار لا جهل عنده حتى يتضرر به مخالطه فتكون صحبته خيرا محضا فالتنوين فى قوله علم وجهل للتنويع أى فأى علم نافع وأى جهل ضار ثم قال (شعاع البصيرة) ويعبر عنه بنور العقل وبعلم اليقين (يشهدك قربه منك وعين البصيرة) ويعبر عنه بنور العلم وبعين اليقين (يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة) ويعبر عنه بنور الحق وبحق اليقين (يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) والحاصل أن السالك ينقذف على قلبه أنوار الهية يعبر عنها بهذه العبارات ويترتب على كل واحد ثمرات وفوائد قال بعضهم ولا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وبين المصنف ان الذى ينكشف بالنور الاول قرب الله منك وثمرة ذلك ونتيجته مراقبته تعالى والاستحياء منه حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك والذى ينكشف بالثانى ولا عدمية كل موجود فى وجود الحق تعالى فيشهد الاكوان عدما فلا يعبأ بها ولا يلتفت اليها اذ وجودها عارية والوجود الحقيقى له سبحانه وتعالى وثمرة ذلك أن لا يبقى فى نظرك ما تستند اليه ولا ما تستأنس به فيتم لك التوكل والتفويض والرضا والاستسلام والذى ينكشف بالثالث الذات المقدسة وثمرة ذلك الفناء الكامل الذى هو دهليز البقاء فيفنى عن فنائه وعدمه اسما لا كافى وجود سيده وناهيك بما يحصل له حينئذ من المواهب والاسرار الالهية فاذا ترقى عن ذلك حصل فى مقام البقاء قال صاحب العوارف والباقى فى مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفانى محجوب بالحق عن الخلق اه (كان الله

ذلك الا فرض العين وما يستجم به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه بعلم يغبر على وجه مقصوده ويوجب له اشكالا موانعه وعهوده وهو ما أكب الناس عليه اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى أكبهم ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما صار بهم الى الهلاك والشقاء وأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب فى دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضاه ولا هم فاياك واياهم وأنشد

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

ولذلك قال المؤلف (ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) فائدة الصحبة انما هى الزيادة فى الحال وعدم النقصان فيها حسبما يأتى الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فائدة فيها لان علمه غير نافع له وجهله الذى أوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكأنه اذ فاته هذا العلم الذى يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لا يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذى أوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكأنه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم أى بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا أنفسهم عدما فى وجود ربهم والمحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه (كان الله

ولاشئ معه) يعني ان هذا حال من هو متحقق بمقام الفناء وهو عدم رؤية غير مولاه (وهو الآن على ما عليه كان) أي ان الامر الذي حصل لذلك المشاهد وهو ان الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وغيره لا وجود له هو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع وعدم ادراك ذلك له قبل ذلك انما هو لوجود الحجاب فقوله وهو الآن أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف على ما عليه كان أي هو متصف به في الواقع وقبل ادراك هذا المشاهد لكن عدم ادراكه ذلك انما هو للحجاب القائم به ثم قال (لا تتعدنية همتك) أيها السالك (الى غيره) بأن تتوجه الى غيره لتحصيل حاجتك بل اطلب حوائجك منه (فالكريم لا تتخطاه الآمال) فالهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة الا الله اذ الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجى ويغنيه عن الوسائل والشفعا وهذه الصفات لا يستحقها حقيقة الا الله سبحانه وتعالى فينبغي ان لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره واعلم ان الطلب من الخلق المنافي للعبودية هو الطلب منهم على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم والغفلة في حال الطلب عن الله تعالى اما الطلب منهم من حيث كونهم اسبابا ووسايط مع الاعتماد في نيل المطلوب على الله ورؤية انه المعطي فليس منافيا للعبودية ثم قال (لا ترفعن) ايها المريد (الى غيره

٦ عبا ل حاجة) أي فاقة أو نازلة نزلت بك أي لا تتوجه في زوالها الى غيره وتطلب منه أن يرفعها عنك فان تلك الفاقة أو النازلة (هو موردها عليك) أي منزلها بك (فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا) اذ هو الغالب الذي لا يغلبه شئ وأيضا (من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه) اذا نزلت به (فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا) اى فيستحيل ذلك لثبوت عجزه وضعفه وحاصله ان المرفوع اليه حوائج لم يتوصل اليها ولو كان مالكا ولا شك ان نفسه احب اليه من غيره فلو كان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فلزم عجزه عن نفع غيره اذ ما بعد العجز عن نفع النفس عجز فيكون من قلة العقل تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك

ولاشئ معه وهو الآن على ما عليه كان) الازمنة ههنا أمور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود ان الله تعالى لاشئ معه لثبوت أحديته

فلم يبق الا الحق لم يبق كائن * فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى * بعيني الا عينه اذ أعاين

وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى الاكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته

وقال قدس الله سره ❁ (لا تتعدنية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال) الهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال الجنيد رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يحوجك الى مسئلة وقال الحرث المحاسبي رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يبالي من أعطى وقيل الكريم الذي لا يخيب رجاء المؤملين وأجمع العبارات في معنى وصف الكريم ما قيل الكريم الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي اذا أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدي احدا رفدا
ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

❁ (لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها من غيره رافعا) اذا أورد الله تعالى عليك حاجة او انزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده في ان لا فاعل سواه واذ هو غالب على امره

لايغالبه أحد ويستحيل أيضاً أن يرفعها عنك من لايستطيع ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به اثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو فى غرور لما لايدوم ولايدوم شئ سواه وهو الدائم القديم الذى لم يزل ولايزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء فى كل نفس وحين وأوان وزمان قال عطاء الخراسانى رضى الله تعالى عنه لقيت وهب بن منبه فى الطريق فقلت حدثنى حديثاً أحفظه عنك فى مقامى وأوجز قال أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود اما وعزتى وجلالى لاينتصر بى عبد من عبادى دون خلقى أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً أما وعزتى وجلالى وعظمتى لايستعصم عبد من عبادى بمخلوق دونى أعلم ذلك من نيته الا قطعت أسباب السموات السبع من دونه واسخت الارض من تحته ولاابالى فى أى واد هلك * قال محمد بن الحسين بن حمدان كنت فى مجلس يزيد بن هرون وكان الى جانبى رجل قلت له ما اسمك فقال سعيد فقلت ما كنيتك قال ابو عثمان فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتى فقلت ومن تؤمل لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت اذا لايسعفك بحاجتك ولاينجح طلبك ولا يبلغك أملك فقال وما علمك بهذا رحمك الله قلت انى قرأت فى بعض الكتب ان الله عز وجل يقول وعزتى وجلالى وجودى وكرمى وارتفاعى فوق عرشى فى علو مكانى لأقطعن أمل كل مؤمل لغيرى بالاياس ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربى ولأقطعنه من وصلى أيؤمل غيرى فى النوائب والشدائد بيدى وأنا الحى ويرجى غيرى وتطرق الفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى من ذا الذى أملنى لنائبة فقطعت به دونها ومن ذا الذى رجانى لعظيم جرمه فقطعت رجاءه منى أم من ذا الذى قرع بابى فلم أفتحه له جعلت آمال خلقى بينى وبينهم متصلة فتعلقت بغيرى وجعلت رجاءهم مدخوراً لهم عندى فلم يرضوا بحفظى وملأت سمواتى ممن لايملون تسبيحى من ملائكتى وأمرتهم أن لايغلقوا الابواب بينى وبين عبادى فلم يثقوا بقولى ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى أنه لايملك كشفها أحد غيرى فمالى أراه باً مالِهِ معرضاً عنى ومالى أراه لاهياً بسواى أعطيته بجودى مالم يسألنى ثم انتزعته منه فلم يسألنى رده وسأله غيرى افترانى أبدأ بالعطية قبل المسئلة ثم أسئل فلا أجيب سائلى ابخيل انا فيبخلنى عبدى أليس الدنيا والآخرة لى اوليس الرحمة والفضل بيدى اوليس الوجود والكرم لى اوليس انا محل الآمال فمن ذا الذى يقطعها دونى وما عسى ان يؤمل المؤملون لو قلت لاهل سمواتى واهل ارضى املونى ثم اعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما اعطيت الجميع مانقص ذلك من ملكى عضو ذرة كيف ينقص ملك كامل انا قيمه فيابؤس القانطين من رحمتى ويابؤس من عصانى ولم يراقبنى وثبت على محارمى ولم يستحى منى قال رحمك الله أمل هذا الحديث على فكتبته ثم قال والله

لا كتب حديثا بعده قلت والاصل الذي ينبني عليه هذا المعنى هو تحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى ولذلك اخذ المؤلف رحمه الله تعالى في ذكره باثره فقال

(ان لم تحسن ظنك به لاجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا حسنا وهل اسدى اليك الا مننا) حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من التغير والانقلاب في احدهما ما يخاف في الآخر لان ارباب المقام الاول لما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واحتظوا بأنوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وارباب المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة عليهم في كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها بهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن بالله وتحدث النفس بما يقتضي وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وما اشبهه وليقس النادر على الغالب * قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله تعالى عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان يكون او لا يكون لان الوهم قاتل وهو لوقت ثان فتى اعطيت اذنك للوهم هلكت وحدك وكذلك الاصغاء بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد اه قلت وحسن الظن يطلب من العبد في امر دنياه وفي امر آخرته اما امر دنياه فان يكون واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعي فيها او سعي خفيف مأذون فيه ومأجور عليه بحيث لا يفوته ذلك شيأ من نفل ولا فرض فيوجب له ذلك سكونا وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب واما امر آخرته فأن يكون قوي الرجاء في قبول اعماله الصالحة وتوفية اجوره عليها في دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر والتكثير من اعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى بن معاذ أوثق الرجاء رجاء العبد لربه واصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التي لا ينبغي للعبد ان يفارقه فيها اوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب في الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع والسخط وسيأتي هذا المعنى في كلام المؤلف رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن اعظم مواطن حسن الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفي حديث جابر من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ولانه تعالى قال فيما روى عنه انا عند ظن

(ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه) أي لاجل ما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية فان من كان متصفا باسنى الصفات لا يصدر منه الا الجميل سيما لمن ظن به الجميل (فحسن ظنك به لاجل معاملته معك) من اسباغ النعم وشمول الفضل والكرم (فهل عودك الا حسنا وهل أسدى اليك الا مننا) اي نعما اشار بذلك الى ان الناس في حسن الظن على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر فكانه قال ينبغي لك ايها المريد ان تحسن ظنك به مطلقا في ايصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره فان لم تقدر على حسن الظن الذي هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة وحسن الظن به لوصفه ينتج لك محبته وصحة الاعتماد والتوكل عليه وحسن الظن به لوجود معاملته معك ينتج لك شكر نعمته والتشوف لورود فضله ورحمته

(العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه) وهو الله تعالى بان لا يفعل ما يقربه اليه (ويطلب ما لا بقاء له معه) وهو الدنيا وكل شئ سوى المولى أن يقبل على شهواته ٤٤ ويتبع هواه (فانها لا تعمى الابصار الآية) اى ان ذلك ناشئ من عمى قلبه

عبدى بى فليظن بى ما شاء * قال أبو طالب المكى رضى الله تعالى عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى الا أعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه له اه وقد روى عن أبى النصر بن حيان قال خرجت عائدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو فى فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وطفق يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الاسود بكفى واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شئ تخبرنيه قال لا تسألنى عن شئ أعلمه الا أخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظنى والله بالله حسن قال فابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدى بى ان ظن خيرا وان ظن شرا وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله قلت والاخبار والآثار فى الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة فى هذا المقام فمن أراد الشفاء فى ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء قال بعضهم

ومازلت أرجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الصنع ما هو صانع

ثم بين رحمه الله تعالى الحالة التى بمنازلتها يتحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله وتعلق قلبه بوحدانيته وأشار الى أن ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الامانى لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم المعقول والامنيات التى تفنى وتزول وحكم بان خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحق أن يتعجب منه كل ذى لب فقال

(العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار الآية) هرب العبد من مولاه واقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك نتيجة عمى قلبه وجهله بربه لانه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وآثر الفانى الذى لا بقاء له على الباقى الذى لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقى على الفانى ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا بربهم اذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا الآية ثم قالوا والله خير وأبقى فهؤلاء استنارت قلوبهم وشاهدوا محبوبهم فكان لهم ما كان (لا ترحل من

كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى) العمل على طلب الجزاء

ووجود جهله بربه لانه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وآثر الفانى الذى لا بقاء له على الباقى الذى لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لعكس الامر ثم قال (لا ترحل من كون الى كون) يعنى ان العمل المصاحب للرياء ونحوه مذموم غير معتد به شرعا فاذا جاهد المريد نفسه حتى خلص من ذلك ولكن قصد به الجزاء والدرجات او نيل الرتب العلية والمقامات لم يزل مذموما ايضا عند العارفين والمحمود ان يقصد به وجه الله تعالى ثم شبه المصنف الرحيل من كون الى كون بقوله (فتكون كحمار الرحا) اى الطاحون (يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه) وكذلك العمل لطلب الجزاء فيه رحيل من كون وهو الرياء ونحوه الى كون وهو ما ذكر من طلب الجزاء وسببه بقايا النفوس فتطلب بعملها رتبة عند الله وكل ذلك من الاكوان والاكوان كلها متساوية فى كونها اغيارا (ولكن ارحل من الاكوان الى المكون) بأن تخلص عملك لمولاك وحده دون حظ عاجل او آجل فمن عمل لاجل الدرجات او المقامات فهو عبدها ومن عمل لله فهو عبد الله وهو راحل من الاكوان الى المكون (وان الى ربك المنتهى) اى فقد انتهى سيره الى الله وصار متحققا بمعنى هذه الآية بخلاف المرتحل من كون الى كون فانه غير منته له ولا واصل اليه

والدرجات

والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات نقصان في الحال وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس في أن تحصل لها رتبة أو تنال بسعيها وهبة وهذه كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية في كونها اغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحا مبالغة في تقبيح حال العاملين على رؤية الاغيار وتلطف في دعائهم الى حسن الادب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى وأن الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على أي حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من أهله بمنه وفضله انه على كل شئ قدير

❁ (وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم) في هذا الحديث النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره وموضع الاعتبار والتأمل هو والله أعلم قوله في القسم الثاني فهجرته الى ماهاجر اليه أي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا في الخبر كما تقول زيد صديقي أي لا صديق لي غيره وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني بالدنيا التي يريد أن يصيبها والمرأة التي يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهرها طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ماهاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذي نهي عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له التفات الى غير ولا كون البتة ولقد أحسن الشاعر في قوله

وكل ماقد خلق الله ومالم يخلق * محتقر في همتي * كشعرة في مفرقي

قال رجل لابي يزيد رضي الله تعالى عنه أوصني فقال له ان اعطاك من العرش الى الفرش فقل له لا أنت أريد وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت ركعتين لاني في الفردوس بحظي وفي الركعتين بربي وقال الشبلي رضي الله تعالى عنه احذر مكره ولو في قوله كلوا واشربوا يريد لا تستغرق في الحظ ولتكن في كل شئ به لا بنفسك فقوله تعالى كلوا واشربوا وان كان ظاهره اكراما وانعاما فان في باطنه ابتلاء واختبارا حتى يتظر من هو معه ومن هو مع الحظ

(وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) اي بالقصد والنية (فهجرته الى الله ورسوله) في الواقع ونفس الامر فهي محمودة معتدبها (ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم) يعني ان في هذا الحديث تنبيها على المعنى المذكور وموضع الاعتبار والتأمل هو الشق الثاني أعني فهجرته الى ماهاجر اليه فان معناه أنه لا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر الى الله ورسوله وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالدنيا والمرأة على حظوظ النفس بالوقوف معها كائنة ما كانت فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون الذي هو مطلوب من العبد وهو مصرح به وقوله فهجرته الى ماهاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو مشار به غير مصرح * ولما كان حاصل ما تقدم طلب رفع الهمة عن الخلق وتعلقها بالملك الحق وأبلغ ما يوصل الى هذه المرتبة صحبة العارفين بالله تعالى أمر بها في ضمن قوله

(لاتصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) بأن لا يكون حاله وهمته متعلقة بالله ومقاله لا يدل عليه وان كان من العباد والزهاد فصحبته للمريد منهى عنها بخلاف صحبة من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله بأن تكون همته متعلقة بالله مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ فى حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل فى أموره الا عليه سبحانه وتعالى قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضى لها حظا ويكون فى جميع أعماله جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفات العارفين بالله تعالى فصحبته من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله مأمور بها للمريد لانها جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية اذ الطبع يسرق من الطبع بخلاف من لم يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة الظاهرة لا غير فلا فائدة فى صحبته ثم لا يخلو اما أن يكون مثلك فلا يحصل لك من صحبته ضرر واما أن يكون دونك وهو ما أشار اليه بقوله

قال رضى الله تعالى عنه ۞ (لاتصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) تكلم ههنا فى الصحبة وهى أصل كبير من أصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك استمر عليها شأنهم قديما وحديثا وقد نبه المؤلف رحمه الله على فائدتها فى قوله لاتصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة ههنا هو أن تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ فى حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل فى أموره الا على الله قد سقط اعتبار الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقط نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضى لها حظا ويكون فى أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين الموحدين فصحبة من هذه حاله وان قلت عباداته ونوافله مأمونة الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله ولا يشترط فى المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه أن يتصف منها بما يفوق صاحبه به فقط بحيث يكون أعلى منه حالا وأصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شأنه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فائدة فى صحبته بل ربما زادته شرا لان خلطته تدعوه الى التصنع له والتزين ويؤديه ذلك الى كبائر معاصى القلوب وهى أشد عليه من معاصى الجوارح بكثير ۞ قال يوسف بن الحسين الرازى رضى الله تعالى عنه لأن ألقى الله بجميع المعاصى أحب الى من أن ألقاه بذرة من التصنع فيدخل بذلك عليه النقص فى حاله من حيث رجاء الزيادة فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالادب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يصحبك ويكثر ذكرك فقال انه لحبيب الى وأجله وأعرف قدره ولكن يهون على أن ألقى الشيطان ألف مرة ولا ألقاه مرة واحدة قيل له وكيف ذلك قال أخشى أن أتزين له ويتزين لى قال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله تعالى عنه وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون الا على استواء أربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض ان أكل صاحبه الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه أفطر وان نام الليل كله لم يقل له صاحبه قم فصل وان صلى الليل كله لم يقل له صاحبه نم بعضه وتستوى أحواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه قالوا واذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين وأبعد من المراآة من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بأن يرى حالها التى عرفت به وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتلب ما يوجب

المدح منهم ويجتنب ما يوقع الذم عندهم فاذا صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك طريق الصادقين ولا بغية المخلصين فجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلوب وأسلم للدين وفى معاشرة أمثالهم فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه أسباب الرياء وفى الرياء حبط الاعمال وخسران رأس المال والسقوط من عين ذى الجلال وكان الثورى رضى الله تعالى عنه يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وكان بعض الحكماء يقول لاتؤاخ من الناس من يتغير عليك فى أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعانى تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال فى موضع آخر من كان ناظرا الى اخوة أخيه أو فى صحبته لكثرة أعماله أو واقفا مع أكمل أحواله دل على جهله بهذه الطريق التى تنفذ الى التحقيق لانها تحول وانما العمل على حقائق القلوب لانها ثابتة فى الاصول فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده أثره فيدخل ذلك فى الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه واضرهم له ويصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته وتدخل عليه الآفات بمقاربته ولينفرد بنفسه ويصدق فى حالة عالية كانت أو دنيئة وضيعة كانت أو رفيعة من غير مقاربة أحد ولا مباينته فهو خيرله وأحمد عاقبة اه ويدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذى ذكرناه فى التنبيه على قوله لاتصحب من لا ينهضك حاله ما أعقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين فى كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة * قال سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازى رحمه الله تعالى قلت لذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه من أصحب فقال من لاتكتمه شيأ مما يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضى الله تعالى عنه أصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى أن العجب بالعمل منتفى عندهم فى صحبتهم وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله بالمريد خيرا أرفقه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال على رضى الله تعالى عنه شر الاصدقاء من أحوجك الى المداراة وألجأك الى الاعتذار وقال مرة شر الاصدقاء من يتكلف له وأنشد ابو يوسف بن الحسين الرازى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أحبه * ويحفظنى حيا وبعد مماتى

فمن لي بهذا الذي قد وجدته * فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم وسريان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضره منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك في الصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر له كل شئ ولم يسخر هو لشئ وسلط على كل شئ ولم يسلط عليه شئ يأخذ النصيب من كل شئ ولا يأخذ النصيب منه شئ يصفو به كدر كل شئ ولا يكدر صفوه شئ قد شغله واحد عن كل شئ وكفاه واحد من كل شئ فانظر رحمك الله هذه لصفات ما أعظمها وأجلها وما أشرف حال من اتصف بها وما أعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفي صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل * قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله تعالى عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضي الله تعالى عنه والله ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضي الله تعالى عنه الولي اذا أراد أغنى وقال أيضا رضي الله تعالى عنه والله ما بيني وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وقال فيه شيخه أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء الا وقد وصله الى الله وسيأتي طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله تعالى في صحبته وما أوصله اليه ببركة رؤيته عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز ۞ (ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك) هذه أعظم آفة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال وهي استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن نفسه ورؤيته لاحسانها وهو أصل كل شر كما تقدم ۞ (ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب) مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا في الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في اخلاص أعمالهم من مرآة الناس والتصنع لهم وطلب

ورؤية احسانها أصل كل شر فان أردت ولا بد أن تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فاصحب مثلك حتى تكون في صحبته لا لك ولا عليك ثم اعلم ان صحبة العارفين على قسمين صحبة ارادة وصحبة تبرك فصحبة الارادة هي التي يشترط لها الشروط المعروفة التي حاصلها ان يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل وصحبة التبرك هي التي يكون القصد بها الدخول مع القوم والتزيي بزيهم والانتظام في سلك عقدهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وانما يؤمر بلزوم حدود الشرع ولعله بمخالطة الطائفة تعود عليه بركتهم ويصل الى ما وصلوا اليه (ما قل عمل برز من قلب زاهد) اي غير متعلق بالدنيا بل هو وان كان قليلا في الحس كثير في المعنى لسلامته من الآفات القادحة في قبول الاعمال من الرياء والتصنع للناس وطلب الاعراض الدنيوية وعدم حضور القلب مع المولى في حال فعله لقلة الوساوس الشيطانية الناشئة من حب الدنيا (ولا كثر عمل برز من قلب راغب) في الدنيا بل هو وان كان كثيرا في الحس قليل في المعنى لعدم سلامته مما ذكر وقد روى عن ابن مسعود انه قال

(حسن الاعمال) بخلوصها عما يعوقها عن القبول من الرياء وغيره وحضور القلب مع الله فى حال فعلها وعدم اشتغاله بغيره من
الوساوس الشيطانية (نتائج حسن الاحوال) القائمة بالقلوب من الزهد ٤٩ فى الدنيا والاخلاص لله بأن يقصد بعمله
عبودية الله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل (وحسن الاحوال) ناشئ (من التحقق) اى التمكن (فى مقامات الانزال) أى فى المقامات التى تنزل فى قلوب العارفين وهى معارف الهية يوردها الله تعالى على القلوب تكون سببا فى ترك الدعوى وعدم الالتفات الى جنة أو هرب من نار فان المريد اذا حصل له ذلك راقب مولاه بقلبه فلا يقصد بعمله غيره واذا حصل ذلك تخلص العمل عما يعوقه عن القبول وهذه الحكمة كالدليل لما قبلها ولما كانت الخصال المحمودة لا تنشأ غالبا الا من كثرة الذكر والمداومة عليه ذكره بقوله (لا تترك) أيها المريد (الذكر) بل لازمه وداوم عليه فانه أقرب الطرق الى الله تعالى وعلامة على وجود ولايته فمن وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية فلا تتركه (لعدم حضورك) أى حضور قلبك (مع الله فيه) بأن كان مشتغلا بالوساوس الشيطانية والاغراض الدنيوية (لان غفلتك عن وجود ذكره) بأن تتركه (أشد من غفلتك) الحاصلة (فى وجود ذكره) لان ترك الذكر فيه بعد عن الله تعالى بالقلب واللسان بخلاف الذكر فانك ان بعدت عنه
٧ عبا ل بقلبك فأنت قريب بلسانك فعليك أن تذكر الله به وان كان قلبك غافلا حال الذكر (فعسى أن يرفعك) أى يرقيك

الاعواض الدنيوية عليما منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول أعمالهم فيتوفر لهم قليلها بحسب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الآفات المبطلة لاعمالهم القادحة فى اخلاصهم بسبب رغبتهم فى الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقال فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعنى خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما أخلصت فيه النية لوجه الله العظيم ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعنى غير خالص وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم فى الدنيا وعن بعض الصحابة أيضا قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى أمر الدنيا والآخرة أبلغ من الزهد فى الدنيا وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه سألت معروفا الكرخى رضى الله تعالى عنه عن الطائعين لله بأى شئ قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شئ منها فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة فى قلبه فقال لان عندك بنت ابليس وهى الدنيا ولا بد للاب ان يزور ابنته فى بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان أبو محمد بن سهل رضى الله تعالى عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله قال ولا يرى فى القيامة أحد أفضل من ذى زهد عالم ورع ۞ (حسن

الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق فى مقامات الانزال) حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة الصدق والتحقق فى مقامات الانزال هو ارتواء القلب بما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفى عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام أبو حامد رضى الله تعالى عنه لابد فى كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذى ذكره المؤلف رحمه الله تعالى نوع استدلال على ما قاله فى الزاهد والراغب ۞ (لا تترك الذكر لعدم حضورك

مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك

من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) الذكر أقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل قال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت داخله * لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز فاذكروني أذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة لكان في ذلك اكتفاء وغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير مؤقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره في الاحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد أن يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهي مرتبة العارفين المحققين من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت أي اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا الله وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى أنشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يقلقني * سري وقلبي وروحي عند ذكراك

(من ذكر مع وجود غفلة) عن المولى (الى ذكر مع وجود يقظة) أي تيقظ لما يناسب حضرته سبحانه من الادب وعدم الاشتغال به بغيره (ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور) بأن يدخل القلب حضرة الرب فيراقبه حال ذكره ولا يغفل عنه (ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور) وهو الله بأن يفنى حتى عن الذكر فيصير يخرج منه الذكر من غير قصد وحينئذ يكون الحق لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقيقتها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بشيء من ذلك فتهلك مع الهالكين * ولما كان المريد ربما يستبعد الوصول الى ذلك نهاه بقوله (وما ذلك على الله بعزيز) لانه قادر على كل شيء فعلى المريد القيام بالاسباب ومن الله الوصول ورفع الحجاب

حتى كأن رقيبا منك يهتف بي * اياك ويحك والتذكار اياك
اماترى الحق قد لاحت شواهده * وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرا الى هذا المقام الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه وقال أبو العباس بن البنا فى كلام ذكره على مقدمة كتاب أبى العز تقى الدين بن المظفر الشافعى وهو كتاب الاسرار العقلية فى الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور بحل ذكره وهذا هو الذكر الخفى عند المتصوفة على الاستقرار والتمكن فى الاسرار وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق ويتجلى منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذى ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وان سمع كان سمعه الذى يسمع به قد استولى المذكور العلى على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء فى مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك فى قوله الحق وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أى فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى فكادت أن تبدى به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها التصريح بذكره صبرا مما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل فى شأن موسى وبأنه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذى ذكره أبو العز ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين فى بادى الرأى وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم فى الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا يجرى عليه صفات المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل شئ وأقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخلقة فلا تلحقه أوصافها وأوجد الاعداد فلا تحصره معانيها سبحانه هو العلى الكبير انتهى كلام الشيخ أبى العباس رحمه الله فى معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو فى غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من أهل هذا الطريق فلا ينبغى أن يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق

(من علامات موت القلب) أي قلب المريد (عدم الحزن على مافاتك من الموافقات) أي الطاعات (وترك الندم على

الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب ﷺ وقال رضي الله عنه (من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على مافعلته من وجود الزلات) القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على مافاته من الطاعات وندم على مافعله من الزلات ومقتضى هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصي والسيئات وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على مافاته والندم على ما أتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبيل أن أعمال العبد الحسنة والسيئة علامات على وجود رضا الله تعالى عن العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا خذله ولم يعصمه فعمل بالمعاصي ساءه ذلك وأحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على مافاته منها أمنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها اياسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه آت فلما دنا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها الليل ستا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وأنضيت راحلتي لأسألك عن اثنتين أسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئلت عنها قال جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف أصبحت يا زيد قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل به واذا فاتني حننت اليه واذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد ولو أرادك الله للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي واد هلكت فقال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يثبت

ﷺ (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه) عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين أحدهما أن يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد كما قلنا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه قال به هكذا فأطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني ان يعظم عنده عظمة توقعه في اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله حق المعرفة لاستصغر ذنوبه

في

مافعلت من وجود الزلات) أي من الزلات التي توجد منك وعلامة حياته بالانوار الالهية وان لم تدركها لغلظ حجابك وحزنك على مافاتك من الطاعات وندمك على مافعلت من الزلات فتفرح بصدور الاعمال منك فرحا شديدا وتغتم على صدور المخالفات وذلك دليل على أنك من أهل الارادة المحبوبين لله بخفة في السير ولا تكسل (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله) بأن توقعك في اليأس والقنوط فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر لك من ذنوبك وسببها جهلك بصفات مولاك ووقوفك مع نفسك (فانه من عرف ربه) معرفة حقيقية (استصغر في جنب كرمه ذنبه) فأي ذنب لا يسعه عفوه سبحانه أما عظمة الذنب التي تحمل مرتكبه على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لا يعود الى مثله فهي عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد قال ابن مسعود ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فأطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله

في جنب كرمه وفضله فأي قدر للعبد أو قيمة حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه أن يغفره قال في التنوير واعلم أنه لا بد في مملكته من عباد هم نصب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وجاء رجل الى الاستاذ أبي الحسن قدس الله سره العزيز فقال ياسيدي كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال ياهذا كأنك تريد أن لا يعصى الله تعالى في مملكته من أحب أن لا يعصى الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم له وكم من مذنب كثرت اساءته ومخالفته وجبت له الرحمة من ربه فكان له راجيا بقدر اساءته وان عصى عالما اه فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤديه الى أن يلقي بيديه اياسا من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه أن يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا فنبهك بهذا على أن الذنب مانع من وجود العجب الذي هو أعظم حجاب بين العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك ومساكن له بخلاف ذلك الذنب لانه يوجب له الخوف والحذر والالتجاء الى الله تعالى والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار وأحب أوصاف العبد الى الله عز وجل افتقاره الى مولاه وأشرف أحوال المؤمن ما يرده اليه ويقبل به عليه

(لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله) اذا ظهرت الصفات العلية بطلت أعمال العاملين فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحبه اضمحلت سيآته ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله تعالى عنه الهي ان أحببتني غفرت سيآتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما أحسن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه في دعائه ومناجاته واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسيأتي من مناجاة المؤلف رحمه الله في مثل هذا المعنى قوله الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك (لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده) في النسخ الموجودة بأيدينا

(لا صغيرة) من ذنوبك بل كلها كبائر (اذا قابلك عدله) وهو تصرفه في ملكه من غير حجر عليه فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه الله تعالى ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر (ولا كبيرة اذا واجهك فضله) وهو اعطاء الشيء بغير عوض بل جميع ذنوبك حينئذ صغائر فاذا ظهرت صفة الفضل لمن أحبه اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر ولذا قال الشاذلي قدس الله سره واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت (لا عمل أرجى للقبول) أي لقبول الله له (من عمل يغيب عنك شهوده) بأن تشهد أن الذي وفقك له هو الله تعالى ولولاه ما صدر منك ذلك العمل (ويحتقر عندك وجوده) بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الامور كالوصول الى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيتك التقصير فيه وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله وفي بعض النسخ أرجى للقلوب أي لصلاحها

(انما أورد عليك) أيها المريد (الوارد) يطلق الوارد على ما يتحف الله به عبده من العلوم الوهبية والانوار العرفانية التى ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويطلق على تجل الهى يرد على القلب وان لم يشعر به العبد لغلظ بشريته وقد يعبر عنه بالحال وهذا هو المراد هنا ٥٤ (لتكون به عليه واردا) اى مقبلا على الدخول فى حضرته ومعلوم أن الدخول فى تلك الحضرة لا يكون الا لقلب خالص مما يكدره واذا قال (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) الاغيار والآثار هى الاغراض الدنيوية وشهوات النفوس فهى غاصبة لك لحبك اياها وسكونك اليها واعتمادك عليها فأورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقك فلا يكون للمخلوق فيك نصيب ولا شركة وتكون سالما لله عز وجل فتصلح للحضور معه واذا قال (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك) أى صفاتك القائمة بك المانعة لك من شهوده ولذلك كالسجن المانع للمسجون من الخروج (الى فضاء شهودك) اى لشهودك للمولى الشبيه بالفضاء لعدم وجود شئ يحول لك عن الرؤية قال بعضهم سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت فى راحة الابد ومقتضى هذا التقرير أن الوارد واحد وثمرته واحدة وهى الدخول فى حضرة الرب ويصح أن يكون المعنى أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا أى مقبلا عليه بالاشتغال بالطاعات وانواع المجاهدات فتشتغل بذلك مع بقائك بأوصاف نفسك وشهواتها المقتضية عدم الاخلاص فى العبادة فيرد عليك وارد آخر ليخلصك من ذلك ويحصل لك الاخلاص فاذا حصل لك ربما تركن اليه وتعتمد عليه فى قبول أعمالك ووصولك بها الى حضرة قربه وذلك باطل فيرد عليك وارد ثالث تغيب به عن رؤية نفسك وتشاهد به مولاك يسرك ثم قال

لا عمل أرجى للقلوب ومعناه على هذا الوجه أن العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره وفى عدم التفاته واعتباره صلاحه وتجرده من رق رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل أرجى لصلاح القلوب أو ما فى معناه وسيأتى من كلام المؤلف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم الى آخره والغالب على الظن أن الذى قصده المؤلف رحمه الله وذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج فى هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه أن تقول سلامة العمل من الآفات شرط فى قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد قال عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الآفات باتهام النفس فى القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه اذ ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه فان لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه فى توفيقه له أوقعه ذلك فى العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال أبو سليمان رضى الله تعالى عنه ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبته وقال على بن الحسين رضى الله تعالى عنه كل شئ من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أن لا يبقى عندك منه شئ فانه اذا بقى فى نظرك منه شئ لم يرتفع اليه لبينونة بين عندية تلك وعنديته فينبغى للعبد اذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله ۞(انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا) الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث بأقذار الاغيار فاذا انما أورده عليك لتكون به عليه واردا

۞(أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) الآثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك ويحررك من ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل الكافر فى قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الاغيار وتحرر من رق الآثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل ۞(أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك) سجن وجوده هو شهوده

(الانوار) الالهية التى ترد على قلب المريد من حضرة الرب وتحصل غالبا من الاذكار والرياضات (مطايا القلوب) توصلها الى مطلوبها التى هى متوجهة له وهو دخولها حضرة الرب والقرب منه كتوصيل المطية راكبها الى مطلوبه (والاسرار) اى ومطايا الاسرار ايضا جمع سرّ وهو باطن القلب عند الصوفية ولا التفات لمن جعله عين القلب لانه خلاف اصطلاحهم (النور جند القلب) اى يتوصل به الى ما يقصده ويتوجه اليه وهو حضرة الرب كما يتوصل الامير بجنده الى ما يقصده من غلبة عدوّه وهذا مستفاد مما قبله وانما اتى به توطئة لقوله (كما أن الظلمة) وهى طبيعة العبد (جند النفس) تتوصل بها الى مقصودها وهو الشهوات والاغراض العاجلة وما زال الحرب واقعا بين القلب والنفس ٥٥ (فاذا أراد الله أن ينصر عبده) اى يعينه على نفسه وقمع شهواتها (أمدّه) اى أمد قلبه (بجنود الانوار) أى بجنود هى الانوار أو بالانوار الشبيهة بالجنود فانها اذا حصلت له أدرك بها قبح الشهوات العائقة عن الوصول الى الله تعالى (وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) أى مددا هو الظلم والاغيار وهما بمعنى واحد واذا أراد خذلانه فعلى العكس من ذلك فاذا مال القلب الى عمل صالح كصوم غد ومالت النفس الى شهوة كالفطر وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذى هو من الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب والظلمة الى نصرة النفس وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله وتوكله عليه وهكذا فى كل عمل صالح الى أن يصل الى الله تعالى فينقطع حينئذ حكم النفس وتصير مقهورة مغلوبة ثم قال (النور) الذى يفيضه الله على قلب المريد (له الكشف) أى كشف المعانى والمغيبات كحسن الطاعة وقبح المعصية (والبصيرة) التى هى ناظر القلب (لها الحكم) اى ادراك ذلك ومشاهدته فكما لا يمكن ادراك البصر للمحسوسات الا بالانوار الظاهرية كسراج وشمس لا يمكن ادراك البصيرة لشئ من المعانى الا بالانوار الباطنية (والقلب له الاقبال والادبار) على ما كشف للبصيرة فاذا كشف لها عن حسن الطاعة وقبح المعصية أقبل القلب على الطاعة وأحبها فتتبعه الجوارح وأدبر عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح هذا ويحتمل أن المعنى أن النور له الكشف عن المغيبات كاسرار القدر وأنه يحصل فى العالم كذا والبصيرة لها الحكم أى ادراك ذلك ثم هذا الكشف والادراك قد لا يكونان تامين فينبغى للمكاشف أن يتثبت فى كشفه ولا يعمل بمقتضى ما كشف له فلا يخبر بشئ حتى يستقر قلبه اما أن يقبل واما أن يدبر ولذا تجد بعض الاولياء يخبر عن امور ولا تقع وذلك لعدم تثبته فى كشفه

لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك بشهوده عظمة الله تعالى وجلاله ورؤيته قيام حركاته وسكناته قال أبو القاسم النصراباذى رضى الله تعالى عنه سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت فى راحة الابد وسيأتى من كلام المؤلف فى معنى قوله سجين وجودك الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته ۞ (الانوار مطايا القلوب والاسرار) أنوار الايمان واليقين مطايا سائلة الاسرار والقلوب الى حضرة علام الغيوب وتلك هى الواردات المذكورات ۞ (النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فاذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) نور التوحيد واليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما سجال فاذا أراد الله نصرة عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا أراد خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال القلب الى العمل بأمر محمود مؤلم فى الحال ملتذ به فى المآل ومالت النفس الى العمل بأمر مذموم ملتذ به فى الحال مؤلم فى المآل وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذى هو من أمر الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمة التى هى من وساوس الشيطان ولمته الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب فى الآجلة وعمل القلب بما مال اليه وان آلمه فى الحال لما يرجوه من التنعم به فى المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ بالله ذهل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان آلمه فى المآل لما يحصل لها من لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه به وكثرة ذكره وصدق توكله عليه واستعاذته من الشيطان الرجيم وهذه العبارات الخمس من قوله انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بألفاظ مختلفة والمعانى فيها متقاربة وهذه عادته فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضى الله تعالى عنه ۞ (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) هذه ألفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور

يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التي هي ناظر القلب تفيد الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته البصيرة وله أيضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة ﴿لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا هو فرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح بلا شيء وسيأتي في آخر الكتاب أنواع الفرح بالنعم وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة ﴿قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها﴾ لقد أسبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه أبقاهم معه ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن ذلك لشهودهم له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال أن يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من الدعوى فهم أبدا متهمون لانفسهم في توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم قال النهرجوري رضي الله تعالى عنه من علامات من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهداته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله في قصده وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال أبو عمرو اسمعيل بن نجيد رضي الله تعالى عنه لا يصفو لاحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها عنده دعاوى وقال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه لو صفت لي تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشيء والى هذين المقامين تشير الحكاية التي تروى عن الواسطي رضي الله تعالى عنه وذلك انه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان رضي الله تعالى عنه بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشئها قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وانما أراد

(لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك) أي من حيث صدورها عنك باختيارك وحولك وقوتك فهذا فرح مذموم منهي عنه بحسبه لها (و) لكن (افرح بها لانها برزت من الله اليك) أي من حيث شهودها من الله نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود المطلوب من العبد وهو مقتضى شكرها ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فايصال تلك الطاعة اليه واظهارها على يده اعتناء من الله سبحانه وتعالى به فينبغي أن يفرح بها من تلك الحيثية لا من حيثية صدورها منه وفعله لها (قطع) أي حجب ومنع (السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم) الظاهرية (وشهود أحوالهم) القلبية لكن السبب في انقطاع الطائفتين عن ذلك مختلف (أما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها) وذلك لرؤيتهم نقصها بعدم حضور قلوبهم مع الله حال فعلها فهم دائما متهمون نفوسهم في توفية أعمالهم حقها وفي صفاء أحوال قلوبهم فكان ذلك سببا في البراءة من رؤيتها وشهودها (وأما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها) أي انهم نسبوها اليه تبريا من حولهم وقوتهم فقطعهم عن ذلك شهودهم له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره وقد أسبغ الله النعمة على الفريقين حيث عافاهم من التعلق بأعمالهم وأحوالهم الا أنه فعل ذلك بالسالكين كرها وبالواصلين طوعا ولا شك أن هذا المقام أرقى من الاول ولهذا سأل الواسطي أصحاب أبي عثمان بما ذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال لهم أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود منشئها ومجريها يريد بذلك ترقي همتهم الى مقام العرفان لا تحقير ما هم عليه فانه من الاحسان

(مابسقت) يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت اى ما طالت (أغصان ذل الا على بذر طمع) شبه الذل بشجرة ذات أغصان وفروع استعارة بالكناية والاغصان تخييل باق على حقيقته أو مستعار لانواع الذل وبسقت ترشيح باق على حقيقته أو بمعنى وجدت وحصلت وشبه الطمع بالنواة التى تنشأ عنها الشجرة فاضافة بذر له من اضافة المشبه به للمشبه أى طمع شبيه بالبذر أى المبذور الذى تنشأ عنه الشجرة ذات الاغصان فكأنه يقول لاتغرس بذرا لطمع فى قلبك فتخرج منه

الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لاتعريجا فى أوطان التقصير أو تجويزا للاخلال بأدب من الآداب وقال رضى الله تعالى عنه ﴿مابسقت أغصان ذل الا على بذر طمع﴾ البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ماتشعب عن سوق الشجر ويجمع أيضا على غصون والبذر الحب الذى يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة فى عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالامزيد عليه ولايحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذى يقتضى وجود العزة والعزة التى اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم الى مولاهم وطمأنينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هى العزة التى منحها الله عبده المؤمن قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما أن العزة من صفات المؤمنين كذلك المذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين قال أبو بكر الوراق الحكيم رضى الله تعالى عنه لو قيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولو قيل له ماحرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وقال أبو الحسن الوراق النيسابورى رضى الله تعالى عنه من أشعر فى نفسه محبة شئ من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع فى شئ ذل وبذله هلك وقد قيل فى ذلك (مفرد)

أأطمع فى ليلى وتعلم أنما * تقطع اعناق الرجال المطامع

فالطامع لامحالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين قال فى التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ماسواه وتطهر من الطمع فى الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ماطهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم على بن أبى طالب رضى الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقال يافتى انى سائلك عن أمر فان أجبتنى عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت اصحابك وكان قد راى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عماشئت قال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول كنت فى ابتداء امرى بثغر الاسكندرية

شجرة الذل وتنشعب اغصانها وفروعها ولو قال مابسقت شجرة الذل لكان اولى لان الذى يتصف بالطول وينشأ عن البذر هو اصل الشجرة ووصف الاغصان بذلك بطريق التبع فالطمع من اعظم العيوب القادحة فى العبودية بل هو اصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالا مزيد عليه وسببه الشك فى المقدور ولذا قال بعضهم لو قيل للطمع من ابوك لقال الشك فى المقدور ولو قيل ماحرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ماغايتك قال الحرمان فالطامع لامحالة فاسد الدين واذا دخل على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه جامع البصرة فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى فقال يافتى انى سائلك عن امر فان اجبتنى فيه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عماشئت قال

ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس والورع الذى يقابل الطمع هو ورع الخاصة وهو صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وطمأنينة القلب به لاورع العامة وهو ترك الشبهات وعلى هذا فيقال قياسا على ماقاله المصنف مابسقت اغصان عز الا على بذر ورع

جئت الى بعض من يعرفنى فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت فى نفسى لعله لا يأخذه منى فهتف بى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قاله بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من كلامه فى التنوير ذكر الورع فى مقابلة الطمع وكذلك فى جواب الحسن لعلى رضى الله عنهما لما سأله مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده فى الكلام الذى حكاه عنهما ولا شك ان الورع الظاهر لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرج من اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهمم عليه وطمأنينة القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذى يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن رضى الله عنه فى جوابه المذكور قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه الورع على وجهين ورع فى الظاهر ان لا يتحرك الا لله وورع فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا على أن يرى أحدا من هذه صفته فجعل يجتهد فى طلبه ويحتال على التوصل اليه بان يأخذ الشىء بعد الشىء من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حين المناولة خذ ذلك فكانوا يأخذون ولا يسمع من احد منهم جوابا مطابقا لما اراده بكلامه الى ان ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك انه قال لاحدهم خذ ذلك فقال له آخذه لا منك فان كان للعبد استشراف الى خلق او سبقية نظر اليهم قبل مجىء الرزق اويعده فقتضى هذا الورع والواجب فى حق الادب ان لا ينيل نفسه شيأ مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه فى نظره الى ابناء جنسه كقصة أيوب الجمال مع احمد بن حنبل رضى الله عنهما وهى معروفة وكما روى عن الشيخ ابى مدين رضى الله عنه انه اتاه حال بقمح فنازعته نفسه وقالت له يا ترى من أين هذا فقال لها انا اعرف من اين هو يا عدوة الله وامر بعض اصحابه ان يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه احدا من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذى ذكرناه وأوضح الغرض الذى قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتأخرين ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه فانه قال اعلم ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق نسبة فى أخذ أو عطاء او قبول او رد وان يكون السبق لله تعالى وهو ان يأتى اليه طاهرا من جميع الاشياء والعلم والعمل كما قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقال

ايضا الورع ان لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون بينه وبينه نسبة لا فى التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدرى أيأكله أم لا وقال أيضا الورع أن لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله فى الحركة والسكون فاذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقى مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال بعضهم ما رأيت شيأ الا رأيت الله فيه فاذا رأى الله ذهبت الاشياء وقال أيضا أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذى لا ينسى الله فيه الى غير هذا من العبارات التى عبر بها فى هذا المعنى وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم ثم يفترقون فى المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون ايدى الخلق فيذلون لهم وأما الذين يأكلون ارزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنة وكد وأما الذين يأكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر احدهم نفاق سلعته فهو متذبذب القلب معذب بانتظاره واما الذين يأكلون ارزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون قسمتهم من يده بعزة قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب فى الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضى الله عنه معناه ليس فى حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها اغترارا بها والطمع فى الخلق يوجد فى مقام الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله تعالى فى لطائف المنن فصلا فى هذا المعنى وجعله لجميع وظائف الآداب الدينية اصلا ومبنى فرأينا نقله فى هذا الموضع من صواب العمل المتكفل ان شاء الله بنجاح الامل قال رضى الله عنه اعلم رحمك الله ان ورع الخصوص لا يفهمه الا القليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد اطماعهم فى غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسايط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى انوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا وترفعهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشور اخرجت من بغداد اريد الموصل فأنا اسير واذا انا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومن يناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لى يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربى وكان مقيما بشرقى الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقول لى انك فى العام القابل عند ما وقفت فى نفسى اذا كنت العام

القابل ههنا فلا اعود الى الاسكندرية فخطر لى الذهاب الى اليمن فأتيت الى عدن فأنا يوما على ساحلها واذا بالتجار قد اخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادته على البحر ومشى على الماء فقلت فى نفسى لم اصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقول لى من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله تعالى عنه الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم اوقاتهم وسائر احوالهم لايدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميزان فهو محجوب بدنيا او مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله احتقارا لنفسه وافتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل اوليائه ومن عليك بمتابعة احبائه هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع الاترى قوله قد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين الذى نشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم انتهى وانما اوردنا هذه المعانى ههنا تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتى مزيد بيان فيها فى موضع أنسب من هذا عند قوله لاتمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الى آخره فانظره فيه ﴿ (ما قادك شئ مثل الوهم) الوهم امر عدمى وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع فى الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع فى غير مطمع وارباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق هممهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به فقد سقط اعتبار الاوهام والخيالات التى هى متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع فاتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهى من بدايات احوال الراضين قال بعض العارفين لايكون العبد قانعا حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه اهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه

(ما قادك شئ مثل الوهم) يعنى ان الوهم هو السبب فى الطمع فى الناس وذلك كاف فى قبحه لان الوهم الذى هو اصله أمر عدمى اذ هو عبارة عن التخيل والحسبان التقديرى لكن النفوس منقادة له أتم من انقيادها الى العقل الاترى ان الطبع ينفر من الحية لتوهمه الضرر فيها بل من الحبل المبرقش لكونه على صورتها ولو انقادت للعقل لم تنفر لان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن فلا يسلم من الطمع فى الخلق والرغبة فيما بأيديهم الا اهل الورع الخاص وهم اهل القناعة والتوكل الذين سقط من قلوبهم علاقات الخلق فلا يهتمون للرزق

لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هى القناعة ﴿أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع﴾ الطمع فى الشئ دليل على الحب له وفرط الاحتياج اليه وذلك عبودية له كما ان اليأس من الشئ دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل

العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع

فاقنع ولا تطمع فما * شئ يشين سوى الطمع

وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شئ لا خطر له وقيل ان العقاب يطير فى فضاء عزه بحيث لا يرتقى طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة جناحه فيصيده صبى يلعب به وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه كان قاعدا فسئل عن تابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا أدم ومع الآخر خبز مع كامخ فقال الذى لم يكن معه كامخ لصاحبه أطعمنى من الكامخ فقال له بشرط ان تكون كلبى فقال نعم فجعل فى رقبته خيطا وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل أما انه لو رضى بخبزه ولم يطمع فى كامخ صاحبه لم يصر كلبا لصاحبه وحكى عن بعضهم انه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له ادم فأخذ يتمنى بقلبه أن ليت كان له ادم يقدمه الى أستاذه فقام الاستاذ وقال تعال معى فحمله الى باب السجن فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بأنواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا أخرج من السجن وفى رجله قيد يسأل الناس فقال لانسان أعطنى كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد فى رجلك ورأى رجل رجلا من الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد أردت ان أذكر هنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والآداب المرضية فى أخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورؤية منة الله تعالى فى تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيبة وصورة حسنة ومروأة فقال من يبغى خادما من يبغى ساقيا فقلت دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلات أثوابه طينا وأثرت القربة فى كتفه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غيرها قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع فأدركتنى عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص

(أنت حر مما أنت عنه آيس) اى من كل ما أنت آيس منه (وعبد لما أنت له طامع) اى لكل ما أنت طامع فيه فعن بمعنى من ولام له بمعنى فى وهذا دليل آخر لقبح الطمع ومدح الاياس من الخلق والقناعة بالرزق المقسوم وبيانه ان الطامع فى الشئ عبودية له كما ان اليأس من الشئ حرية منه لانه يدل على فراغ القلب منه وغناء عنه فالطامع عبد واليائس حر ولذلك قيل

العبد حر ما قنع

والحر عبد ما طمع

والقناعة هى السكون عند عدم المألوفات وهى اول الزهد

عرقع قدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فلا أبالي بأي شئ رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي أتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان بن أبي جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فقدفقد فما عرف له أثر فأعجبني قوله ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له يا فتى أنا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك فأحببت الاتصال بك فهل لك أن تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان لي معد ثم أنس الي وجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ واني أمرت خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير فبينما أنا نائم اذا بقمع ورد قد غفلت عنه الخادمة فقمت اليها فأوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال لي أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا خد انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل

فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

قال فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا فهذا خبري قال الراوي فلما قضى حديثه هذا انخنس عني ومضى ﴿من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان﴾ النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لاتنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب في الاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه سنة الله عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا أوكرها ﴿من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها﴾ شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال الله تعالى ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم أي اذا غيروا ما بانفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله تعالى مامنه اليهم من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود وكان يقال النعم اذا روعيت بالشكر فهي اطواق واذا روعيت بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلاثة أوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب أن يعلم ان النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى ومابكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم

فان

(من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان) اى بملاطفاته اياه بأنواع الاحسان (قيد اليه بسلاسل الامتحان) اى بالامتحانات والمصائب الشبيهة بالسلاسل يعني ان المقتضي لاقبال المريد وغيره على الرب بأنواع الطاعات والتضرع اليه وجمعية القلب عليه أمران الاول ايراد النعم عليه فيشكر الله عليها و يقبل على خدمته والثاني انزال المصائب في بدنه أوماله فيرجع الى الرب ويتضرع اليه برفعها وربما كان ذلك سببا في ترك الاشتغال بالدنيا والتعلق به سبحانه ومراد الرب من العبد رجوعه اليه طوعا أوكرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) يعني ان شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها قال الله تعالى ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم أي اذا غيروا مابأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله مامنه من الاحسان والكرم والشكر امابالقلب بأن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال تعالى ومابكم من نعمة فمن الله واماباللسان بأن تحدث بنعمة الله قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث واما بالجوارح بأن تصرفها في طاعة الله وتكفها عمالايرضيه

فان تذكرها شكر ومن شكر اللسان أيضا شكر الوسايط بالثناء عليهم والدعاء لهم
وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن اسامة بن زيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس وسيأتي
الكلام على هذا المعنى في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر
الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل
شكرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول
الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا
شكورا وسأل رجل أبا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما
خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا استرته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا
وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك
ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قال
فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيأ غبطته
استعملتهما فيه وان رأيت شيأ مقته كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى فأما من شكر
بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه
ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر معرفة
بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد
رضي الله عنه حين سأله السري رضي الله عنه قال الجنيد رضي الله عنه كنت بين يدي
السري رضي الله عنه وانا ابن سبع سنين و بين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي
يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك
فلا أزال أبكي على هذه الكلمة ۞ (خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه
أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الخوف من الاستدراج
بالنعم من صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين
يقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تأخير العقوبة
على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون اي لا يشعرون بذلك وهو أن يلقي في اوهامهم انهم على شيء وليسوا كذلك
يستدرجهم في ذلك شيأ شيأ حتى يأخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم اسباب العافية
وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا عليها
برجوعهم عنها الينا اخذناهم بغتة اي فجأة فاذا هم مبلسون اي آيسون قانطون من

(خف من وجود احسانه اليك ودوام) اي مع دوام (اساءتك معه) اي مخالفتك له (ان يكون ذلك استدراجا) أي تدريجا لك شيأ فشيأ حتى يأخذك بغتة وهذا جواب سؤال ناشئ مما قبله حاصله انا نرى كثيرا من الناس لا يشكر النعم ولا تزول عنه فأجاب بأن ذلك ربما كان استدراجا ومكرا من الله به قال تعالى (سنستدرجهم) اي ندرجهم في ذلك شيأ فشيأ حتى نأخذهم بغتة (من حيث لا يعلمون) انه استدراج ومكر اي لا يشعرون بذلك لانه يأخذهم بغتة وقيل نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعم وحجبوا عن المنعم أخذوا وقيل كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن أنواع الاستدراج ما ذكره بقوله

(من جهل المريد ان يسيء الادب) اما مع الله تعالى كالاعتراض عليه وتعاطى التدبير معه والتضجر باحكامه المؤلمة له فى نفسه أو غيره وتصريحه بلسانه بالشكوى الى الخلق أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم وعدم قبول اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لم فانه لا يفلح وقال القشيرى من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه فى بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين اهـ واما مع بعض الناس بالاعتراض عليهم كما وقع للجنيد أنه رأى فقيرا يسأل الناس فقال فى نفسه لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل به فثقلت عليه أوراده فى تلك الليلة ورأى جماعة أتوا له بذلك الفقير على خوان وقالوا له كل من لحمه فقد اغتبته فاصبح يفتش عليه حتى وجده فسلم عليه فقال له تعود يا أبا القاسم فقال لا فقال غفر الله لك واما مع نفسه كأن يتعاطى شهواتها المباحة ولا ينهض الى ما يقربها من مولاها (فتؤخر العقوبة عنه) بأن لا يعاقب فى ظاهره بالبلايا والاسقام ولا فى باطنه بحسب زعمه (فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد) الوارد على من حضرة الحق سبحانه (وأوجب الابعاد) أى بعدى عنه بعدم حضورى معه وهذا لازم لما قبله (فقد) أى انما كان ذلك من الجهل لانه قد (يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن) من قطع المدد عنه (الا منع المزيد) أى الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا فى قطع الامداد وقطعه مبدأ الحجاب فاذا ابتدأ به المريد عند ولم تتداركه رحمة الله تعالى فى الحال كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة (وقد يقام مقام) أى فى مقام (البعد وهو لا يدرى ولو لم يكن) من اقامته مقام البعد (الا أن يخليك وما تريد) بأن يسلط نفسك عليك ويمنع نصرتك عليها لكان ذلك كافيا فى البعد فان ذلك مبدأ الحجاب ومانع للقلب عن الدخول فى حضرة الرب سبحانه ومن اساءة الادب مع بعض الناس ما ذكره بقوله

الرحمة قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه فى قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء الله كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ۞(من جهل المريد ان يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد وهو لا يدرى ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد) هذا نوع من الاستدراج الذى تقدم ذكره وسوء ادب المريد يوجب عقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل اساءة الادب بين يدى علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب الذى ذكرناه فاذا ابتلى به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعالى فى الحال العتيد كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانتساخ الضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الاولى لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامدادات المتصلة والواردات المحصلة فتنكسف عنه حينئذ شمس العرفان وتستتر عنه المكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى فى قلب العبد فاذا فقد النصرة من الله تعالى بذلك وقع فى الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر وحاق به سيء المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة وخرج من دائرة الصفوة المختارة فنعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة اوائل الامور وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذى ذكره المؤلف رحمه الله يقتضى توجه هذه العقوبة اليه ضربة لازب لان قوله لو كان هذا سوء أدب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذى اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد

عند ما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه كل سوء ادب يثمر لك أدبا مع الله تعالى فهو أدب وهو الذى أوجب له أيضا التخلية بينه وبين ما يريد الذى اقتضى له اقامته مقام البعد اذ لو كان مقاما فى القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان متهما اياها فى ارادتها وكان واقفا مع مراد الله به فان أقدم على أمر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما أراده وسد عليه مسالكه ولم يخله وما أراد من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلاث دخول اعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصى عنك مع السعى فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تعالى فى كل الاحوال ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعى فيها ودخول المعاصى عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجا الى الله تعالى وترك الدعاء فى الاحوال والادب له موقع عظيم فى التصوف ولذلك قال أبو حفص رضى الله عنه التصوف كله ادب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال أبو عبد الله بن خفيف قال لى رويم يا بنى اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه اذا خرج المريد عن حد الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال الثورى رضى الله عنه من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك رضى الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيئ الادب فقال لست بسيئ الادب فقيل له ومن أدبك فقال الصوفية والآداب اللازمة للمريد عامة فى ظاهره وباطنه وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن وآداب الباطن هى التحلى بمحاسن الاخلاق كلها وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى وتاييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله رضى الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها فى فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكى الفطرة كريم السجية سهل المقادة لا يحتاج فى ذلك الى كثير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لانه اذا تجرد فعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بلغ فى

الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد سئل الدقاق رضي الله عنه بماذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتأدب بامام فان من لم يتأدب بامام بقي بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى تنتهي به الى المحافظة على اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه وقد يعاقب من أجله قال السري رضي الله عنه صليت العشاء واشتغلت بوردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت ياسري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لا مددت رجلي أبدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا (وقال) أبو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه لا يستند الى شيء فكان يوما في مجمع فأردت ان أضع وسادة خلف ظهره لاني رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شيء أبدا وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان اجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك ثقل على جميع أورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرأيت ذلك الفقير جاؤا به على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته وانما قلت في نفسي شيأ فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند ترداد الماء اوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال اتعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك الى غير ذلك من آدابهم رضي الله عنهم أجمعين والظاهر ان مراد المؤلف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفة المولى وانبساطه وادلاله في موقف الهيبة والحياء وما أشبه ذلك مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغي للمريد ان لا يتهاون بشيء من الآداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا اقبح أنواع سوء الادب فان وقعت منه اساءة ادب فليكن خائفا من ذلك مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية ان توجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر وآكد ما ينبغي ان يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة التي ظهر لنا انها مراد المؤلف رحمه الله تعالى من أنواع سوء الادب ان يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله تعالى وتعاطي التدبير معه والتبرم باحكامه المؤلمة في نفسه اوغيره وان يسرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعيب

لما وافق هواه أونقص فى نظره مما يراه من الحق فان خطر بباله أو جرى على لسانه شئ من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه والتفصى عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من اعظم الحسنات وأفضل القربات وذلك يدخله فى مقامات الرضا ويوصله الى غاية النعيم والعطا كما ان توطينه عليه وتهاونه به من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويؤديه ذلك الى تسخط الاقدار والوقوع فى دركات النار نعوذ بالله من ذلك * ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبرا ثلاثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضى عليه فيما قضى اشد على من ذهاب ولدى وقال بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكى عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد فى العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما ذلك الذنب قال قلت مرة لشئ ليته كان وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض كان احب الى من ان اقول لشئ قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضى الله عنه فقال اللهم عافنى فسمع هاتفا يقول مالك والدخول بينى وبين ملكى ومن مقتضياتها أيضا أن يعلق بقلبه شئ من الاعتراض على المشايخ والاولياء وان يترك تعظيمهم واحترامهم وان لا يقبل اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لم لا يفلح وقال ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض خاصر قلبه على بعض شيوخه فى بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين قال وفى الخبر ان الشيخ فى اهله كالنبى فى امته وكذلك من سوء أدبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للامر والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة وتربيته للجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه بسره ان يكرم ويعظم ويتبرك به وتقبل يده ويسارع فى قضاء حوائجه وذلك من اضر الاشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه فى كل حال من أحواله وذلك مذموم منه وقال ابو عثمان رضى الله عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيأ وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها فى جميع الاحوال وقال ابو عبد الله السجزى رضى الله عنه من استحسن شيأ من أحواله فى حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدائه ويروض نفسه ثانيا وقال أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه سمعت جدى يقول آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيأ مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل ان يستحكم ذلك فيه ويرسخ فيه فبدايات الامور هى التى ينبغى ان تراعى كثيرا * ومن أنواع سوء أدب المريد المفضى الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القرب ولهذا قالوا اذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخص الشريعة فاعلم انه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله

وقال ابن خفيف رضي الله عنه الارادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شيء أضر على المريدين من مسامحة النفس في قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شيء وقال ابو اسحق ابراهيم ابن شيبان من أراد ان يتعطل و يتبطل فليلزم الرخص ويعني بالرخصة ههنا ما كان مضادا لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى المألوفات والمعتادات والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتأويلات فان حال المريد يقتضي مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا في رخص الشرع لعامة الناس وكان ابراهيم الخواص رضي الله عنه يقول الان هذه الشهوات التي أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها واطالت آمالهم بعد قصرها وأنسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوطؤا الفرش بعد الترك فسقتهم الدنيا بكاس سمها فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام اني انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي فاياك ان تعلق قلبك منها بشيء فأيسر ما أعاقبك به ان أنزع حلاوة حبي من قلبك * وفي اخبار داود عليه السلام يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب محبتي عنك اقطع شهوتك الحق فاني انما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني و بينك عالما سكران بحبها يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني و بينك مرفوعة وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه ان ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات اولاها ان يغلق باب العز و يفتح باب الذل والثانية ان يغلق باب النعمة و يفتح باب الشدة والثالثة ان يغلق باب الراحة و يفتح باب الجهد والرابعة ان يغلق باب النوم و يفتح باب السهر والخامسة ان يغلق باب الغنى و يفتح باب الفقر والسادسة ان يغلق باب الامل و يفتح باب الاستعداد للموت وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في جبل لبنان فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك و يقيك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك و يقيك من شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولذع الزنابير يجد المه في الدنيا وقال السري رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة ان أغمس جزرة في دبس فما

طعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير رضى الله عنه دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيرى فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف بى هاتف أما تستحى شهوة تركتها من أجلى ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه بمكة فى سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكى فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له أى شئ هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير وعافية فعاودته مرة واثنتين وثلاثه فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر على فقلت يا أخى قل ماشئت قال لى اشتهت نفسى سكباجا فمنعتها جهدى فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس فاذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عليه فقرب منى وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيأ قد تركته لله تعالى فقال لى فاذا أطعمك الله تأكل فما كان لى جواب الا ان بكيت فقال لى يرحمك الله كل قال ابراهيم فقلت له قد امرنا ان لا نطرح فى وعائنا الا من حيث نعلم فقال لى كل يرحمك الله فانما اعطيته وقد قيل لى يا خضر اذهب بهذا واطعم نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم انى سمعت الملائكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت فان كان كذلك فها أنا بين يديك لاحل العقد مع الله عز وجل ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال له يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمنى حتى شبعت فانتبهت وحلاوته فى فى قال شقيق رضى الله عنه فقلت ارنى كفك فأخذت كفه بكفى فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح فى الضمير اليقين يا من سقى قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء فقلت الهى بقدر هذا الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضى الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضى الله عنهما ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ فقلت ان تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض اصحابه لا أبكى الله عينيك اعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك هو اذا ترك شيأ لم يعاود فيه أبدا وقال أحمد بن أبى الحوارى اشتهى أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت لى شهوتى بعد اطالة جهدى وشقوتى قد عزمت على التوبة فاقبلنى قال احمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى وقال أبو بكر بن الجلاء رضى الله عنه أعرف انسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة

اشتهيها فيقول لها لا اريد ان اطوى عشرة أيام ولكن اترك هذه الشهوة وقال أبو سليمان رضى الله عنه ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال ابو حامد الغزالى رضى الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضى الله عنهم من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا ان منع الله منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه رضى الله عنه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين فقال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وقال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسباب ذلك ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغى ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه كسر عزم فينبغى ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد الرياضة عليه بالكلية هذا كلام أبى حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فلتعتمد عليه ايها المريد وقد يعجل الله تعالى لبعض هؤلاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال ابو تراب النخشبى رضى الله عنه ماتمنت نفسى شهوة من الشهوات الامرة واحدة تمنيت خبزا وبيضا وانا فى سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بى وقال هذا كان مع اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا ابو تراب النخشبى فاعتذروا الى فحملنى رجل منهم الى منزله وقدم الى خبزا وبيضا فقلت فى نفسى كلى بعد سبعين درة وقال بعضهم اشتهى ابو الخير العسقلانى رضى الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك من وضع حلال فلما مد يده اليه ليأكل دخلت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت فى ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت جائعا فى الطريق فوافيت الرى فخطر ببالى ان لى بها معارف فاذا دخلتها اضافونى وأطعمونى فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا احتجت ان آمر فيه بالمعروف فاخذونى وضربونى فقلت فى نفسى من اين اصابنى هذا الضرب على جوعى فنوديت فى سرى انما اصابك ذلك لانك سكنت الى معارفك بقلبك وقلت انهم يطعمونى اذا دخلت البلد وحكى عن ابراهيم بن سفيان رضى الله عنه أنه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرأيت على باب المسجد قوارير معلقة شبه نموذجات فتوهمتها خلا فقال لى قائل اما تنظر اليها انها خمر فقلت لزمنى فرض فدخلت الحانوت فلم ازل اصب دنا دنا حتى اتيت على الجميع فاخذونى وضربونى مائتى خشبة وطرحونى فى السجن أربعة أشهر حتى دخل استاذى ابو عبد الله المغربى البلد فسمع بحالى فشفع لى فلما وقع بصره على قال ماشانك قلت شبعة خبز وعدس وضربت مائتى خشبة

وحبست أربعة أشهر فقال لى تحوت بجانا آى وردت عقوبة هذه الاكلة على ظاهرك ولم تقدح فيما كنت فيه من سرائرك فكان ذلك رفقا من الله بك قال الامام ابو القاسم القشيرى وما اصدق ما قال فان من ادب فى دنياه فيما تعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه فى عقباه بل ظهر بالتأدب جوهره ومعناه وحكاية خير النساج رضى الله عنه المشهورة من معنى ماذكرناه فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين قال الحافظ ابو نعيم رضى الله عنه حدثنى جعفر بن محمد بن نصير فى كتابه قال سألت خيرا النساج أكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن اين سميت به قال عاهدت الله واعتقدت انى لا آكل الرطب أبدا فغلبتنى نفسى يوما فأخذت نصف رطل فلما اكلت واحدة اذا برجل نظر الى وقال ياخير يا ابن هربت منى وكان له غلام اسمه خير وقع على شبهه وصورته فخنقنى واجتمع الناس فقالوا والله هذا غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بماذا أخذت وعرفت جنايتى فحملنى الى حانوته الذى كان ينسج فيه صناعه فقالوا ياعبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذى كنت تعمل وأمرنى بعمل الكرباس فدليت رجلى على ان اعمل فأخذت بيدى آلته فكأنى كنت اعمل من سنين فبقيت معه شهرا انسج له فقمت ليلة فمسحت وقت الى صلاة الغداة فسجدت وقلت فى سجودى الهى لا اعود الى مافعلت فأصبحت فاذا الشبه قد ذهب عنى وعدت الى صورتى التى كنت عليها فأطلقت فثبت على هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعى شهوة عاهدت الله تعالى ان لا آكلها فعاقبنى بما سمعت وفى بعض الاخبار عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى وستاتى ان شاء الله تعالى كيفية مجاهدة النفس عند قوله لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين ولهذا المعنى كرهوا له التزوج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك فى الضرر به بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من وافق شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من همّ بشئ مما اباحه العلم تلذذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان الدارانى رضى الله عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امرأة او كتب الحديث وقال مارأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول من تعود افخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح الا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه من مكابدة أمر غيره ومن مراعاة توفية حقوقه ومعاناة أخلاقه واتباع مرضاته مايشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له فى معاناة أمر نفسه أعظم شاغل من أن تنضاف الى نفسه نفس أخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع ومايرتكبه بسبب ذلك من التأويلات والرخص وذلك كله مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفى فقد ركب السفينة فاذا ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافى رضى الله عنه يقول لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلوازا على الجسر وفى الخبر فى فتن آخر الزمان قال وفى ذلك الوقت حلت

العزبة فقيل وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذى لا أهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اياكم والاستماع الى النساء والميل اليهن فان النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهن مصايده وحظه من بنى آدم فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف على حظ الشيطان ومن حاد عنهن يئس منه وما مال الشيطان الى أحد كميله الى من استرق بالنساء وان الشر معهن حيث كن فاذا رأيتم فى وقتكم من قد ركن اليهن فايأسوا منه قيل له فحديث النبى صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبى صلى الله عليه وسلم معصوم وقد بلغكم ما كان فيه معهن هى عدوة الرجل ظاهرا وباطنا ان اطهرت له المحبة أهلكته وان أضمرتها له أغوته وان الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى كلام سهل رضى الله عنه وقال حذيفة المرعشى رضى الله عنه كان ينبغى للرجل لو خير بين ان يضرب عنقه وبين ان يتزوج امرأة فى الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج المرأة فى الفتنة وانما قال ذلك لما يؤول اليه أمر المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب الآثام فى زمان الفتنة وضرب العنق أحسن حالا واحمد عاقبة من التعرض لارتكاب شىء من معاصى الله عز وجل فان قارب شيأ من ذلك المريد فهو داء عضال فى حقه فقد قالوا زلة بعد الارادة أقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفى المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه فى الامانة وقال بعض الانبياء فى مناجاته لربه لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمك أوحى الله اليه ليس الذنب فى القرب كالذنب فى البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصى حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سوء أدب المريد ان يميل الى أهل الدنيا وان يتقرب منهم او أن يصاحبهم قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك أيضا معاشرته للاحداث والشبان وقبول ارفاق النسوان فان تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو اشد قال يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه رأيت آفات الصوفية فى صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق النسوان قال الامام ابو القاسم ومن اصعب الآفات فى هذه الطريق صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك فباجماع من الشيوخ ان ذلك عبد اهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بالف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا ههنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والضرر ومما حذر منه اشتار رضى الله عنهم وبالغوا فى التوصية به والنهى عنه وجميع ذلك

(اذا رأيت عبدا اقامه الله تعالى) أى جعله قائما (بوجود الاوراد) بأن أظهرها منه (وأدامه عليها) أى جعله مداوما عليها (مع طول الامداد) اى المعونة والتيسير وصرف الشواغل التى تشغله عن القيام بها والمراد بطول ذلك تواليه عليه مع طول الزمان فطوله بطول الزمان الذى يحصل فيه وهذه صفة العباد والزهاد (فلا تستحقرن ما منحه) أى أعطاه (مولاه) وعلل الاستحقار بقوله (لانك) أى لكونك (لم تر عليه سيما العارفين) أى علامتهم من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات ودوام الحضور بين يدى

الله (ولا بهجة المحبين) وهى ما يعلوهم من شواهد المحبة وآثارها فان محبة الله اذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح كدوام ذكره والمسارعة لامتثال امره والعمى عن غيره فيجتهد فى خدمته ويتلذذ بمناجاته ويؤثره على كل ما سواه ثم علل عدم الاستحقار بقوله (فلولا وارد) الهى اورده الله على قلبه اى تجل الهى (ما كان ورد) وهو ما يقع بكسب العبد من انواع العبادات كصلاة وصيام وذكر الى غير ذلك أى فيكون استحقارك له قلة الادب معه والحاصل ان عباد الله المخصوصين ينقسمون قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا عن حظوظهم وارادتهم وقاموا بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الباقون مع حظوظهم وارادتهم وقاموا بعبادة ربهم طمعا فى جنته وهربا من ناره وكل واحد منهم محمود فى مقامه الذى هو فيه بمدد الهى اقتضى منه القيام بحقوق ذلك المقام

والى ذلك أشار بقوله (قوم اقامهم الحق) أى اختارهم (لخدمته) بطاعته الظاهرة حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما مر (وقوم اختصهم بمحبته) حتى صلحوا للقرب والدخول فى حضرته وهم المحبون والعارفون والكل مشتركون فى الانتساب اليه وخدمته لكن خدمة الاولين اكثرها بالجوارح والآخرين أكثرها بالقلب (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) اى ممنوعا فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكر من الاحتقار قال ابو يزيد اطلع الله تعالى على قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة

يحتمل لان يكون مراد المؤلف رحمه الله تعالى فى قوله من جهل المريد ان يسىء الادب فرأينا أن لا يخلو هذا الموضع من هذا التنبيه لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله ولى التوفيق

(اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الاوراد وأدامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد)

عباد الله المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم وارادتهم واستعملوا فى القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وارادتهم وأقيموا فى الاعمال والطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات فى الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم مجد فى مقامه الذى هو فيه بمدد الهى اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رأيت عبدا اقامه الله تعالى فى أعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وأمده فى ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تحتقرن ذلك لاجل انك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدى المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط والادلال بين يدى حبيبهم فلولا الوارد الالهى الذى اورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج عن دائرة عنايته وحفظه ورعايته فلا تستحقر خطير ما منحه وتستقل كثير ما ربحه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الوارد الا جهول

(قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)

الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فطائفة اقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة خصهم بمحبته حتى صلحوا للقرب والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال

(قلما تكون الواردات الالهية) أى قل حصولها (الا بغتة) أى غير بغتة والمراد بها العلوم الوهبية والاسرار العرفانية التى يتحف الله بها عباده ولا تكون فى الغالب الا بغتة أى فجأة من غير استعداد لها بعبادة من صلاة وصيام وغيرها (لئلا يدعيها العباد) أى يرون أنهم أهل لها (بوجود الاستعداد) لها بالاجتهاد فى الاوراد والعبادات تمسكا بنحو قوله صلى الله عليه وسلم ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه وغفلوا عن كون هممهم متعلقة بالدار الآخرة لا به فلا تحصل لهم معرفته الخاصة ولا واردات الهية وحاصله أن الواردات هدايا من الله تعالى ومنح منه فلا تحصل عقب العبادات الصادقة و بفورها بل تحصل بعد ذلك بغتة وحصولها عقب العبادات نادر قليل (من رأيته) من المريدين او العارفين (مجيبا عن كل ما سئل) أى سئل عنه من العلوم التى يفيضها الله على قلوب السالكين والمواهب اللدنية التى يخص بها العارفين (ومعبرا عن كل ما شهد) أى شهده وذاقه بباطنه وهى تلك العلوم والمواهب (وذاكرا ٧٤ كل ما علم) من تلك العلوم (فاستدل بذلك على وجود جهله) لان اجابته عن كل سؤال تقتضى احاطته بكل المعلومات وذلك محال فى حقه قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولانه يجب مراعاة حال السائل فقد لا يكون فى بعض السائلين اهلية للمسؤل عنه فتكون اجابة مثله من الجهل وتعبيره عن كل مشهود له فيه نوع من افشاء السر الذى يجب كتمانه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة وايضا فالامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها اشهار لها وفيه ابتذالها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارات النطقية وذكره لكل معلوم له دليل على عدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون من فيها ما لا يصح ذكره لما يلزم عليه من الضرر والفساد وانكار الناس له قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا اظهروه انكره اهل الغرة بالله * وقال على بن الحسين بن على رضى الله عنه يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمى * يرون اقبح ما يأتونه حسنا انى لا كتم من علمى جواهره * كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم اما احدهما فبثثته للناس واما الآخر فلو بثثته لقطعتم منى هذا الحلقوم ولذا قتل الحلاج بافشاء شىء من ذلك حيث قال ما فى الجبة الا الله وذلك أن اهل الله يدركون وجود الله فى الاشياء اى قيامه بها وظهوره فيها وهذا غاية ما يمكن ان يعبر به عن مقصودهم والا فهو أمر لا يدرك الا بالذوق وقد ذقناه بحمد الله فصدق ما سئل وما شهد وما علم واحد وانما يختلف باعتبار السؤال عنه وافشائه بالعبارة وعموم ذكره

يحيى بن معاذ رضى الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال أبو يزيد رضى الله عنه اطلع الله تعالى على قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فاشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ أبو نعيم فى كتابه حلية الاولياء عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى يطلع على اهل قرية او بلدة فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد فى قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال أبو العباس الدينورى رضى الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ولله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمعرفته والاشارة بالآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله بينة فى هذا المعنى وقال رضى الله عنه

(قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد) الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكن فى الغالب الا بغتة أى فجأة لئلا يدعوها ويرون أنفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن ان تعلل بامر ومنزهة عن ان تقابل باعمال بر بل هى محض كرم وفضل من الكريم المتفضل (من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) الاجابة عن كل سؤال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود جهل

من اتصف بها كما قال أما الاجابة عن كل سؤال فلاقتضائها منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال فى حقه قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم الاقليلا فكيف يتصور منه مع هذا الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وأيضا فانه يجب عليه أن يراعى حال السائل من وجود الاهلية لما سأل عنه فيمتنع عن اجابة من لا أهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه مع السائل الذى جاء يسأله أن يعلمه من غرائب العلم فانه استفصله وقال له ما فعلت فى رأس العلم وفى كذا وفى كذا فأجابه السائل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم وكما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يكتموا العلم عن أهله كذلك أخذ عليهم أن يصونوه عن غير أهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير بكل مشهود فلان فيه نوعا من افشاء السر الذى يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة والله تعالى لا يحب الخائنين وأيضا فان الامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها افصاح بها واشهار لها وفى ذلك ابتذالها واذاعتها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدى ذلك الى الانكار والقدح فى علوم السادة الاخيار قال أبو على الروذبارى رضى الله تعالى عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفى وأما الذكر لكل معلوم فلعدم تفريقه بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغرب به وان كان ينتفع به هو فعدم تفريقه بين المعلومات فى ذكرها من وجود جهله ﴿انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولانه أجل أقدارهم عن ان يجازيهم فى دار لا بقاء لها﴾ انما جعل ثواب المؤمنين فى الدار الآخرة فيما ظهر لنا لوجهين أحدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعيم حسا ولا معنى أما الحس فلان الدنيا متدانية المسافات ضيقة الاقطار ويعطى الله تعالى لآحاد المؤمنين فى الدار الآخرة فى ملك واحد منهم كما ورد فى الخبر مسيرة خمسمائة عام فمالك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة والاشياء التى يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء فى الاخبار ان موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا ويكفى فى ذلك قوله عز من قائل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثانى ان الله تعالى اجل اقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم فى دار فانية منقضية متصرمة لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شئ بل أعطاهم الخلود فى النعيم

(انما جعل) تعالى (الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم) من أنواع النعيم حسا ولا معنى اما الاول فلانها ضيقة الاقطار ويعطى الله لآحاد المؤمنين فى الدار الآخرة فى ملك واحد منهم مسيرة سبعمائة عام كما ورد فى الخبر فما ظنك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما الثانى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والاشياء التى يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء فى الاخبار ان موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا (ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها) لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شئ بل أعطاهم الخلود فى النعيم والبقاء الدائم فى الملك المقيم

والبقاء الدائم فى الملك المقيم وناهيك به شرفا تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحى الذى لا يموت * جاء فى تفسير قوله تعالى وملكا كبيرا أنه يرسل الله تعالى الملك الى وليه ويقول له استأذن على عبدى فان أذن لك فادخل والا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل عنوانه من الحى الذى لا يموت الى الحى الذى لا يموت فاذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدى اشتقت اليك فزرنى فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق

الى أن يصل الى بساط اللقاء ﴿من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا﴾ ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم به ويتصور ذلك فى أكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الامر وقال بعض العارفين ليس شئ من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى الراحة والسهولة وانما هى مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة فى ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال عتبة الغلام رضى الله تعالى عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال ثابت البنانى رضى الله تعالى عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كانى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه رضى الله عنهم ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت أتلوه كانى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تصدق الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن كانى أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم انما هو ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى قال أبو تراب رضى الله تعالى عنه اذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعالى وورد فى الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل خطابه أن العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول من قوله عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المؤلف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه فى الدار الآخرة حسبما يأتى فى قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه كل عمل ليس له ثواب فى الدنيا ليس له جزاء فى الآخرة فحصل من هذا أن وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضى لوجود الرضا والجزاء ولذلك قال الحسن رضى الله تعالى عنه تفقدوا الحلاوة فى ثلاث فان وجدتموها فأبشروا وامضوا القصد كم وان لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقيل فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهى حلاوة الطاعات ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات وجنة

مؤجلة

(من وجد) من المريدين (ثمرة عمله) أى من الحلاوة فيه والنعيم به (عاجلا) أى فى الدنيا (فهو دليل على وجود القبول آجلا) أى قبول الله له قال أبو تراب اذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل وذلك علامة على وجود الجزاء عليه فى الدار الآخرة كما سيأتى واذا وجد تلك الحلاوة لا ينبغى أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذا لا ينبغى أن يقصد بعمله حصولها لما فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح فى اخلاص عبادته وصدق ارادته ولكن اعتنأ وبها لتكون ميزانا لاعماله وتعديلا لاحواله فقط

موجلة هي فنون المثوبات وعلو الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله تعالى فغضب على السائل وقال أتراني أعبد من لا أعرفه فقال له أو تعصي من تعرفه وقيل لبعضهم بم تعرف أنك عرفته فقال لم أقصد مخالفته الا ورد على قلبي استحياء منه وقال اسمعيل ابن نجيد رضي الله تعالى عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فان العصيان في حال العرفان بعيد فان وقعت منه زلة أو هفوة بحكم وكان أمر الله قدرا مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة وألما في قلبه فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة على صحة ماوجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للاعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التي يجدها من دون أهل هذا المقام في بعض العبادات فدخولة معلولة لا مأمن منها لانها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله الى نيلها لما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لاعماله ومحكا لاحواله فقط * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي فأقل ما في ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وتحب دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تجلته في الدنيا فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك ﴿اذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك﴾ هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عزوجل ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى الاقامة المذكورة اذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه فاذا كان العبد لنظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عزوجل له في الآخرة لوجهه مكرما ولشأنه معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه متهاونا وبأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله عزوجل له مهينا وبشأنه متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي ﴿متى رزقك الطاعة والغنى

(اذا أردت أن تعرف قدرك عنده) هل أنت من المقبولين السعداء أو من المردودين الاشقياء (فانظر فيماذا يقيمك) من طاعة أو ضدها فمن كان من أهل السعادة والقبول استعمله مولاه فيما يرضيه عنه من أنواع الطاعات ومن كان من أهل الشقاوة استعمله فيما يسخطه عليه من أنواع المخالفات وهذا يناسب العامة وأما الخاصة فيقال فيه ان أردت أن تعرف قدرك أي منزلتك عنده هل أنت من المقربين أولا فانظر فيماذا يقيمك أي يورده على قلبك من ادراك جلاله وعظمته قال عليه الصلاة والسلام من اراد ان يعلم منزلته عند الله فليعلم منزلة الله من قلبه (متى رزقك الطاعة) اي امتثال الاوامر واجتناب النواهي في ظاهرك (والغنى

به عنها) بان لاتركن اليها في نيل مطلوبك بل تعلق قلبك به ولاتك وتغيب عن كل شئ سواه (فاعلم انه قد اسبغ عليك نعمه ظاهرة) وهي تلك الطاعة (وباطنة) وهي معرفتك التي اوجبت لك الغيبة عنها او عدم رؤيتها (خير ما تطلبه منه) اى افضل الاشياء التي تطلبها منه (ماهو طالبه منك) من الاستقامة على سبيل العبودية لله فهذا خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك دنيوية كانت او أخروية فان في ذلك حظا لنفسك (الحزن على فقدان الطاعة) بضم الفاء وكسرها اى عدم وجودها في الحال (مع عدم النهوض اليها) في المستقبل (من علامات الاغترار) اى التعويل على مالا حقيقة له وهذا هو الحزن الكاذب الذى يكون معه البكاء الكاذب كما قيل كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله الخفي حيث منعه ما ينفعه واعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء فانه قد يستحسن بذلك حاله ويعد لنفسه شيأ اما الحزن الصادق وهو الذى يبعث على الطاعات ويكون معه البكاء الصادق فهو من مقامات السالكين قال ابو على الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر مالا يقطعه من فقد حزنه في سنين

به عنها فاعلم انه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة) المطلوب من العبد شيآن اقامة الامر في الظاهر والتعلق بالله في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الامرين فقد أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله الى غاية الامل في الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا وقال رضى الله تعالى عنه ﷺ (خير ما تطلبه منه ماهو طالبه منك) ان كان لا بد من الطلب منه فاطلب ماهو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية لله فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك لانك حينئذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير وأما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تأخير ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب في الطلب * يحكى عن أبي الحسين الديلمي رضى الله تعالى عنه أنه قال وصف لي بانطاكية انسان اسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيأ من المباحات يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الى ثم قال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعناه ذا نعطيك من ثمنه شيأ قال فغضبت الى غيره وتغافلت كاني لم اسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الى وقال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيأ قال فوقع في قلبي منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيأ ومضى قال فمضيت خلفه لعلي استفيد منه شيأ قال فالتفت الى وقال اذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله الا أن يكون لك فيها حظ فتحجب بها عن الله تعالى ومن دعاء أبي القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه اللهم وكل سؤال سألتك فعن أمرك لي بالسؤال فاجعل سؤالي اليك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك ومن دعائه أيضا اللهم انى أسألك منك ماهو لك واستعيذك من كل امر يسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله عنك ما أراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعلني ممايذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ماهو لك اللهم اجعل غاية قصدى اليك ماهو لك ولا تجعل قصدى اليك ما أطلبه منك ﷺ (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامات الاغترار) هذا هو الحزن الكاذب الذى يكون معه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله تعالى الخفي حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضى الله تعالى عنها رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك ان تتنفس وأما الحزن الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله عز وجل في شهر مالا يقطعه من فقد حزنه في سنين وفي الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفي التوراة ان الله اذا أحب عبدا انصب في قلبه نائحة واذا ابغض عبدا انصب في قلبه مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ما العارف من اذا اشار) الى شئ من أسرار الحق سبحانه (وجد الحق اقرب اليه من اشارته) بان كان حاضرا معه لم يغب عنه بل هو ملاحظه فى حال اشارته وأقرب اليه منها فهذا ليس بعارف حقيقة لبقائه مع نفسه لانه حينئذ لاحظ ان هنالك مشيرا ومشارا اليه ومشارا به ومادام يتعقل انه مشير والحق مشار اليه وذلك الكلام الذى صدر منه اشارة فهو الى الآن لم يفن عن نفسه ولم يخرج عن دائرة حسه والاشارة ألطف من العبارة لانها ايماء فقط وتلويح لا تصريح وهى التى يستعملها اهل الطريق رضى الله تعالى عنهم فيما بينهم عند ذكرهم لما يفتح الله به عليهم من الاسرار التوحيدية والعلوم اللدنية والمواجيد والاذواق فالمشير الى شئ من ذلك الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه منها بأن لم يغب عنه فى حال الاشارة غير عارف على التحقيق لانه يوصف التفرقة بشهوده للاغيار (بل العارف) حقيقة (من لا اشارة له) أى من لا يشهد ان له اشارة وان وقعت منه (لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الضمير لذلك العارف وفى بمعنى عن اى لفنائه عن وجود نفسه وانطوائه عن شهودها ويحتمل عوده للحق سبحانه وتعالى أى ان العارف حقيقة هو الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به فاذا وقعت منه اشارة لا يشهدها ولا يشعر بها الكون المشير والمشار اليه حينئذ هو الله تعالى لان العارف حينئذ فى مقام الجمع ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه قال الشيخ يوسف العجمى قدس الله سره من تكلم فى مقام الجمع فليس بمتكلم وانما المتكلم الحق سبحانه على لسان عبده وهو قوله فى الخبر القدسى فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق اه وسئل بعضهم عن الفناء فقال هو ان تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والدرجات والاحوال والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء فيغرق فى التعظيم اه (الرجاء) أى الحقيقى (ما قارنه عمل) اى ما كان باعثا على الاجتهاد فى الاعمال كما مر فى الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خف من شئ هرب منه (والا) يقارنه عمل بل كان يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصى والذنوب (فهو أمنية) اى فليس برجاء حقيقة عند العلماء بل هو امنية واغترار بالله تعالى و يقال له أيضا رجاء كاذب قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والخلف الردىء من الناس وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى

متواصل الاحزان دائم الفكر وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فاذا الحزن الذى يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام السالكين الابرار

(ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الاشارة ألطف من العبارة وهى كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهى التى يستعملها أهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى اقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق لانه يوصف التفرقة بشهوده للاغيار بل العارف الفانى فى وجوده المنطوى فى شهوده الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به * سئل الشيخ ابو على الدقاق رضى الله تعالى عنه عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله تعالى فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فالذى يستوعب حاله قال هو الذى يجد الله باسقاط الاشارة وسئل ابو على الروذبارى رضى الله تعالى عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفى الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه وكل اشارة اشار بها الخلق الى الحق فهى مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال أبو يزيد رضى الله تعالى عنه ابعدهم من الله أكثرهم اشارة اليه (الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية) الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد فى الاعمال كما ذكرناه فى الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه واما الرجاء الكاذب الذى يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصى والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء ولكنه

امنيـة واغـترار بالله تعالى وقـد ذم الله قوما ظنوا مثل هـذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردىء من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخـذون عرض هـذا الادنى ويقولون سـيغفر لنا قال معروف الكـرخى رضى الله تعالى عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال معروف الكرخى أيضا رضى الله عنه ورجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق واعلم انه ليس فى افعال الحق سبحانه ما يوجب أن يؤمن عقابه انما فى افعاله ما يمنع الياس من رحمته وكما لا يحسن ان لا يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع فى جانبه ويؤمن اخذه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع الدينار لا يؤمن ان يكون عـذابه غـدا هكذا وقد قالوا من زعـم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فليزعـم ان طلب الربح فى القبر وقدح النار فى البحر صحيح وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسـه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسـه هواها وتمنى على الله تعالى الامانى وقال الحسن رضى الله تعالى عنه ان قوما الهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربى وهو يكذب لو أحسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قول الله عز وجل وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم اردا كم فأصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضى الله تعالى عنـه عباد الله اتقوا هذه الامانى فانها اودية الهلكة تحلون فيها والله ما آتى الله عبدا بأمانيه خـيرا فى الدنيا ولا فى الآخرة وكتب أبو عمير المنصورى الى بعض اخوانه اما بعد فانك قـد اصبحت تؤمل بطول عمرك وتتمنى على الله الامانى بسوء فعلك وانما تضرب حـديدا باردا (مطلب العارفين من الله تعالى الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية) مطلب العارفين من ربهم اعلى من مطالب غيرهم سواء كانوا عبادا اوزهادا او علماء لان مطلب العارفين من ربهم انما هو الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاغراض فى مطالبهم وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدى ابو مدين رضى الله تعالى عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك كى لا يبقيك مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كى لا تكون لشئ دونه) القبض والبسط من الحالات التى يتلون بها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدين وسببهما الواردات التى ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات وضعفها والمقصود ههنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده تكوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسـه وبقائه بربه قال فارس رضى الله تعالى عنـه القبض اولا ثم البسط ثم لا قبض

اوزهـادا اوعلماء لان مطلبهم انما هو (الصدق فى العبودية) وهو التزام آدابها والتخلق باخلاقها والقيام بحقوق الله فيها كالشكر على ما اولاه والصبر على ما ابتلاه ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وترك الاختيار عليه والتدبير معه ودوام المراقبة له والوقوف ببابه لابسا ثوب التواضع والذلة باسطا يد الفقر ماسكا حبل الرجاء مرتديا برداء الخشية الى غير ذلك من اوصاف العبودية واخلاقها فمن صـدق فى ذلك كان موفيا بما عاهد الله عليه (والقيام بحقوق الربوبية) فى ظاهرهم بالطاعة وفى باطنهم بالمراقبة له ودوام الحضور معه اى انهم لا يطلبون منه الا هذين الامرين من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس بخلاف من عداهم فانه لم يفارق الحظوظ والاغراض فى مطلبه فلذلك كان مطلبهم اعلى المطالب قال ابو مـدين قدس الله سره شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك) أيها العارف (كى لا يبقيك مع القبض) الذى فيه قهر لنفسك وان كان فيه نفع لك كما سيأتى (وقبضك كى لا يتركك مع البسط) الذى فيـه حظ لها (واخرجك عنهما) بفنائك عن نفسك وبقائك به (كى لا تكون لشئ دونه)

فلا تكون باقيا مع شئ من اوصافك المؤانة ولا المؤانسة فان ذلك حجاب لك عن ربك ويسمى حالك حينئذ اعندالا لا قبضا ولا بسطا والمعنى لون عليك الاحوال لتمكن وتفنى عنها فالقبض لاهل البدايات من العارفين ولولا ملما انجمعت حقائقهم وانكفت عن العوائد والشهوات والبسط لاهل الاشراق على مبادى الفتح كى تسترسل قواهم وتستعين عوالمهم بما ترتاح اليه من نسمات الحق وشواهد رضاه والاعتدال لاهل النهايات كى تستقيم أحوالهم وتصفو أعمالهم ويدوموا بين يدى مولاهم لاعلة ويؤخذ من ذلك ان القبض والبسط وصفان ناقصان بالنسبة الى مافوقهما لانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده لكنهما يتوصل بهما الى التمكن فمن لطف الله تعالى بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه 81 عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه فهما

ولا بسط لان القبض والبسط يقعان فى الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول الخوف يقبضنى والرجاء يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق يفرقنى اذا قبضنى بالخوف افنانى عنى واذا بسطنى بالرجاء ردنى على واذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى واذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه فهو فى ذلك كله محركى غير مسكنى وموحشى غير مؤنسى لحضورى لذوق طعم وجودى فليته أفنانى عنى فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف فى القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ههنا اختصارا فمن أراده فلينظره هنالك ﴿(العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل) انما اشتد خوف العارفين فى البسط مالم يشتد فى القبض من قبل ملاءمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف الآن فيخافون حينئذ من رجوعهم اليه وذوقهم لطعم نفوسهم وفى ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازى الى الجنيد رضى الله تعالى عنهما لا أذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا أبدا ومن ثم يتأكد عليهم فى ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير فى هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال رجل لابى محمد الجريرى رضى الله تعالى عنه كنت على بساط الانس وفتح على طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى فكيف السبيل اليه دلنى على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا أخى الكل فى قهر هذه الخطة لكنى أنشدك أبياتا لبعضهم وانشأ يقول

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا * عن أهلها او سائلا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن هذه الزلة فقال انبساط مع الحق بغير أدب قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه ومن هذا خشى الاكابر والسادة قال فى لطائف المنن

من احوال المبتدئين من العارفين يتلونون فيهما كما يتلون المبتدؤن من المريدين فى الرجاء والخوف ويفترقان بأن الرجاء والخوف مصحوبان بتوقع أمر يحصل فى المستقبل فما معه توقع أمر محذور مخوف أو محبوب فرجاء ومالا توقع معه فقبض فى الاول وبسط فى الثانى وسببهما الواردات التى ترد على باطن العارف وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الوارد وضعفه فاذا تجلى للقلب وارد الجلال حصل فيه القبض واذا تجلى فيه وارد الجمال حصل فيه البسط فالقبض بوارد حاصل فى الوقت وكذلك البسط لان العارف لا يهتم لنفسه حتى يراعى مستقبلات الامور (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم) أى أكثر خوفا من أنفسهم (اذا قبضوا) وذلك لملاءمة البسط لهوى أنفسهم فيخافون حينئذ من الوقوع فيما تدعو اليه من التحدث بالاحوال والكرامات

11 عبا ل وغيرها وربما كان فى ذلك الطرد والبعد وأيضا قد يصدر منه فى ذلك الوقت كلام لا يليق بحضرة الرب جل جلاله وحينئذ يتأكد عليهم فى ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير فى هذا الحال ولذا قال (ولا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل) قال فى لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو فى أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هى وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى اهـ

البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى
وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو فى أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين
يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه
الدار اذ هى وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله
تعالى قال واخبرنى بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه فى المنام بعد موته مقبوضا
فقال له يا استاذ مالك مقبوضا فقال له يا بنى القبض والبسط مقامان من لم يوفهما فى الدنيا
وفاهما فى الآخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه فى حياته البسط انتهى ﴿(البسط
تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لاحظ للنفس فيه) فى هذا اشارة لما
تقدم من ان مراعاة الادب فى البسط أمر عسير وذلك أن فى البسط وجود حظ النفس
فيستولى عليها الفرح بذلك فلا تمالك حتى يقع فى سوء الادب والقبض ليس فيه حظ
للنفس فلذلك كان اسلم وكان الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه يقول القبض
حق الحق منك والبسط حق العبد منه ولان يكون بحقه منك أتم من ان يكون بحظك
منه واما آداب القبض والبسط فلا أعلم الآن من استوفى الكلام فيهما من علماء
الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات الى امور جملية كقول الامام ابى
القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه بعد أن تكلم على لفظى القبض والبسط وتبيين
معانيهما الى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد فى قلبه قبضا لا يدرى
ما موجبه وسببه وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضى ذلك الوقت لانه لو تكلف
نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء
أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله
يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه
ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان فى هذا الوقت له خطر عظيم
فليحذر صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح على باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن
مقامى اه كلام الامام ابى القاسم وقد رأيت كلاما مبسوطا مستوفى فى آداب القبض
والبسط لسيدى ابى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فاحببت أن اذكره هنا لتتم به
الفائدة التى تعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ ابى الحسن فى ذلك اعم
مما هو عند غيره من ائمة الصوفية قال رضى الله تعالى عنه القبض والبسط قلما يخلوا العبد
منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يرتضى منك العبودية فيهما فمن
كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه أو لا يعلم واسباب القبض ثلاث ذنب أحدثته
او دنيا ذهبت عنك او نقصت لك او ظالم يؤذيك فى نفسك او فى عرضك او ينسبك لغير
دين او غير ذلك فاذا ورد عليك القبض من أحد هذه الاسباب فالعبودية تقتضى أن
ترجع الى العلم مستعملا له كما أمرك الله تعالى أما فى الذنب فبالتوبة والانابة وطلب

(البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لاحظ للنفس فيه) فى هذا اشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب فى البسط من الامر العسير فلذا كان لا يقف عند حدود الادب فيه الا القليل بخلاف القبض فكأنه يقول انما كان كذلك لان النفس تأخذ منه حظها ومن شأن النفس اذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى باظهار ما عندها من العلوم والفهوم والاحوال والاسرار والتحدث بالخصوصية والتلذذ بنسبة الخوارق والاشارة الى الكرامات وادراك المقامات كل على حسب حاله وكل ذلك مناف للعبودية بخلاف القبض فانه لاحظ للنفس فيه فلا تمالك أن تظهر شيأ من ذلك فهو أقرب للسلامة ووجود القدرة على الوفاء بآداب العبودية ولذا آثره العارفون على البسط

الاقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب وأما
فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم
غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال آتاك سعة الصدر
حتى تعفو وتصفح وربما آتاك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه
دعوتك وما أحسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل
على الله ان الله يحب المتوكلين واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل
ونهار فالقبض اشبه شئ بالليل والبسط اشبه شئ بالنهار فاذا ورد القبض بغير سبب تعلمه
فالواجب عليك السكون والسكون على ثلاثة اشياء عن الاقوال والحركات والارادات
فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو نجم تهتدى به أو
قمر تستضئ به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس
المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم
العبودية في القبضين جميعا واما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا اولا
والاسباب ثلاثة الاول زيادة في الطاعة او نوال في المطاع كالعلم والمعرفة والسبب
الثاني زيادة من دنيا بكسب او كرامة أو هبة او صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من
الناس واقبالهم عليك بطلب الدعاء منك وتقبيل يديك فاذا ورد عليك البسط من احد
هذه الاسباب فالعبودية تقتضى أن ترى اثر النعمة والمنة من الله عليك واحذر ان ترى
شيأ من ذلك لنفسك وحسبها أن لا يلازمها خوف السلب عما به انعم عليك فتكون
ممقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا فهي نعمة
ايضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها واما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية
تقتضى شكر النعمة بما ستره عليك وخف من الله تعالى ان يظهر ذرة مما بطن منك
فيمقتك اقرب الناس اليك فهذه آداب القبض والبسط في العبودية واما البسط الذى
لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال
اللهم الا ان تقول سلم سلم الى الممات فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعا
ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد

لله الذى بيده سوابغ المنن ﴿ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك﴾ منع الله تعالى
عبده من نيل شهواته ولذاته والسكون مع شئ من عاداته عطاء جزيل منه لانه ابقاه معه
واقتطعه عن حظوظه واغراضه وبرد منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان
عطاء في الظاهر قال الشيخ محيى الدين بن العربي اذا منعت فذلك عطاؤه واذا اعطيت
فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ فالواجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار لمن
بيده ذلك فلن يعدم منه خيرا ﴿متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء﴾

(ربما أعطاك) شيأ من الدنيا ولذاتها
(فمنعك) التوفيق لطاعته
والاقبال عليه والفهم منه
(وربما منعك) من الاول
(فأعطاك) الثاني فمنع الله لك من
نيل شهواتك ولذاتك والكون
مع شئ عاداتك عطاء جزيل منه
لانه أبقاك معه واقتطعك عن
حظوظك وأغراضك وعكس
ذلك هو المنع على التحقيق وان
كان عطاء في الظاهر فلا تنظر
لظاهر العطاء والمنع بل لحقيقة
الامر وحينئذ فيجب على العبد
أن يترك التدبير والاختيار لمولاه
(متى فتح لك باب الفهم في المنع) بان
فهمت أن ذلك المنع رحمة منه
بك ولولا انه يعلم انه خير لك من
العطاء ما أنزله بك (عاد المنع) اى
صار (عين العطاء) ومن الفهم
في المنع ما سيأتي في قوله ومتى
منعك أشهدك قهره الخ

سيأتي بيان هذا من كلام المؤلف رحمه الله في قوله متى اعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره الى آخره ﴿(الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها) الاكوان ههنا كل ما يمكن أن يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي رائقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل

على وجهمي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فهي من حيث ظاهرها محبوبة حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغترّ بها فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روي في الكتب السالفة ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فصار ذكرهم فيها قوتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها بعد موتها وبنوا بها آخرتهم احيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض الاولياء يقول ما سطع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي غرورها قال ابو طالب المكي فهذه عناية من الله تعالى ان وليه من اوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كشف له بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن

﴿(ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى) العز الذي لا يفنى هو الغنى عن الاسباب كلها بوجود مسببها لانه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فالتعلق بها عز فان لا يبقى والتعلق بالله عز لا يفنى وليس لك الا احدهما لانهما ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز الباقي بالله تعالى لم يقدر أحد ان يذلك يحكى ان رجلا امر بالمعروف لهرون الرشيد فحرد عليه هرون الرشيد وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرؤي في بستان وباب البيت مسدود فأخبر هرون الرشيد بذلك فأتي بالرجل فقال من اخرجك من البيت فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن ادخلك البستان فقال الذي اخرجني من البيت فقال اركبوه دابة وطوفوا به في البلد وليقل قائل الا ان هرون قد اراد ان يذل عبدا اعزه الله

(الاكوان) أي المكونات التي للنفس فيها حظ من متاع الدنيا وزهرتها (ظاهرها غرة) بكسر الغين أي سبب في الاغترار بها لحسنها وبهجتها (وباطنها عبرة) بكسر العين أي سبب في الاعتبار بها والانكفاف عنها لقبحها وخستها والنظر الى عاقبتها وهي الفناء فهي حسنة الظاهر قبيحة الباطن فمن نظر الى ظاهرها وجدها حلوة نضرة فيغتر بها ويميل اليها ومن نظر الى باطنها وجدها جيفة قذرة فيعتبر بها وينكف عنها (فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها) أي زينتها الظاهرة فتغتر بها وتهلك صاحبها (والقلب ينظر الى باطن عبرتها) أي الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها ويسلم من شرها (ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى) بأن تستغني عن جميع الاسباب بوجود مسببها لانه باق فيكون تعلقك به عزا لا يفنى (فلا تستعزن بعز يفنى) بأن تستغني بها مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فيكون تعلقك بها عزا لا يبقى بل يزول بزوالها فان اعتززت بالله دام عزك ولم يقدر أحد أن يذلك وان اعتززت بغيره من مال أو جاه ونحوهما بأن ركنت اليه وجعلته معتمدك وغفلت عن مولاك فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لما انت به معتز ولذا سمع بعض العارفين شخصا يبكي فقال له ما شأنك فقال مات استاذي فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت

(الطي الحقيقي ان تطوى) أيها المريد (مسافة الدنيا عنك) بان لا تشتغل بلذاتها وشهواتها ولا تركن اليها بل تغيب عنها (حتى ترى الآخرة اقرب اليك منك) أي تكون نصب عينيك ليست غائبة عن قلبك فهذا هو الطي الحقيقي الذي يكرم الله به أولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم لا طي مسافة الارض بأن تكون من أهل

الخطوة لانه ربما كان استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالقيام والصيام لانه ربما قارنه رياء او عجب فتكون عاقبته الخسران ولا يمكن ان تطوى عن العبد مسافة الدنيا الا اذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده ومن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الفاني وهو الدنيا واستبداله بالباقي وهو الآخرة اما اذا لم يشرق نور اليقين في قلبه كان راغبا في الدنيا ومؤثرا لها على الآخرة راكنا اليها وغائبا عن مولاه لضعف يقينه وتقواه (العطاء من الخلق) أي اذا أعطوك شيأ فاخذته غافلا عن مولاك فهو وان كان اعطاء ظاهرا (حرمان) باطنا أي في الحقيقة ونفس الامر لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك (والمنع من الله) أي منع الله لك وعدم اعطائك (احسان) حيث لم يغب قلبك عنه فهو وان كان منعا ظاهرا عطاء باطنا لانه الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم في أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب محبوب * وفي وصية علي كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما اه وهو يناسب المعنى الاول

فلم يقدر وان اردت العز بالاسباب خذلتك وأسلمتك احوج ما تكون اليها وكنت في غاية الذل والهوان * حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا في الطواف وبين يديه شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رأيت انسانا يتكفف الناس على الجسر ويسأل شيأ قال فنظرت اليه وشبهته بذلك الرجل فقال لاي شئ تنظر فقلت اشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال انا ذلك الرجل تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس قال في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز قال وأنشدنا بعض الفضلاء لنفسه

اجعل بربك شان عزك يستقر ويثبت

فان اعتززت بمن يمو * ت فان عزك ميت

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شأنك قال مات أستاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله تعالى ففقدته واستندت الى غيره فعدمته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شئ علما ۞ (الطي الحقيقي ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة اقرب اليك منك) طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا أشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره وتنطوى في اعتباره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده بل يراها أقرب اليه منه اذ ذاته فانية منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب الفاني وهو الدنيا واستبداله بالحاضر الباقي وهو الآخرة ولذلك كان أصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهده احب الدنيا وهي لا شئ فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيأ فهذا هو الطي الحقيقي لمسافة الدنيا الذي يكرم الحق به أولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم عز وجل لا طي مسافة الارض الذي ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالوصال للصيام وترك الشراب والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها ۞ (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان) عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لانه ألزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم في أخذ عطيتهم والمنع

أي مجازاته اياك (على الطاعة أن رضيك لها أهلا) أي لتوفيقك لها واقدارك عليها والا فصفتك الذاتية التكاسل عن الطاعة وعدم الاعتناء بها فاذا وفقك مولاك للقيام بها كان ذلك جزاء معجلا لك في الدنيا لما يترتب عليه من مزيد الزلفى وايضا فانت عبد حقير لا تستحق خدمة ملك الملوك فكونه قربك لخدمته ورضيك اهلا لها نعمة عظيمة منه عليك ثم ذكر جزاء آخر معجلا بقوله (كفى العاملين جزاء ماهو فاتحه على قلوبهم في طاعته) أي في حال طاعته من المواهب الالهية والالهامات اللدنية وحلاوة التملق بين يدى ملك الملوك قال بعضهم ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وهذه الحلاوة هي التي يعبر عنها أهل الطريق بالاحوال والمواجيد والاذواق (وماهو مورده عليهم) أي على قلوبهم (من وجود مؤانسته) أي الانس به بعد حصول العمل وانقضائه قال بعضهم الانس هو سرور القلب بشهود جمال الحبيب وهو حالة توجب انتعاش المحب وصفاء وقته ويخاف فيه غوائل الادلال

من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولله در من قال

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسي * ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبي

وفي وصية على رضي الله عنه لا تجعل بينك و بين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عز النزاهة اشرف من سرور الفائدة وقال رضي الله عنه ﴿(جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة) جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه في الدنيا أنموذجا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به وجود قبولها في كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا ﴿(كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) هذا بيان جزائهم المعجل وهو أنه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلا لان يكلفهم القيام بطاعته ويعدهم فيها بتيسيره ومعونته فسباهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فانخنست اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحياء كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الآجلة ﴿(كفى العاملين جزاء ماهو فاتحه على قلوبهم في طاعته وماهو مورده عليهم من وجود مؤانسته) هذا بيان آخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الانس ويتنعمون به في حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذى يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال أحمد بن ابي الحواري رضي الله عنه دخلت على أبي سليمان الداراني رضي الله عنه يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا احمد ولم لا أبكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم أشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى ذكرى واني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب احبابه أم كيف يجمل بي ان آخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا الى فبي حلفت اذا وردوا على

القيامة لا كشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الى وانظر اليهم (من عبده لشئ يرجوه منه اوليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه) عمل العاملين لاجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شأن الحاذقين المحققين لان قيام العبد بحق اوصاف مولاه يقتضى ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب أو دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شئ ولا يستحق هو عليه شيأ وهذا من أعلى المحبة لله تعالى لان المحب يجتمع الهم بأمر محبوبه لا مراد له الا ما أراد فعلى العبد أن يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته وماهو عليه من محامد صفاته التى لا يشارك فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه ما طلعت شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم جهال بالله تعالى الا من يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه وآخرته وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه ان أود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدنى لجنة اولنار لولم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع او كما قال عز وجل وفى أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت التقى مشغوفا فى طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كانهم الشنان البالية فقال من أنتم فقالوا نحن عباد الله تعالى فقال ولاى شئ تعبدتم قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله ان يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فرأى آخرين أشد عبادة منهم فقال لاى شئ تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما أعد فيها لاوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله ان يعطيكم مارجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حباله وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فاقام بين أظهرهم وفى لفظ آخر أنه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم وقال للآخرين أنتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكى رضى الله عنه وممن روى عنه هذا القول واقيم فى هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم ابو حازم المدنى كان يقول أنى لاستحى من ربى ان أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل واستحى ان أعبده لاجل الثواب فأكون كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن أعبده محبة له قال الشيخ أبو طالب المكى وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجر لم يعمل وقال بعض اخوان معروف رضى الله عنه له أخبرنى عنك يا أبا محفوظ اى شئ أهاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكرت الموت فقال وأى شئ الموت قلت فذكرت القبر قال وأى شئ القبر

(من عبده) تعالى (لشئ يرجوه منه) وهو الثواب (اوليدفع بطاعته ورود العقوبة) أى حصولها له فى الدار الآخرة وقوله (عنه) متعلق بيدفع (فما قام بحق اوصافه) بل هو قائم بحظ نفسه من جلب الثواب أو دفع العقاب بخلاف ما اذا عبده لاجل جلاله وعظمته وماهو عليه من محامد صفاته التى لا يشارك فيها اذ من كان كذلك يستحق أن يخدم بالعبادة فانه حينئذ يكون قائما بحق اوصافه اى موفيا لها حقها فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها وفى الحديث لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل

فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال واى شئ هذا ان من ملك هذا كله بيده ان أحببته أنساك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال أبو طالب وحدثونا عن على بن الموفق قال رأيت فى النوم كانى ادخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت فى سرادقات العرش رجلا قد أشخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال هو معروف الكرخى عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد أباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهما قال أبو طالب المكى وروينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان سفيان الثورى يجلس بين يديها ويقول علمينا مما افادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عالما زاهدا الا انه كان يؤثر كتب الحديث والاقبال على الناس وهى أبواب الدنيا وقال لها الثورى يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ماعبدت الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فأكون كالاجير السوء ان أعطى عمل ولكن عبدته حباله وشوقا اليه والآثار والحكايات فى هذا المعنى كثيرة لا تحصر فاذا عمل المريد على ماذكرناه كان عبد الله حقا فان طلب منه الثواب أو استعاذ به من العقاب فانما يطلبه أو يستعيذ به امتثالا لوعد ربه وفرارا من دعوى رؤية حظه واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما أشبهه هو المعنى بالحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول فى الصلاة قال اتشهد ثم أقول اللهم انى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار اما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن الا ان يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله اذ ذاك مدخولا معلولا هذا هو مذهب العارفين والمحققين وعليه تنبنى قواعد التصوف كلها ۞ (متى اعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك) المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام ثم هو على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطاء ومنحا وما خالفهما ويسمى منعا فبوجود العطاء تشهد صفاته البرية من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهرية من الجبر والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغى لك أيها العبد أن لا تفرق بينهما ان أردت معرفة ربك ولم يستغرقك

متى اعطاك) ايها العارف المتيقظ (اشهدك بره) أى صفات بره من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك (ومتى منعك أشهدك قهره) أى صفاته القهرية أى التى تقتضى القهر والغلبة من الجبرية والكبرياء والعزة والاستغناء (فهو فى كل ذلك) أى فى كلتا الحالتين (متعرف اليك) أى مقبل عليك ومريد منك أن تعرفه فان الواحد منا اذا اراد ان يعرفه غيره فاما أن ينعم عليه واما ان يعاقبه فكل منهما سبب فى معرفة ذلك الغير له (ومقبل بوجود لطفه عليك) لان مشاهد تلك الصفات بره وقهره لطف عظيم منه سبحانه ونعمة منه عليك فينبغى لك ان تشكره عليها والحاصل ان المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام سواء كان الحكم موافقا لطبعهم وهو الاعطاء او مخالفا له وهو المنع فمن كان عارفا به ولم يستغرقه حظ نفسه لم يفرق بين العطاء والمنع لان كلا منهما له طريق توصله الى معرفة صفات البرية من الجود ونحوه والقهرية وهذا من جملة فتح باب الفهم فى المنع كما مر

(انما يؤلمك المنع) أيها المريد (لعدم فهمك عن الله فيه) اى فى حال المنع اذ لو فتح لك باب الفهم حينئذ لتلذذت به فمن

حب حظك اذ افنمه لك عطاء على التحقيق فهو فى كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع هو عين العطاء والله أعلم قال سفيان الثورى رضى الله عنه أتيت أبا حبيب البدوى أسلم عليه ولم أكن رأيته فقال لى أنت سفيان الثورى الذى يقال قال فقلت نعم فنسأل الله عز وجل بركة ما يقال قال فقال لى يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من ربنا قلت اجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك عطاء منه لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظر منه واختبار يا سفيان ان فيك لانسا ومعك شغلا قال ثم أقبل على غنيمته وتركنى (انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه) اذا كان منع الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الآن فينبغى أن يكون فى كلتيهما قرة عين المريد فان تألم بأحدهما وهو المنع وتلذذ بالآخر وهو العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه وانما الاكمل والافضل له أن يألم بالعطاء ويلذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضى الله عنه لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله تعالى والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له فى المنع أفضل من نظره له فى العطاء وعلامة صدقه فى ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء لا يعرف غير باريه الذى خصه بمعرفته وأياديه فهو لا يرى سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شئ له تابع وكل له خاضع اه (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا فى الوصول) ينبغى ان لا ينظر العبد الى صور الاشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضى وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة فى الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا يقتضى الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا فى وصوله الى ربه وحصوله فى حضرة قربه كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك أنه يصحبه عند عمله بالطاعة أن يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه فى الذنب اللجأ الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله * قال أبو حازم رضى الله عنه ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله له من سيئة أضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتمنى بها ويرى أن له فضلا على غيره ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها فى جوفه لباق * ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله ۞ (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا

جملة الفهم فى المنع ان تفهم انه يريد بذلك المنع ان يوقفك ببابه ويعلقك به ويصيرك من جملة احبابه فانه اذا احب عبدا حماه الدنيا ومن جملته ان تفهم انه سلك بك مسلك المقربين كما ورد عن الفضيل انه كان يقول الهى اجعتنى واجعت عيالى واعريتنى واعريت عيالى وانما تفعل هذا بخواص عبادك فبأى سبب استوجب منك هذا اى من اعمال البر والخير ومن جملته ان تفهم ان الدنيا فانية ولذاتها منقضية فتفرح بما ادخر لك فى الآخرة الى غير ذلك مما يفتح الله به على قلب المريد الصادق فاذا فتح عليه ذلك تلذذ بالمنع فصار المنع عين العطاء (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول) الاضافة فيهما بيانية أو من اضافة المشبه به للمشبه (وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا فى الوصول) وذلك أن الطاعة قد تقارنها آفات قادحة فى الاخلاص فيها كالاعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها وذلك مانع من قبولها والذنب قد يقارنه الالتجاء الى الله والاعتذار اليه واحتقار نفسه وتعظيم من لم يفعله فيكون ذلك سببا فى مغفرة الله له ووصوله اليه فينبغى أن لا ينظر العبد الى صور الاشياء بل الى حقائقها فيخاف ان كان مطيعا ويرجو ان كان

١٢ عيا ل عاصيا ثم أوضح المصنف معنى هذه الحكمة بقوله (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا

(واستكبارا) الذل والافتقار من صفات العبودية والعز والاستكبار مناقضان لها لانهما من صفات الربوبية ولاخير في الطاعات اذ الزم عنها شئ مما يناقض صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها كالامبالاة بالمعصية اذ الزمتها صفات العبودية لانها أيضا تمحوها وتزيلها قال سيدى ابومدين رضى الله عنه انكسار العاصى خير من صولة المطيع وكان سيدى أبوالعباس المرسى رضى الله عنه كثير الرجا لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على قدر رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يعبأ به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل عليه بكثرة معاصيه وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فمن هذا المعنى ماروى عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوما من عند أنس بن مالك رضى الله عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله بسوق البصرة وجنازة مسلم لايشيعها أحد فلاكونن خامسهم فشيت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا الى تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا تلك المرأة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهى تضحك فدخل قلبى شئ فقلت لا ينجيك الا الصدق اخبرينى ايش القصة فقالت ان هذا ابنى ما ترك شيأ من المعاصى الا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال ياأماه اذا مت فلا تخبرى بوفاتى جيرانى فانهم لايحضرون جنازتى ويشمتون بموتى واكتبى على خاتمى هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفى فلعل الله تعالى يرحمنى به وضعى رجلك على خدى وقولى هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتنى فارفعى يديك الى الله تعالى وقولى انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به فلما رفعت يدى الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح انصرفى ياأماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان على فانما ضحكت من هذا ومن المعنى الآخر ماروى ان رجلا من بنى اسرائيل أتى عابدا من بنى اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع فوالله لايغفر الله لك فأوحى الله عز وجل أيها المتألى على بل أنت لايغفر الله لك قال الحرث المحاسبى رضى الله عنه لانه انما تألى على الله عز وجل أن لايغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده وأن الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة لايغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده لانه عد نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع بين عجب وكبر واغترار بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ماروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحى بنى اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وتعالى وقال اللهم اغفر لى ودعا هذا الصالح وقال اللهم لاتجمع بينى وبين هذا العاصى فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام انى قد استجبت دعاءهما جميعا رددت

(واستكبارا) ولاشك ان الذل والافتقار من اوصاف العبودية فالتحقق بهما مقتض للوصول الى حضرة الرب والعز والاستكبار من أوصاف الربوبية فالتحقق بهما مقتض للخذلان وعدم القبول قال أبومدين قدس سره انكسار العاصى خير من صولة المطيع

ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم * وروى عن الشعبي أيضا عن الخليل بن أيوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر من بني اسرائيل يقال له عابد بني اسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله عز وجل أن يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمن مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع قال الحرث المحاسبي وانما أراد الله عز وجل من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصي وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو أطوع لله عز وجل من العابد أو العالم بقلبه

❁ (نعمتان ماخرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد) نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود لانه في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد ازالت العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفنى * قال سيدي أبو مدين الحق تعالى مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهدم الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد

❁ (أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) هذا أحد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ولا ينبغي أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادهما وكذلك كراهة الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولي الله تعالى له بتينك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلالات وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة * قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ان من أفكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة أغاليط الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم مختلفي النحل والآراء ثم أفكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره في أحواله وشدة حاجته الى الاستعانة بأشكاله في أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفاء عين عرفانه عن رهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى ذكره وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى المريد أن يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقائها

(نعمتان ماخرج موجود عنهما) اى هما عامتان لكل موجود (ولا بد لكل مكون) اى موجود (منهما) اى هما الازمتان لكل موجود لا ينفك عنهما موجود من الموجودات (نعمة الايجاد ونعمة الامداد) الاضافة للبيان فيهما فكل موجود في ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت عنه العدم السابق فصار موجودا ولولا ذلك لم يزل معدوما والمعدوم ليس بشئ ولما كان دوام وجوده يحتاج الى امداد الهي له يقتضي بقاء صورته وهيكله أمده بجلب المنافع له ودفع المضار عنه فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ونعمة الامداد أزالت العدم اللاحق وأبدلته باستقرار الوجود فلولا نعمة الايجاد لم يخرج شئ من العدم الى الوجود ولم يزل معدوما ولولا نعمة الامداد لم يتم وجود او جود ولم يصح بقاء موجود بل يتحلل في أقرب مدة ويضمحل ولا فرق في هذا بين المكونات العلوية والسفلية ثم ذكر جزئيا من جزئيات تلك الكلية فقال (أنعم عليك) أيها الانسان (أولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد) فاذا علم العبد أن ابتداء وجوده من الله ودوام وجوده كذلك علم أن فاقته ذاتية وأنه لا غنى له عن مولاه لافتقاره بعد وجوده في كل وقت الى الامداد ثم هذه الامدادات المتوالية عليه منها ما يكون قوتا لشبحه تقوم به بنيته كالاقوات ومنها ما يكون قوتا لمعناه وروحه كالايمان والعلوم والمعارف فان الانسان شيئان روح وجسد والامداد الاول عام للمؤمنين والكافرين كنعمة الايجاد والثاني خاص بالمؤمنين * ثم ذكر ما هو كالنتيجة لما تقدم بقوله

(فاقتك لك ذاتية) اى اذا ثبت أن نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لك وانك فى ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك لاحتياجك الى المولى فى ابتداء وجودك وفى ادامته عليك لكن هذا الاضطرار يخفى على غالب الناس ويغفلون عنه اذا دامت عليهم صحة أبدانهم وكثرة أموالهم فيغيبون حينئذ عن صفتهم الذاتية وعن مولاهم فيورد عليهم اسباب الاضطرار ليذكرهم ذلك كما قال (وورود الاسباب) أى اسباب الاضطرار وهى الامور القهرية من مرض وجوع وعطش وحر وبرد وغير ذلك (مذكرات لك بما) الباء زائدة ٩٢ او بمعنى اللام (خفى عليك منها) اى الفاقة والاضطرار فاذا كنت فى غفلة عن اضطرارك الذاتى وأورد عليك مرضا أو فقرا اضطررت اليه وظهرت لك صفتك الذاتية بعد أن كانت مغطاة عنك بالصحة والجدة فتقوم حينئذ بحق العبودية وتدعوه سبحانه برفع ذلك عنك قال بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته شقيقة ساعة واحدة أو الليلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية وهذا فى حق غالب الناس والا فالعارفون لا يفارقهم مشاهدة فقرهم الذاتى كما سيأتى فى قوله العارف لا يزول اضطراره الخ فهؤلاء لا يحتاجون الى مذكر وانما يسلط الله عليهم هذه الاسباب القهرية لتظهر عليهم علامات الصدق فى العبودية اذ لا يزيدهم البلاء الا تعلقا بربهم وطاعة له ورجوعا اليه وليكثر ثوابهم وتعظم منزلتهم عند الله تعالى بما يظهر عليهم من الرضا عن الله والتسليم اليه تعالى

(والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) وهذا متعلق بقوله فاقتك لك ذاتية أى ان الاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضى والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية فما يحصل للعبد من الصحة والغنى والقدرة حتى تصير الاشياء كأنها طوع يده لا يزيل الفاقة الذاتية لانه يجوز فى حقه تعالى أن يزيل ذلك ويبدله بضده المقتضى للافتقار والاضطرار

وحفظها عليه ولا يعتمد فى ذلك على عقله وعلمه (قال) بعض العارفين من نظر فى توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه ما هو قريب من هذا من كان فى توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه فى توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة * قال الشيخ أبو طالب المكى بعد أن ذكر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا فمن أفضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه ايانا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه فى تصريف الاحوال اذ هو أصل الاعمال التى هى مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب بنا تنا فى الاعمال أى شئ كنا نصنع وعلى أى شئ كنا نعول وبأى شئ كنا نطمئن ونرجو فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام الشيخ أبى طالب رضى الله عنه وهو حسن فى هذا المعنى ۞ (فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) اذا ثبت أن نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لك وأنك فى ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضى والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية وانما أورد عليك الاسباب التى تضاد وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفى عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك فتلازم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك (قال) بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة أو الليلة كل يوم لاشتغل بذلك عن دعوى الربوبية * قال فى لطائف المنن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممديه ومدد يمده وكما أن الحق سبحانه هو الغنى أبدا فالعبد مضطر اليه أبدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله

تعالى فيها غير أنه خمس اضطراره في المنة التي أفرغت عليه ملابسها وهذا هو حكم الحقائق اذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم حققه الكشف أي علم كان في أي وقت كان والارادة صفتها التخصيص اي ارادة كانت في أي وقت كان ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله أقواما اضطروا اليه عند وجود أسباب ألجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الآية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الآيتين الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى ولما لم تصل عقول العوام الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار اليه ليرفعوا قهر ربوبيته وعظمة الهيبة انتهى (خيرا أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك) انما كان هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك فهي لا محالة خير أوقاتك وهي مواسمك واعيادك حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا * حكي عن عطاء السلمي رضي الله عنه انه بقي سبعة أيام لم يذق شيأ من الطعام ولم يقدر على شئ فسر قلبه بذلك غاية السرور فقال يارب ان لم تطعمني ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهي لاي سبب وبأي وسيلة واستحقاق عاملتني بما عاملت به أولياءك (وقال) بشر الحافي رضي الله عنه بلغني أن بنت الفتح الموصلي عريت فقيل له ألا تطلب من يكسوها فقال لا أكسوها حتى يرى الله عريها ويصبري عليها قال فكان اذا كان ليالي الشتاء جمع عياله ومال بكسائه عليهم ثم قال اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي بأي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا بأوليائك واحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضي الله عنه بكى في ليلة قرة ثم قال الهي أجعتني وأجعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي واقعدتني وأقعدت عيالي في بيت ليس فيه مصباح وقد كنت تفعل هذا بأوليائك واهل طاعتك الهي فبأي عمل أستحق هذا منك حتى أدوم لك عليه * وقيل للربيع بن خيثم رضي الله عنه قد غلا السعر فقال نحن اهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع اولياءه

(متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) فتح باب الانس بالله تعالى هو الاستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وتحققت في أنسك بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمئز بقلبك منهم وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا لك كما جاء عن ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه حين اطلع على انواع من العجائب ووجه بسني الرغائب وكشف له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيأ فقال

(خيرا أوقاتك) ايها المريد الصادق (وقت تشهد فيه وجود فاقتك) بأن يزوي عنك الدنيا وشهواتها (وترد فيه الى وجود ذلتك) بكسر الذال اي فقرك وانما كانت هذه خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك عنه بخلاف الوقت الذي تشهد فيه وجود غناك وعزك فان ذلك شر أوقاتك * حكي عن عطاء السلمي انه بقي سبعة أيام لم يذق شيأ من الطعام ولم يقدر على شئ فسر قلبه بذلك وقال يارب ان لم تطعمني ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله ويتضرع اليه ويقول الهي بأي سبب وبأي وسيلة واستحقاق عاملتني بما عاملت به أولياءك وكذا وقع للفضيل بن عياض فقال فبأي عمل أستحق هذا منك حتى أداوم عليه الى غير ذلك مما وقع لاهل الله تعالى ولذا قال المصنف فيما سيأتي ورود الفاقات أعياد المريدين (متى أوحشك من خلقه) أي ما عدا الله تعالى بأن تشمئز منهم بقلبك وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا عن مولاك (فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) فاذا فتح لك ذلك الباب وآنسك بالخطاب صرت له وحده وغبت عن غيره كما وقع لابي يزيد قدس الله سره انه اطلع على أنواع من العجائب وكشف له عن المكونات العلا فقيل له وهل استحسنت منها شيأ فقال لم أر شيأ استحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا

لم أر شيأ أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله فى حضرة القدس وسيأتى هذا المعنى فى قوله فى مناجاته أنت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوالم ﴿(متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد أن يعطيك) اطلاق اللسان بالطلب هو أن يحل عنه عقدة الصمت الذى اوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وأطلق لسانه بالطلب كان اذذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وأنشدوا

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب * من فيض جودك ما ألهمتنى الطلبا

وفى الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أذن له فى الدعاء منكم فتحت له ابواب الرحمة وما يسئل الله شيأ قط أحب اليه من ان يسئل العفو والعافية فى الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة (قال) الشيخ ابو بكر الخفاف رضى الله عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله دعوا عبدى فانى أحب ان أسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدى وسعديك لا تدعونى بشئ الا استجبت لك ولا تسألنى شيأ الا اعطيتك اما ان أعجل لك ما سألت واما أن أدخر لك عندى افضل منه واما أن أدفع عنك به من البلاء ما هو اعظم من ذلك ﴿(العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) معرفة العارفين هى معرفتهم بأنفسهم وبما هى عليه من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر ما يحققون بذلك من انفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء فى الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار * قال سيدى ابو العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه الولى لا يزال مضطرا قال الاستاذ تاج الدين بن عطاء الله قدس الله سره معنى كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله تعالى الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم وانما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكأنه رحمه الله قصد بهذا أن يعلمك ان ما تقدم له من الاستيحاش من الخلق واطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين ﴿(آثار الظواهر بأنوار آثاره وآثار السرائر

(متى أطلق لسانك بالطلب) اى بان حل عنه عقدة الصمت التى اوجبها الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بأن أشهدك فقرك وفاقتك حتى دعوته كنت اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار (فاعلم انه يريد أن يعطيك) اى يحصل لك مطلوبك لصدق الوعد باجابة الدعاء ٩٤. من المضطر والله لا يخلف الميعاد ولقوله عليه الصلاة والسلام من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة أى اما بعين المطلوب أو بغيره عاجلا أو آجلا قال بعضهم هذا اذا كان الدعاء صادرا عن اختيار وقصد أما اذا جرى على لسانه من غير قصد فان الاجابة بعين المطلوب لا تكاد تتخلف (العارف لا يزول اضطراره) أى احتياجه بل هو دائم مستمر لشهوده قبضة الله الشاملة المحيطة ولمعرفته بنفسه وبما هى عليه من الفاقة وتحققه بذلك فى كل نفس بخلاف غيره فانه تارة يضطر فيدعو وتارة يدعو من غير اضطرار وذلك أن اضطرار العامة بمثيرات الاسباب لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فاذا زالت زال اضطرارهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم (ولا يكون مع غير الله قراره) أى لا يركن ولا يستند بقلبه لغير الله تعالى لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم فكأنه يقول ان ما تقدم من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب نعتان من نعوت العارفين * ثم قال (آثار الظواهر) أى المكونات من السموات والارضين أى جعلها منيرة (بأنوار آثاره) أى آثار أوصافه اى بانوار الكواكب من شمس وقمر ونجوم التى هى آثار لاوصافه من قدرة وارادة وغيرهما فتلك الظواهر بانوار صارت مكشوفة لنا بانوار الكواكب وحينئذ نرى المكونات ونأخذ منها ما ينفع ونحترز عما يضر (وآثار السرائر) جمع سر وهو باطن القلب كما مر

(بانوار اوصافه) اى بالعلوم العرفانية والاسرار الربانية الناشئة عن تجلى اوصافه على قلوب العارفين فتلك السرائر اى سرائر العارفين صارت مكشوفة لهم بانوار العلوم والمعارف الناشئة عن اوصافه سبحانه اى بجليها على قلوبهم وحينئذ يشاهدون ما فى سرائرهم من الاوصاف فيحترزون عما يضرهم منها ويتصفون بما ينفعهم (لاجل ذلك) اى كون الظواهر نارت

بانوار آثاره والسرائر نارت بانوار أوصافه فالانوار الاولى ناشئة عن الحادث والثانية عن القديم (أفلت) أى غابت وذهبت (أنوار الظواهر) أى الكواكب فيذهب نور الشمس فى الليل ونور القمر والنجوم فى النهار ونسبة ذلك النور الى الظواهر باعتبار كونه متوارا لها والا فهو قائم بالكواكب (ولم تأفل) بضم الفاء أى تغب وتذهب (أنوار القلوب والسرائر) أى الانوار الناشئة عن مشاهدة الصفات القديمة التى لا تزول وما ينشأ عن القديم لا يزول وانما يطرأ عليه تغطيته بالاوصاف البشرية بالنسبة للعارفين ثم تزول وذلك النور ثابت فى قلوبهم (ولذلك) أى لاجل أفول أنوار الظواهر وعدم أفول أنوار السرائر (قيل) أى قال الشاعر.

(ان شمس النهار تغرب بالليل) أى واذا غربت ذهب ضوءها (وشمس القلوب ليست تغيب) وهو بيت مدوّر ونصفه الباء وقبله طلعت شمس من أحب بليل فاستضاءت فمالها من غروب وفى هذا تنبيه على أن الامور الباقية هى التى ينبغى أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين

بانوار أوصافه لاجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل ان شمس النهار تغرب بالليـل وشمس القلوب ليست تغيب)

أنوار الظواهر التى بها آثارها الحق تعالى هى الادراكات والاحساسات والحركات التى اتصف بها ظاهر العبد وأنوار السرائر التى بها أنارها الحق تعالى هى المعارف والعلوم ولطائف الادراكات والفهوم التى اشتمل عليها باطنه وسره فأنوار الظواهر متعلقة بانوار الآثار الحادثات وانوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها وأنوار السرائر متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف التعلقين فى الحدوث والقدم والغنى والفقر والفناء والبقاء كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من أفول انوار ما تعلق بالحادث الفانى وعدم أفول انوار ما تعلق بالقديم الباقى ثم انشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله

طلعت شمس من احب بليل * فاستضاءت فمالها من غروب

وفى هذا تنبيه على ان الامور الباقية هى التى ينبغى أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين ويروى ان رجلا سأل سهل بن عبد الله رضى الله عنه عن القوت فقال هو الحى الذى لا يموت فقال انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم فقال سألتك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقال انما سألتك عن طعم الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفى معناه أنشدوا

كمل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
أتكمل الفانى وتترك باقيا * هملا وانت بأمره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة * ما لم تحصله بها لم تحصل
يفنى وتبقى دائما فى غبطة * اوشقوة وندامة لا تنجلى
أعطيت جسمك خادما لخدمته * ان يملك المفضول رق الافضل
شرك كثيف انت فى احباله * مادام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ما باله يرضى بادنى منزل

(وقيل فى هذا المعنى ايضا)

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته * وتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان

(ليخفف الم البلاء عليك علمك بانه سبحانه هو المبلى لك) اى استحضارك انه سبحانه هو المبلى دون غيره وأنه اعلم بمصالحك من نفسك فان ذلك سبب فى تسليك وتسليمك ووجود صبرك (فالذى) أى لان الذى (واجهتك منه الاقدار) اى الامور المقدرة عليك من المرض وذهاب المال والولد ونحوهما (هو الذى عودك حسن الاختيار) اى اختيار الامر الحسن الذى يلائمك فان من كانت له عليك نعمة من المخلوقين وجرت عادته أنه يحب الخير لك على تقدير أنه أساء اليك فى بعض الاحيان تحمله لانه ربما كانت اساءته احسانا فى الباطن وكذلك العبد اذا علم انه سبحانه وتعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغى له أن لا يبالى به فانه يتعود منه الاخير فيحسن ظنه به ويعتقد أن ذلك اختيار له وأن له فى ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم قال أبو طالب المكى فى هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله وأسوأ عاقبة. اه (من ظن انفكاك لطفه عن قدره) أى عما قدره الله عليه من البلايا والمحن (فذلك لقصور نظره) اذ لو كمل نظره لوجد نفسه قد حصل له فى تلك البلايا ألطاف كثيرة منها اقباله على المولى بتلك البلية فان البلايا التى يبتلى الله بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أنه يرد العبد الى الله ويلزمه بابه فيلتجئ اليه وهذا أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك فى نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية ومنها أن فى البلايا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها التى توقع العبد فى الذنوب والمعاصى وتقوى رغبته فى الدنيا ومنها أن العبد يحصل له عندها غالبا طاعة القلوب كالصبر والرضا والتوكل والزهد وحب لقاء الله تعالى وذرة من اعمال القلوب خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح ومنها انه يحصل بها كفارة الذنوب والخطايا الى غير ذلك من الالطاف الالهية

﴿(ليخفف الم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار) اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومستعطف عليه وناظر اليه فكل ما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغى له ان لا يكترث بذلك ولا يباليه فانه لم يتعود منه الا الخير له فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك اختيار له وان فى ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم * قال أبو طالب المكى فى هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى واسوأ عاقبة * وفى معنى ذلك قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلايا لانها نعمة فى الآخرة فاذا كل ما يصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان فلله الحمد على نعمه قال فى التنوير انما يقوم بهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره وأنشد فيه لنفسه بقوله

وخفف عنى ما الاقى من العنا * بأنك انت المبتلى والمقدر
وما لامرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذى يتخير

(وكان) الاستاذ ابو على الدقاق رضى الله عنه يقول جربت مرة وكنت فى صورة وحشة من ذلك فدخلت الحمام ففتح على قلبى بشئ من الرضا فكنت الم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها اثر (وقال) الاستاذ ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه سمعت الاستاذ ابا على الدقاق يقول فى آخر عمره وقد اشتدت به العلة من امارات التأييد حفظ التوحيد فى اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة فى امضاء الاحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد وقال الجنيد رضى الله عنه كنت نائما عند سرى السقطى رضى الله عنه فنبهنى وقال لى يا جنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يديه فقال لى يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة اعشارهم وبقى معى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة اعشار العشر وبقى معى عشر العشر وخلقت النار فهرب منى تسعة اعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة اعشار عشر عشر العشر فقلت للباقين معى لا الدنيا اردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون قالوا انك لتعلم ما نريد فقلت لهم انى أسلط عليكم من البلاء بعدد انفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسى أتصبرون قالوا اذا كنت أنت المبلى فافعل ما شئت فهؤلاء عبادى حقا ﴿(من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قصور النظر فى عدم رؤية اللطف فى القدر

انما هو من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم ولو كل نظر العبد وقوى بصره لرأى فى ذلك من الفوائد والمصالح مالا يحصى وما غاب عنه أكثر ولكان كما روى عن بعض الصالحين العارفين أنه قال لقد مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول وكان عمران بن الحصين رضى الله عنه قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره سطيحا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد وكان تحته نقب لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكى لما رأى من حاله فقال له لم تبكى قال لانى أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فانى أحب ما أحبه الله تعالى الى ثم قال أحدثك بشئ لعل الله تعالى ينفعك به واكتم على حتى أموت ان الملائكة تزورنى فآنس بها وتسلم على فأسمع تسليمها * وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلى فداؤك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا ما أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال ما يسرنى أنى نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شاهدوا فى بلاياه عطاياه وفى محنته منته وفى عنفه لطفه فأوجب لهم ذلك من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على أن لا يحبوا زوال ذلك عنهم ولا انقضاءه ووجوه الالطاف والمنن فى البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التى يبتلى الله بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أن ذلك راده الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد فى الذنوب والمعاصى وتتأكد منه الرغبة فى الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة أو عيلة أو ذلة أو فاقة أو قلة وفى الخبر عن الله تعالى الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس بذلك من أحببت من عبادى وفيها أيضا تحصل له طاعات القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى قيل لعبد الواحد ابن زيد رضى الله عنه ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبى أخبرنى عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا انى أستحى منك لاخبرتك ان معاملتك له خمسين سنة مدخولة قال أبو طالب المكى رضى الله عنه اراد بذلك انه لم يرفعك بأعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك منه أعمال القلوب التى يستعمل بها كل محبوب مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس به مقام المحب والرضا وصف المتوكل أى انما انت عنده فى طبقة أصحاب اليمين فزيدك منه مزيد العموم من أعمال الجوارح

وهذه اشارة الى ما قلناه من أفضلية أعمال القلوب على أعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها فى البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز البر وذكر أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبى القرطبى المالكى رحمه الله فى كتاب النصائح له ان عروة بن الزبير رضى الله عنه امتحن بقرحة فى ساقه بلغت به الى نشر عظم ساقه فى الموضع الصحيح منها فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال لا ولكن شأنكم بها فنشرت الساق ثم حسموها بالنار فما حول عضوا ولا انكروا منه حتى مسته النار فزاد على ان قال حسبى وأصيب حينئذ ابنه محمد وكان من احب ولده اليه فلما رأى القدم بيد بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم انى لم امش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها فى مقبرة المسلمين ثم جعل يقول لئن اخذت لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لقد طالما اعطيت وذكر ابن قتيبة فى عيون الاخبار له عن المدائنى قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله عن سبب ضرره فقال بت ليلة فى بطن واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل اذهب ما كان لى من مال وأهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فافلت البعير والصبى معى فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت الا ورأس الولد فى بطن الذئب قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحنى رمحة حطم بها وجهى واذهب عينى فأصبحت لاذا مال ولا ذا اهل ولا ذا ولد ولا ذا بدن فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان فى الناس من هو اعظم بلاء منه وروى عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه انه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحى البصرة قال فأوام السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الذى بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدى بأى ذنب سلطت هؤلاء على ليسخطونى عليك ويكرهونك الى سيدى لك العتبى من ذلك الذنب واستغفرك منه ولا اعود فيه ابدا قال ثم اعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروى عن بشر بن الحرث الحافى رضى الله عنه انه قال رايت ببغداد رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو صرع من جنة به قال فوضعت راسه فى حجرى وجعلت اسأل الله تعالى ان يكشف ما به وادعو فأفاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى ويعترض عليه فى نعمته علىّ ونحى راسه من حجرى قال بشر فعاقدت الله تعالى ان لا اعترض على عبد فى نعمة اراها عليه من البلاء وقد روى فى بعض الاخبار ان يونس وجبريل عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يونس لجبريل دلنى على أعبد اهل الارض فأتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول متعتنى بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وابقيت لى فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل انما سألتك ان تريني صواما قواما قال ان هذا كان قبل البلاء هكذا وقد امرت أن اسلبه بصره فأشار

الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الامل يابر ياوصول فقال جبريل هل تدعو وندعو معك أن يردّ الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التى كنت فيها فقال ما احب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته فى هذا فمحبته أحب الىّ من ذلك قال يونس ياجبريل والله مارأيت أحدا أعبد من هذا قال جبريل يايونس ان هذا طريق ليس يوصل الى رضاه بشئ أفضل منه وفى الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولاسبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من أنواع البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سيآته بها وان قدر عليها ولم يتكاسل عنها لم يأمن تخليصها من الشوائب وتسليمها من الآفات والمعايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به أمله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم ان ما اختاره له خير له مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذى قال له أوصنى قال لاتتهم الله فى شئ قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابه سراء فشكر كان خيرا له وان أصابه ضراء فصبر كان خيرا له وذكر البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مايصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولاسقم ولاحزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيآته وذكر أيضا من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فماسواه الاحط الله تعالى عنه به سيآته كما تحط الشجرة أوراقها وذكر البخارى ومسلم أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يشاك بشوكة فمافوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخارى أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها وروى عن عيسى عليه السلام انه قال لايكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة فى الحمى والعمى وغير ذلك روى البزار من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما أشدها عليك يارسول الله قال انا كذلك يشدد علينا البلاء ليضاعف لنا الاجر قال يارسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون لئن كان أحدهم

ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة يحويها وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء وقيل فى معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين أى من الآثام والذنوب بالحمى والامراض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه للحمى اذهبى الى أهل قباء وقد روى فى بعض الاخبار بدلا من أهل قباء الانصار وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى يوما شخصا أسود فقال من أنت فقالت أم ملدم آكل اللحم وأشرب الدم وحرى من فيح جهنم صورة الحمى فقال عليه السلام اذهبى الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فأصبح النبى صلى الله عليه وسلم فلم ير أحدا من الانصار حضر الصلاة فطلبهم فقيل أخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله لنا حتى يزيد نا منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك يا أم السائب او يا أم المسيب ترفرفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبى الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخارى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل قال اذا ابتليت عبدى المؤمن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال فى آخر الحديث من قول أحد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان أيضا وروى ان أنس بن مالك وأبا ظلال رضى الله عنهما كانا فى بيت ثابت البنانى فقال أنس يا أبا ظلال متى فقدت بصرك قال وأنا صبى لا أعقل فقال الا أحدثك حديثا حدثنيه حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عزوجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى ومن طريق هلال بن سويد وهو أبو ظلال المذكور أنه سمع أنسا رضى الله عنه يقول مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أحدثكم بما حدثنى به جبريل عليه السلام عن هذا واضرابه الذين ذهبت أبصارهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى جبريل ان الله عزوجل يقول حق على من اخذت كريمتيه ليس له جزاء الا الجنة وفى حديث بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما اصيب عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وماذهب بصره عبد فصبر الالقى الله ولا حساب عليه وذكر البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة سوداء اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى اصرع وانى أنكشف فادع الله لى قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك قالت أصبر قالت فانى انكشف فادع الله أن لا انكشف فدعا لها الى غير ذلك مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها ايضا يحصل له تجديد التوبة

(لايخاف عليك) اذا كنت متلبسا بحال من الاحوال كطاعة أو معصية او نعمة او بلية (ان تلتبس الطرق عليك) اى طرق العبودية التى توصلك الى ربك عند تلبسك بحال من تلك الاحوال لان الشريعة مبينة لذلك فان من نظر فى الكتاب والسنة وجد ما يرشده فعبوديتك فى الطاعة ان تشهد منته بها عليك وفى المعصية ١٠١ الاستغفار والتوبة منها وفى النعمة الشكر عليها وفى البلية الصبر عليها (وانما يخاف عليك) فى هذه الاحوال (من غلبة الهوى عليك) حتى يعميك عن رؤية طريق قصدك مما ذكر بأن تعجب بالطاعة وتصر فى المعصية وتستثقل النعمة فلا تشكرها وتجزع فى البلية ويحتمل أن المعنى لايخاف عليك أيها المريد الصادق ان تلتبس عليك الطرق اى الاعمال الموصلة الى الله من صلاة وصيام وذكر اى يلتبس عليك الاولى منها فتصير تعمل هذا تارة وهذا أخرى وتنتقل فى أنواع العبادات لكونك لاتعرف الاولى منها من غيره اذا لم تكن تحت تربية شيخ وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصدك عن سلوك أية طريق من تلك الطرق فترجع عن التوجه الى مولاك بل الذى يلزمك ان تستعمل طرق القربات وان لم تعرف الاولى منها حتى يجمعك الله على شيخ ناصح يريك ذلك وتكون تحت تربيته (سبحان من ستر سر الخصوصية) اى سرا هو الخصوصية وهى العلوم والمعارف والاسرار الالهية التى يعطيها الله لاوليائه ويفيضها على قلوبهم (بظهور البشرية) أى الاحوال التى تعرض للبشر والامور الدنيوية التى يتعاطاها الناس فان بعض الاولياء قد يكون حمارا أو خواصا او حبالا كافلا يعرفه غالب الناس لستر خصوصيته بهذه الصنعة التى يتعاطاها ومخاصمته للناس فى حال معاملته معهم وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس وهم الدعاة الى الله تعالى ليتكمل بهم غيرهم (وظهر) للعباد

وأداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذلك ابلغ ما يذكر به فقد قيل الحمى بريد الموت وقد قيل فى قوله تعالى اولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون أى يختبرون بها وفى حديث عائشة وانس رضى الله عنهما قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفى لفظ الحديث الآخر من يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف رضى الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال ويقال لايخلو المؤمن فى كل أربعين يوما ان يراع بروعة او يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك فى هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشئ وفيها ايضا يقع له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له فى مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك فى صحته وذلك أبلغ له فى الوصول الى غرضه لانه من اختيار الله تعالى له وهو خير مما اختاره لنفسه وفى الخبر يقول الله تعالى لملائكته اكتبوا العبدى صالح ما كان يعمله فى صحته فانه فى وثاقى ان اطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتى وفى الحديث الصحيح من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الالطاف التى لا يعلمها وانما ذكرنا هذه المعانى ههنا لانها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله وكأنها مفسرة له وايضا فان العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لانه فى حال نزول البلايا يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكر يذكره بامثال هذه المعانى ليحصل له بذلك من الرضا وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجى له بذلك ان مات من فوره حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والاعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو الذى اوجب لنا فى هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة أكثر الاحاديث فيه الى رواتها الثقات لتطمئن قلوب اهل البلاء بذلك ونسلك الى الله واضحات تلك المسالك والله ولى التوفيق ﴿(لايخاف عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) الطريق الى الله تعالى واضحة لائحة لان الحق تعالى هو الذى تولى ذلك وبه أنزل الكتب وارسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن ربه قال أحمد ابن خضرويه البلخى رضى الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعى قد أسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى ﴿(سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر

(بعظمة الربوبية) أي تربوبيته العظيمة (في اظهار) آثار (العبودية) عليهم وهي الاحوال التي تطرأ على العبيد فتقتضي افتقارهم للرب كالمرض والفقر فان العبد اذا قام به حال من تلك الاحوال التجأ الى الرب في ازالته وظهر له عظمة ربوبيته اي ربوبيته العظيمة اي ان له ربا مالكا يزيل عنه ما قام به ولولا ذلك لم يعرفه فعظمة الربوبية انما ظهرت للعباد من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر ولذا قال الشاذلي قدس سره العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير

(لا تطالب ربك) اي تعترض عليه وتسيء الظن به (بسبب (تأخر مطلبك) اي ما طلبته منه باطنيا كان كالخصوصيات أو ظاهريا كالاغراض الدنيوية فاذا طلبت منه شيأ ولم يسرع لك الاجابة فلا تسيء به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل (ولكن طالب نفسك بتأخر ادبك) اي عدم وجوده حيث طلبت منه اسراع اجابتك ولا يخفى ما في ذلك من سوء الادب وأيضا مطالبتك له بالاجابة دليل على انك دعوت ليجاب في دعائك فيكون دعاؤك لغرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك وايضا اعتقادك انه لم يستجب لك اساءة ادب اذ ليس من شرط الاجابة أن تظهر لك بأن يجيبك بعين ما طلبت في الحال بل له أن يخفيها عنك لما في ذلك من المصالح فيجيبك بغير ما طلبت او بعينه لكن يؤخر ذلك لمصلحة يعلمها ثم اشار الى كمال الادب الذي اذا قام به العبد حصل له غاية مقصوده وهو المعبر عنه بالاستقامة وبالصراط المستقيم

في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقال (متى جعلك في الظاهر ممتثلا لامره) بأن وفقك للقيام بطاعته ويسر هالك عسى (ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره) أي الرضا بما يجري عليك من مولاك (فقد اعظم المنة عليك) حيث جمع لك بين عبودية الظاهر وعبودية الباطن فهذان الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك لا غير فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعد حصولهما ان كنت عبدا حقيقيا وهل درجات اهل الكمال الا التقلب في عبودية الظاهر وعبودية الباطن

بعظمة الربوبية في اظهار العبودية) سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التي اختص بها اهل ولاية الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود لغير ولا كون وذلك لما جعل فيهم من التهيئ والقابلية عن لطيف حكمة الله تعالى أن ستر ذلك بما أظهره من البشرية التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون كما قال في لطائف المنن ولابد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم ان من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد والتأله فظهر لنا من ذلك لزوم وجود الاله المعبود وهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي ذكره المؤلف رحمه الله ههنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى ﷺ (لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) اذا دعوت ربك وسألت منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما شاء لا يسئل عما يفعل ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فانها اهل للمطالبة وسوء أدبها من وجوه احدها انك دعوت لتجاب في دعائك فيحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك وسيأتي هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك سببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه ولكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بأحكام الربوبية والثاني اعتقادك انه لم يستجب لك اذ ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة أن تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما في ذلك من المصالح والاجابة اليه امرها يجعلها ما شاء مما تعلمه أو تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخير أمد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا ليأسك الى آخره والثالث وهو أشدها اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك له اذا تأخرت اجابته عليك ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التي يكون عليها العبد فائما بحق الادب وواصلا الى غاية الادب فقال ﷺ (متى جعلك في الظاهر ممتثلا لامره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك) هذان الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك لا غير فتى يسر هما الله تعالى لك وأقامك في مراعاة أحكامهما ووفقك لذلك فقد اعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعدهما ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه صحبت اخا في الله تعالى في البادية واعتزلنا في مغارة

عسى أن نكون من أولياء الله تعالى وأن يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم فأقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك واذا بشيخ على باب المغارة يستأذن فأذناله فدخل فسلم ووقف فقلناله من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله فقلناله كيف حالك فقال كيف حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه في هذه الجمعة أكون وليا في هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة يانفس ألا تعبدين الله تعالى كما أمرك مخلصة لوجهه كما أمرك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من أين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى رحمنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يانفس من أنت وما عملك وما خطرك أنت لاشئ وتبنا واستغفرنا الله تعالى قال ففتح الله علينا بجوده وفضله ۞ (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) التخصيص ههنا هو ان يظهر الحق تعالى على بعض عباده أثر نعمته وعنايته وتولية لطفه ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن رؤية الاغيار والاكوان وهؤلاء هم خواص المقربين أهل العلم بالله والحب له ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حاله بما يليق به من علوم واعمال وهؤلاء عامة المقربين وخاصة أصحاب اليمين العباد الزهاد وأهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعالى من لطائف الكرامات وفيما يخصهم اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب مرتبطون بوجود الحجاب وقد يختص الحق تعالى هؤلاء باظهار الكرامات على أيديهم وبسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معاني القدر افضل ممن يكاشف بها اذ كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة اثر القادر ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيأ من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجف اجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلي رضي الله عنه وقيل له ان أبا تراب ذكر انه جاع في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال ابيت عند ربي فيطعمني ويسقيني قال في لطائف المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته وأحديته وأن قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط والاسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته فالواقف عندها مخذول والنافذ منها اليه من هو بالعناية موصول قال وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية مجتمع لا يفترق وأمر لا يفتقد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد لا يستوي من

(ليس كل من ثبت تخصيصه) باظهار أمر خارق للعادة على يده كطي الارض والطيران في الهواء والمشي على الماء (كمل تخليصه) من آفات النفوس وغوائلها وما تدعو اليه من الشهوات والمخالفات فكأنه يقول ليس كل مخصص بالآيات والكرامات مخلصا من الآفات بل قد يكون بعض من خصص بالكرامة لم تثبت له الاستقامة فالكرامة الحقيقية هي الاستقامة التي تضمنها ما تقدم بخلاف الكرامات التي هي خوارق العادات فانها قد تحصل على يد من لم يكن مستقيما استقامة تامة وكثيرا ما تظهر على ايدي المبتدئين ولا تظهر على اهل التمكين والكل من اهل الله تعالى فينبغي احترامهم وتعظيمهم لكن يعظم اهل الاستقامة أكثر من اهل الكرامة

تعرف الله اليه بنوره بمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبيت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضى الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى ظهور الكرامات الحسية لما اعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك فى المنة ومعرفة تفضل الله تعالى فمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس فى الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها اعظموا من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هى الكرامات انما هى خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا بها على حدودهم حتى لا يلحقوا مقامات ليس هو لهم حتى قال ابو تراب النخشبى لابى العباس الرقى مايقول اصحابك فى هذه الامور التى تكرم الله بها على عباده فقال مارأيت أحدا الا وهو مؤمن بها فقال ابو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقال ما اعرف لهم قولا فقال أبو تراب بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع فى حال السكون اليها فأما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبى تراب رضى الله عنه بعد أن عطش القوم وهم أصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال انى اريد ان اشرب به فى قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقانا قال أبو العباس الرقى ومازال القدح معنا الى مكة قال الشيخ أبو الحسن والقول الفصل فى ذلك انه لا ينبغى ان تطلب أدبا مع الله تعالى ومن ظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثالث وهو ان تظهر الكرامات فى الولى لغيره والمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان اوشاكا فى خصوصية هذا العبد فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال أبو نصر السراج سألت ابا الحسن بن سالم فقلت له مامعنى الكرامات وهم قد أكرهوا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف اكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذى قسم الله لهم فيقولون الذى يقدر على ان يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا تنظر اليه قادر على ان يسوق اليك رزقك من حيث لا تحتسبين فيحتجوا بذلك على تصحيح نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك حجج نفوسهم فيكون ذلك سبب الرياضة لنفوسهم وتاديبها لها قال ابو نصر وقد حكى لنا ابن سالم فى معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه انه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحق بن احمد وكان من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا أعنى من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا أبا محمد ان نفسى هذه ليست

تترك الصياح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعاما تأ كله فقال له ومن امامى فى ذلك حتى أفعل فقال امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى المعنى فى ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك فقال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى حتى تطمئن نفسى فانى مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام ابى نصر وقال بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات الا على ايدى البله من الصادقين وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله رضى الله عنه فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدى قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل اما علمت أن الصبيان اذا بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وحكى جعفر الخالدى عن الجنيد رضى الله عنه قال جاءنى ابو حفص النيسابورى مرة ومعه عبد الله الرباطى وجماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام فقال يوما لابى حفص قد كان فيمن مضى لهم الآيات الظاهرة يعنى بها الكرامات وليس لك شئ من ذلك فقال له ابو حفص رضى الله عنه تعالى فجاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم فأحمى فيه حديدة عظيمة فادخل يده فى الكير فاخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت فى يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله فخشى على حاله ان يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما يتفرعنها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف ألطف ما يخادع به الاولياء الكرامات والمعونات * وذكر عن ابى حفص او غيره أنه كان جالسا وحوله اصحابه قال فنزل ظبى من الجبل فبرك عندهم قال فبكى ابو حفص فسئل عن بكائه فقال كنتم حولى فوقع فى قلبى ان لو كان لى شاة لذبحت لكم فلما برك هذا الظبى عندنا شبهت نفسى بفرعون حين سأل الله تعالى ان يجرى معه النيل فاجراه معه فبكيت وسألته الاقالة مما تمنيت واطلقت الظبى ويحكى أن بعض الابدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ ابى مدين رضى الله عنه ما بال الناس لا يعتاص علينا شئ وهو يعتاص عليه أقل الامور مع انا نتمنى مقامه وهو لا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ ابامدين فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن بعضهم انه كان يسير فى البادية فانتهى الى بئر فاذا الماء ارتفع الى رأس البئر فقال انا اعلم انك قادر على هذا ولكن لا اطيقه فلو قيضت لى بعض الاعراب ليصفعنى صفعات ويسقينى شربة ماء كان أسلم لى ثم انى لأعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه اذا رأيت الرجل يشير الى الآيات والكرامات فطريقه طريق الابدال واذا رأيته يشير الى الآلات والنغمات فطريقه طريق المحبة وهو اعلى من الذى قبله واذا رأيته يشير الى الذكر ويكون قلبه معلقا بالذكر الذى ذكر فطريقه طريق العارفين وهو اعلى درجة من جميع الاحوال * وقال ابو يزيد

قوله الآلات والنغمات فى نسخة الآلاء والنعماء

رضي الله عنه كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الآيات والكرامات فلم التفت اليها فلما رآني كذلك جعل لي الى معرفته سبيلا ﴿لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار واولى مايعتنى به مالا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه﴾ الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة او باطنة والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار فينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد احق مايعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين احدهما أن الورد مختص بهذه الدار لايقع الا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفائت بفنائها فينبغي للعبد أن يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لايمكنه خلف مافات منها والثاني ان الورد هو حق للحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك اولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال في لطائف المنن واعلموا ان الله تعالى أودع انوار الملكوت في أصناف الطاعات فان من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقة جنس فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيأ من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضي به المدعون من بروز الحقائق على السنتهم وفقد انوارها من قلوبهم لان الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحجب الغيب عنه وانما حجاب الغيوب وجود العيوب والتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب ولا تكن ممن يطالب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف عليه الوقت استبطأ أدبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفي كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على تأكد أمر الاوراد وعظم موقعها من الدين وان مراعاتها من احسن سمات العارفين وقد روي الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تاخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لانتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته وروي بعد وفاته في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم ومانفعنا الا ركعات كنا نركعها في السحر * وحكى ابو محمد الجريري رضي الله عنه قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك وحينئذ تطوى صحيفتي وقال أبو الحسن الدراج رضي الله تعالى عنه ذكر عند الجنيد

لا يستحقر الورد) وهو الاعمال الصالحة التي تعمر بها الاوقات وتنكف بها الجوارح عن الوقوع في المكروهات بأن لا يعتني به ولا يواظب عليه) الا جهول) لما فيه من العبودية لله تعالى والحضور بين يديه والتنعم بذكره ولانه يورث تصفية الباطن وجلب الانوار وهي الواردات فالتشوف لها مع عدم الاعتناء بما يجلبها من الجهل والحمق * ثم ذكر أن له مزية على الوارد من وجهين أشار الى الاول بقوله (الوارد) وهو مايرد على باطن العبد من المعارف الربانية واللطائف الروحانية وهي الانوار التي ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره (يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار) أي يفنى بفنائها (واولى مايعتنى به مالا يخلف وجوده) أي فينبغي للعبد أن يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف مافات منها والى الثاني بقوله (الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه) يعني ان الورد هو حق الله منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلبك حظوظك ووقوفك معها وأتى المصنف بذلك ارشادا للمريدين الذين يتشوفون الى الواردات ويتركون الاوراد ويستحقرونها وذلك من الجهل بثمراتها ولذا لم يترك العارفون اورادهم مع تمكنهم في احوالهم اكثر من المريدين

أهل المعرفة بالله تعالى وما يراعونه من الاوراد والعبادات بعد ما لاطفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضي الله عنه العبادة على العارفين احسن من التيجان على رؤس الملوك * وقال ابو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من اصحابنا فرأيناه قاعدا يصلي ويثني رجله اذا اراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض اصحابه ممن حضر ذلك الوقت وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ما هذا يا ابا القاسم فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته قال له ابو محمد الجريري رضي الله عنه يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت وجود منة الله الله اكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه * وقال الحصري رضي الله عنه الناس يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي الله عنه لما حضرت ابي الوفاة جعلت ألقنه الشهادة فقال لي يا بني دعني فاني في وردي السابع * قال ابو طالب المكي رضي الله عنه ومداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان وفي خبر عن عائشة رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ آخر كان اذا عمل عملا أتقنه واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وجاء في الاثر كلام تارة يروى عن الحسن بن علي وتارة يروى عن الحسن البصري ومرة عن عائشة رضي الله عنهم اجمعين وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون استحقار الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدأ ذلك ان تلوح له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حاله واختيار بطالته وفي ذلك رفض العبودية بالكلية وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه راجعون فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وأنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي * قال السهروردي رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف فأما من تعوق بخيال اوقنع بمحال ولم يحكم اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فيعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة

(وورود الامداد) من الله تعالى على عبده (بحسب الاستعداد) اى بحسب استعداد العبد بتطهير قلبه وملازمته لوروده ولذا قيل طهر قلبك من الاغيار تملأه بالمعارف والاسرار فالوارد تابع للورد كيفا وكما ودواما فان كان الورد كاملا بأن برز من قلب صاف كان الوارد مثله او ناقصا كان مثله وان كان كثيرا كان الوارد كثيرا والا فحسبه ويعتبر ذلك بمجموع العمر ولذا كان أحب العمل الى الله ادومه وان قل وان كان دائما كان الامداد دائما فالمواظبة على الورد من أهم المهم وهذا يصلح ان يكون وجها ثالثا لمزية الورد على الوارد (و) قوله (شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) تعليل لما قبله وايضاح له أى شروق انوار اليقين والعرفان وهى الامدادات المذكورة على حسب صفاء الاسرار من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ولا يكون صفاؤها غالبا الا بملازمة الاوراد (الغافل) عن التوحيد وأن كل شئ بقضاء الله وقدره (اذا أصبح ينظر ماذا يفعل) اى ينسب افعاله الى نفسه فيقول ماذا افعل فى هذا اليوم مثلا (والعاقل) أى المستيقظ الذى لا يغفل عن التوحيد ولا يغيب عنه أن كل شئ بقضاء الله وقدره (ينظر ماذا يفعل الله به) اى ينسب افعاله كلها الى الله تعالى فيقول اذا اصبح ماذا يفعل الله بى فى هذا اليوم مثلا فنظر الغافل لنفسه فرعها وكله الله اليها فلا تنجح مطالبه ونظر العاقل لربه فيكفيه ما اهمه وييسر له مطالبه فهذا ميزان يعرف به المريد حال نفسه فأول خاطر يرد عليه هو ميزان توحيده فلينظر اذا استقبله شغل فان عاد قلبه فى اول وهلة الى حوله وقوته فهو فيه منقطع عن الله وان عاد الى الله سبحانه فهو واصل اليه ويصح ان يكون معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله تعالى فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره

الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من ارباب الخلوة مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردى رضى الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وليس من هذا المعنى ما روى عن ابى سليمان الدارانى وأحمد بن عاصم الانطاكى رضى الله عنهما انهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما له قال ابا نصر السراج رضى الله عنه فسره بعد أن حكاه عن ابى سليمان الدارانى فقال وهذا الذى قاله ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما انه أراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر والعوائق المذمومة التى تشغل عن ذكر الله تعالى قلبه ويحتمل ايضا انه اراد بذلك أن يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات وتصير وطنه ويستلذها بقلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الآلام التى كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام ابى نصر ومعناه صحيح والله أعلم وبه التوفيق ﴿ (وورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) وورود الموارد الامدادية من الله تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية المجبولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ﴿ (الغافل اذا اصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به) اول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده فالغافل اذا أصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا أفعل اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو حقيق بأن يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت عليه عقله وينغص عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بى فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته أفلا جرم ان يكفيه الله تعالى تعلقات الامال ويفرغه من جميع الاشغال ويرضيه ويقر عينه بما يقيمه

فيه من اعمال او يورده عليه من احوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه من عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز اصبحت ومالى سرور الا فى مواقع القدر وقال ابو عثمان رضى الله تعالى عنه منذ اربعين سنة ما اقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته ومن املح ما رأيت فى هذا المعنى الذى ذكره المؤلف رحمه الله وما يجب ان يحذو على مثاله كل عالم متصوف ما ذكر الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلى رضى الله تعالى عنه فى كتابه صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفياء مسنده الى أيوب ابن بشر الطالقانى قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رأيت رجلا فى مرج الديباج ليس معه شئ فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يرحمك الله اين تريد قال ما أدرى قلت هل رأيت احدا يريد مكانا لا يدرى اين يذهب فقال نعم انا واحد فقلت فأين تنوى قال الى مكة قلت تنوى مكة ولا تدرى أين تذهب قال نعم وذلك انى كم مرة اردت أن اذهب الى مكة فيردنى الى طرسوس وكم مرة أردت طرسوس فيردنى الى عبادان فيبقى الى مكة ولا أدرى قلت فمن اين المعاش قال لا ادرى قلت اخبرنى باسباب ذلك قال من حيث يريد يجيعنى مرة ويشبعنى مرة ويكرمنى مرة ويهيننى مرة ومرة يقول لى ما على وجه الارض ازهد منك ومرة يقول لى انت لص ومرة ينومنى على الفراش ويطعمنى الطيب ويدهن رأسى ويكحل عينى ومرة يطردنى الطرد العنيف ولا ينومنى الا عند النواويس قلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال فالقانى فى بحر قلت فسر لى يرحمك الله كيف هذا قال انا رجل اسير نهارى فاذا جن بى الليل بت فربما يأوينى الليل الى قرية فاذا نظر الى اهلها قال بعضهم لبعض هذا لص لا تدعون هذا يأوى الليلة فى هذه القرية فاذا صليت العشاء الآخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نائم فأقول لبيك فيقول لى بالعنف قم من ههنا ليس لك ههنا موضع فأقول له حبا وكرامة فاين ابيت الليلة فيقول خارج القرية عند النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون لى مأوى الا عند النواويس تلك الليلة فاذا أصبحت سرت فيأوينى الليل الى قرية فاذا رآنى اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندى يبيت ويقول هذا عندى يبيت فاذا صليت العشاء الاخيرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فأقول نعم حبا وكرامة فأمضى معه الى المنزل فيأتينى بالطعام الطيب ويدهن رأسى ويكحل عينى ويأتينى بالفراش اللين فينومنى عليه ولا يدع شيأ من البر الا فعله بى حتى أصبح فهذا حالى مع سيدى فقلت رحمك الله متى قدر لك ان تدخل بغداد فان منزلى فى موضع كذا وكذا قال فأنا يوما قاعد واذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا انا بصاحبى فسلمت عليه وأدخلته البيت فقلت له اى شئ صنع بك مولاك قال آخر ما فعل بى ضربنى ضربا شديدا وقال لى يا لص ثم ارانى ظهره فاذا اثر الضرب عليه فقلت ايش القصة قال كان اجاعنى جوعا شديدا فلما بلغت الايليا رجعت الى مقثأة قد نبذ منها المدود والمر فقعدت مقعدا آكل منه فنظرنى صاحب المقثأة فأقبل الى بعصا فجعل

يضرب ظهري و يقول يا لص ما اخرب مقثأتي غيرك منذ كم ارصدك حتى وقعت عليك واذا أنا بفارس قد اقبل مسرعا اليه فضربه بالسوط في رأسه وقال تعمد الى رجل زاهد فتضربه او يقال لمثل هذا يا لص قال فما كان باسرع من ان كنت عنده لصا فصرت زاهدا كما حدثتك قال فاخذ بيدي صاحب المقثأة فذهب بي الى منزله فما ابقى من الاكرامة شيأ واستحلني فخرجت من عنده وجئت اليك وقد يكون في معنى نظره الى ما يفعل الله به أن ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين رضي الله تعالى عنه احرص من ان تصبح وتمسي الا مفوضا مستسلما لعل الله أن ينظر اليك فيرحمك وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اول وهلة الى حولك وقوتك فانت المنقطع عنه فان عاد قلبك الى الله فانت الواصل الى الله وكل العالم في قبضته وتخصيص اهل الوصلة بأنهم في كنف ايوائه ولا يكلهم الى غيره واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن يتم بين اظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل له به في الظاهر عزة او نصرة بعدما كان دعا اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من حاد من الكفرة وعمل في ذلك على ما اظهره الله من آياته العظام عند بروك ناقته لما اراد توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا لما قصده ومقررا لما اعتمده انما حبسها حابس الفيل لا يدعوني اليوم قريش الى خصلة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا في الارض آمنين فلما استتب بينهم الصلح وانزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التي تضمنها ذلك التدبير الحسن وقرت اعين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بما ابرزه الله اليهم من الطاف ومنن وقد صح بالمعنى جميع ما قلناه في الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق عقده قوله في جميع تصرفاته اللهم اني اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحبه وترضاه من القول والعمل في طاعتك انك ذو الفضل العظيم وليقل ايضا ما رأيته لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا اعلم أمرا اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واحملني في اجمل الامور عندك واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير ۞ (انما يستوحش العباد والزهاد من كل شئ لغيبتهم عن الله في كل شئ فلو شهدوه في كل شئ لم يستوحشوا من شئ) العباد والزهاد في حجبهم عن ربهم لنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشياء

(انما يستوحش العباد) وهم المتوجهون الى الله بطريق العمل (والزهاد) وهم المتوجهون له بطريق التوكل (من كل شئ) فكل من الطائفتين يفر من الخلق لكونهم قاطعين عن الله وذلك (لغيبتهم عن الله في كل شئ) أي انهم محجوبون عن ربهم برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم فيفرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم لميلهم اليها وافتتانهم بها (فلو شهدوه في كل شئ) كما شهده العارفون والمحبون (لم يستوحشوا من شئ) أي من أي شئ من الاشياء لرؤيتهم له حينئذ ظاهرا في الاشياء كلها فيشغلهم ذلك عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها صارت اشبه فافهم هذا الاعتبار

(أمرك) أيها العارف (في هذه الدار بالنظر في مكوناته) لتراه ظاهرا فيها بعين بصيرتك قال تعالى قل انظروا ماذا في السموات الى غير ذلك من الآيات (وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) لتراه بعين بصرك فرؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابهم وهو تلك المكونات ولذا أمرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه عيانا بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف والرؤية في الدنيا على الوجه المذكور خاصة بالعارفين وفي الآخرة عامة لجميع المؤمنين (علم منك انك لا تصبر عنه) أي عن مشاهدتك له كما هو شأن المحب فانه لا يصبر عن رؤية محبوبه لكن رؤيتك له في هذه الدار من غير حجاب متعذرة (فاشهدك ما برز منه) من الآثار والاكوان أي اشهدك اياها لتراه فيها بعين بصيرتك وان كانت تلك الاكوان حاجبة لك عن رؤيتك له بعين بصرك فقد رأيته ولو من وراء حجاب وذلك كرامة من الله لك وعناية منه بك حيث لم يحجبك عنه في الدنيا أيضا (لما علم الحق منك) أيها

ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم والزهد في المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدي أبو الحسن رضي الله تعالى عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها أن تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم عن مقاصدهم بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من اهل العلم بالله والمحبة لله لراوه ظاهرا في الاشياء كلها ولكان لهم في ذلك من قرة اعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فانية متلاشية بهذا الاعتبار ۞ (أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي الدار الآخرة يرونه معاينة بأنوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف ۞ (علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه) عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاحتظاء بمعرفته وهو حال شريف يقتضي دوام وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة في هذه الدار لما هي عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان أشهده ما برز منه من الآثار والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا اقعده في مقعد الصدق وحصلت له عنديه الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية وما ذلك على الله بعزيز ۞ (لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك اقامة

المريد (وجود الملل) أي السآمة من ثقل العمل المؤدية الى تركه (لون) أي نوع (لك الطاعات) رحمة بك وتسهيلا عليك لانك اذا سئمت من نوع منها انتقلت الى غيره ولو كانت من نوع واحد لسئمته النفس وتركته استثقالا له بخلاف الانواع المتعددة فانها تستخفها وتستحليها لتنقلها من نوع الى نوع آخر وشأن النفس أن لا تدوم على حال واحد بل تتطرف في الاحوال ألا ترى ان الانسان اذا داوم على طعام واحد تسأمه نفسه كما وقع لبني اسرائيل (وعلم ما فيك من وجود الشره) أي مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه فيؤديك الى أن لا تأتي به على وجه الكمال (فحجرها) بالتخفيف أي منعها (عليك في بعض الاوقات) فان الفرائض يمتنع فعلها في غير اوقاتها المحدودة والنوافل يمتنع فعلها في وقت الكراهة وفي بعض النسخ فحجرها عليك في الاوقات بالتشديد أي جعل لكل طاعة وقتا مخصوصا ولم يجعلها دائمة في جميع الاوقات لئلا يحصل منك شره فيجرك الى الترك والحاصل ان تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الاوقات لوجود الشره نعمتان انعم الله بهما على عبده فان الملل والشره آفتان عظيمتان قاطعتان للعمل والموجب للملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا نوعت عليها استحلتها واستخفتها والموجب للشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير بأن يقرأ القرآن مثلا ولا يتدبر في معانيه ولا يحضر قلبه مع مولاه في حال قراءته فلذلك عين لها اوقاتا تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الاوقات وقوله (ليكون همك اقامة

الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) تلون الطاعات لوجود الملل وتحيرها في الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله بهما على عبده فان الملل والشره فتنتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل تكره يعرض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا له وهو شيء يتعرض للطبع بعد ايثاره للشيء ومحبته له والشره مجاوزة الحد في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات نتسأمها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستحسنتها وقد قال بعض الشعراء

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها اوقاتا توقع فيها واوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الاوقات فان كان الملل والشره واقعين في الصلاة لم يكن الآتي بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يؤمر الا باقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدى ابو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال الله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وقال عز وجل أقم الصلاة واقام الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة أنه اذا صلى المؤمن صلاة فقبلت منه خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء الله رضى الله تعالى عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه وقال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ عليها احكام الامر فيما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم منهم مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستقرة في حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله تعالى بالصلاة دون سائر العبادات حسن لان ذلك أكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على الصلاة حسبما يقوله باثر هذا

(الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب) كما روى في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك أيبقى من درنه شيأ (واستفتاح لباب الغيوب) لان القلوب اذا طهرت وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار

الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) بنصب يكون بعد لام كي على انه تعليل لما قبله اى انما الوّن لك الطاعات حتى لا تمل وحجرها عليك في الاوقات حتى لا تشره لاجل ان يكون همك الخ فانهما اذا انتفيا امكن توجيه الاهتمام الى حضور اقامة الصلاة لا الى مطلق وجودها وحصول صورتها بخلاف ما اذا وجدا فانه لا يكون معهما اتقان وفي بعض النسخ ليكن بالجزم فيكون كلاما مستأنفا واقامة الصلاة المرادة هنا حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل فلا يختلج فيه سواه وقيل هى القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتكون مستقبلا الى القبلة وقلبك مستقر في حقائق الوصلة وخص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات لان ذلك اكثر ما يقع فيها ثم أشار الى فوائد صلاة المقيم لا مطلق الصلاة بقوله (الصلاة) الحقيقية (طهرة للقلوب) من مكدرها بالآثار وتلوثها باقذار الاغيار ومن الاوصاف المبعدة لها عن مشاهدة العزيز الجبار وفي بعض النسخ من ادناس الذنوب من اضافة المشبه به للمشبه والذنوب مختلفة باختلاف المقيمين لها (واستفتاح) أى فتح أو طلب فتح (لباب الغيوب) أى ما غاب عنك من المعارف والاسرار شبهها بكنز له باب مغلق عليه والباب تخييل وهذا مرتب على ما قبله لان القلوب اذا طهرت رفع عنها الاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار

(الصلاة محل المناجاة) لأن فيها يكون محل الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الاسرار عند صفاء الاذكار للملك الجبار (ومعدن المصافاة) وهي زوال الاكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده ويجود ذاتك وجوده (تتسع فيها ميادين الاسرار) حتى تتكاثر عليك في الظهور (وتشرق فيها شوارق الانوار) فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات الست معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى من فوائد الصلاة وأن المقصود منها انما هو تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من أن المأمور به انما هو اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة أم العبادات وأساس الخيرات قال الله تعالى أقم الصلاة لذكرى فاخبر أن المراد من الصلاة الذكر وقد روى معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي الكلام عليه حيث تعرض المؤلف له وفي بعض الاخبار أن العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى السماء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وأن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وأن أبواب السماء تفتح للمصلي وأن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وكانوا يرون أن تلك الرقة والبكاء وذلك الفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه دعا الله تعالى الموحدين الى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل فعل وقول شيأ من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه حدثت أن المؤمن اذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الارض خوفا منه لانه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فاذا قال الله أكبر اطلع الملك على قلبه فاذا كان ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب نقطة العسل فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت

(الصلاة محل المناجاة) أي مناجاة العبد لربه باظهار صفاته الجميلة من رحمته للعباد وتربيته للعالمين وملكه يوم الدين الى غير ذلك من الصفات ومناجاة الرب له بما يلقيه في سره من العلوم الوهبية والاسرار العرفانية (ومعدن المصافاة) أي التودد أي مصافاة العبد لربه بتوجهه اليه بكليته واقباله عليه بعوالمه الظاهرة والباطنة حتى لا يختلج في سره غيره ومصافاة الرب لعبده بأن يمنحه شهوده ويفيض عليه فضله وجوده وهذه أعلى المصافاة ودونها مراتب وعلى قدر اقبال العبد يكون اقبال الرب جل جلاله (تتسع فيها ميادين الاسرار) أي تتسع فيها القلوب الشبيهة بالميادين للفرسان أي تنشرح بتوارد الاسرار أي العلوم والمعارف عليها وتسابقها فيها كتسابق الفرسان (وتشرق) أي تطلع (فيها شوارق الانوار) اى الانوار الشبيهة بالكواكب الشارقة وهو من عطف السبب على المسبب فان الانوار اذا أشرقت في القلوب انشرحت لما يرد عليها من العلوم والمعارف وذلك من ثمرات المناجاة والمصافاة وجميع ما ذكر كالدليل لما قبله من أن المطلوب اقامة الصلاة لا وجودها

(علم وجود الضعف منك) ايها المريد لان الطاقة البشرية لا تقدر على دوام التجلي الالهي (فقلل أعدادها) بجعل الخمسين خمسة (وعلم احتياجك الى فضله) باقباله عليك ومواجهته لك بما تحبه (فكثر أمدادها) بالفتح جمع مدد وهي الاسرار والعلوم والمعارف التي ترد على قلب المصلي فجعل امداد الخمسين في الخمس هذا بالنسبة للمريد ويقال بالنسبة لغيره علم وجود الضعف منك بتكاسلك عنها وكثرة اشتغالك وعلم احتياجك الى فضله أي كرمه فكثر أمدادها اى ثوابها بأن جعل للخمسة ثواب الخمسين (متى طلبت) أيها المريد من ربك (عوضا على عمل) صلاة كان أو غيرها بأن عملت ذلك لاجل ثواب آجل وهو الجزاء عليه في الدار الآخرة أو عاجل كالامدادات التي ترد ١١٤ عليك من قبل الحق سبحانه (طولبت) اى طالبك الحق تعالى (بوجود الصدق فيه) أي قال لك انك لم تصدق في كونك عملت العمل لاجلي بل عملته لحظ نفسك والصدق مطابقة الباطن للظاهر وهو مفقود في هذا العامل لان ظاهره أنه يعمل العمل لله قياما بحق الوهيته وباطنه أنه لم يعمل الا لحظ نفسه فيكفيه حينئذ سلامته من العقاب عليه كما قال (ويكفي المريب) أي المرتاب في كون مولاه يحصل له الثواب العاجل والآجل وان لم يقصده بعمله اذ لو كان جازما بذلك متيقنا لسعة جوده سبحانه وتعالى لم يخطر بباله ذلك في حال عمله بل كان يخلص فيه لله تعالى فيكفيه حينئذ (وجدان السلامة) من العقاب على ذلك العمل المدخول اى فيقول له الرب هذا العمل الذي عملته لا تستحق عليه من جزاء بل يكفيك من الجزاء عليه سلامتك وعدم عقابك وهذا تقبيح لحال طلب الجزاء على العمل وبيان أن المنهل العذب الصافي أن يعبد العبد ربه لما هو عليه من عظمة الالوهية ونعوت الربوبية لا لما يعود عليه في دنياه أو أخراه وقد ذكر المصنف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وأشار الى موضع منها أيضا بقوله (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا) بل هو الفاعل له حقيقة وانما أنت محل لظهوره واذا كان الفاعل هو الله فكيف تطلب أنت الجزاء عليه أو يقال ان المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله وليس للعبد الا مجرد الكسب فكيف يطلب الجزاء على عمل ليس منسوبا اليه الا بطريق الكسب (يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) أي قبوله له والمراد به عدم مؤاخذتك عليه مع كونه مدخولا بقصدك به طلب الثواب

عمل

ليس الله أكبر في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه فلا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار والآثار موافقة لمعنى ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى دالة عليه فلذلك أوردتها ههنا والله ولي التوفيق برحمته

(علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر أمدادها) فهذا من فضل الله تعالى الذي عوده عبده فتقليل اعدادها بأن جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه لما علم من وجود ضعفه وتكثير أمدادها بأن جعل للخمسة ثواب الخمسين وذلك فضل منه عليه اذا كان محتاجا اليه فلله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسراء

(متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة) تقدم أن العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وحكينا هنالك من الآثار والحكايات عن العارفين وأرباب القلوب ما فيه مقنع وقد كرر المؤلف رحمه الله تعالى هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره ههنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره أن العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق فيه الوفاء بحقه في العمل وأنى له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من هذا قول النصراباذي العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رضي الله تعالى عنه ميزان أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميزان فضله فانه أتم وأحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون

(لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد الجزاء على

عمل لامدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم ۞ (اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) فضل الله تعالى عظيم فاذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك ياعبدى أنت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه فى هذه الحالة بالدعاء والسؤال وقال يارب كما تفضلت على بخلق الطاعة لى وحليتنى بها ووصفتنى بصفات حميدة أنا خلى عنها فى الحقيقة ووعدتنى مع ذلك بجزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل منى عملى وأنجز لى ما وعدتنى كان فى ذلك مصيبا والافلا فحق العبد أن لا ينسب الى نفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب أن يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف بأن ذلك من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يارب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له ياعبدى بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال ياعبدى أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له ياعبدى بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يارب أنا ظلمت نفسى وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال ياعبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت ۞ (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) من أرجعه الحق الى نفسه ووكله الى عقله وخدمته فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وكانت أحواله مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ومن آواه اليه وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها محمودة مقبولة كما قيل

لما انتسبت الى حماك تعرفت * ذاتى فصرت أنا والا من أنا

(اذا أراد أن يظهر فضله عليك) أى تفضله عليك واحسانه لك (خلق) اى العمل فيك (ونسب اليك) اى نسبه اليك بأن قال فيك عند ملائكته انك مطيع ومتق ومجتهد وعامل أو نسبه اليك على ألسنة العباد بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيع ومتق الخ فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم لم ينسب لنفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال لا حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب أنه يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف أنه من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله قدس الله سره اذا عمل العبد حسنة وقال يارب أنت بفضلك استعملت وأنت اعنت وانت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له ياعبدى بل أنت اطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وانا اطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال ياعبدى أنا وفقت وانا اعنت وانا سهلت واذا عمل سيئة وقال يارب انت قدرت وانت قضيت وانت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له ياعبدى بل انت أسأت وأنت جهلت وانت عصيت واذا قال يارب أنا ظلمت وانا أسأت وانا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال ياعبدى انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت اه (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك) أى وكلك الى نفسك لانها مجبولة على الشر فاذا خلى الله بينك وبينها اى لم يعنك عليها ولم يحكمك فيها اغلبتك وتحكمت فيك فتوقعك فى أنواع القبائح حتى لا يبقى فى أعمالك ما يستحسن ولا فى احوالك ما يحب وذلك من علامات الطرد والبعد عن الله (ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) بأن تولى عنايتك ونصرك على نفسك ولم يحكمها فيك فتصير أحوالك حسنة جميلة فلا تفرغ مدائحك ولا تنقضى محاسنك وذلك من علامات اصطفائه لك واجتبائه وقد علم انه لا طريق للنجاة من النفس وغوائلها الا التعلق بالله والالتجاء اليه

(كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا) التعلق بأوصاف الربوبية أن تشهد وجودك ولوازم وجودك لاشئ من جميع ذلك لك ولامنك وانما هى عوار عندك فلا ترى وجودك الا بوجوده ولابقاءك الا ببقائه ولاعزتك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولاغناك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك الا بأن تحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران مثلا زمان بل هما شئ واحد لا تعدد فيهما على التحقيق (منعك أن تدعى ماليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك ان تدعى وصفه وهو رب العالمين) أورد هذا كالدليل على ما ذكره آنفا من أنه لاحظ للعبد من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاء شئ منها من كبائر معاصى القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التى اتصف بها وأعلمنا بشأنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته أنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة فى قلب العبد بادعاء شئ من أوصاف الربوبية لنفسه معتقدا أوقولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما ألقيته فى النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى الغيرة فى حقه تعالى انه لايرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى مانعا لك ومحرما عليك أن تدعى ماليس لك مما أعطى المخلوقين من الاموال ومسميا ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين لاشريك له فى ذلك لا أنت ولاغيرك فهو اذا من أعظم الظلم واشد العدوان عافانا الله من ذلك (قلت) وهذا المعنى الذى ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسئلة هو الغرض الاقصى الذى هو مرمى نظر الصوفية وكل ما صنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من افعال وأقوال وأحوال انما هى وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم ابدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل الصوفى دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لايشاركونه فى شئ منها البتة كما ذكرنا آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذى أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل الذى لامقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

(كن بأوصاف ربوبيته متعلقا) لا متحققا اذ لاحظ للعبد فى شئ من أوصاف مولاه الا تعلقه به لا تحققه (وبأوصاف عبوديتك متحققا) ومعنى التعلق بأوصاف الربوبية النظر اليها وملاحظتها اى ملاحظة كونها له فلا يصح لك أن تتصف بشئ منها ومعنى التحقق بأوصاف العبودية النظر اليها وملاحظتها اى ملاحظة كونها له فهى التى ينبغى أن يتصف بها العبد حقيقة لا بأوصاف الربوبية وما وجد فيه من أوصاف الربوبية فهو عارية عنده وليس هو له حقيقة فاذا لاحظ كون الغنى والقدرة والعزة والقوة ليست الا للمولى ولاحظ أن الذى يتصف به العبد حقيقة هو اضدادها وهى الفقر والعجز والذل والضعف أمده الله تعالى باوصافه فيكون غنيا بالله قادرا بالله عالما بالله عزيزا بالله قويا بالله كما سيأتى فى قوله تحقق باوصافك يمدك باوصافه ثم علل ذلك بقوله (منعك أن تدعى ماليس لك) أى حرم عليك أن تدعى شيأ ليس لك (مما) أعطى (للمخلوقين) من الاموال وسماه تعالى عدوانا وظلما (افيبيح لك) سبحانه (أن تدعى وصفه وهو رب العالمين) أى فيكون ادعاؤك ذلك من اعظم الظلم واشد العدوان فاذا ادعيت أنك غنى أو قادر أو عزيز أو قوى أو عالم كما يقع لبعض الناس كان ذلك من كبائر معاصى القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة فى قلب العبد بادعاء شئ من اوصاف الربوبية لنفسه اعتقادا أو قولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما ألقيته فى النار وفى رواية قصمته ومعنى المنازعة الدعوى بالعبارة أو الاعتقاد واضافة هذين الوصفين له تعالى كناية عن شدة الاختصاص بهما

ألست لى خلفا منى كفى شرفا * فما وراءك لى قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل ما يقتضى بقاء حظ النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثارا الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا ذميمة لئيمة قادحة فى صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شرهم ويخافون من مساكنته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل

اذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ذكر أنه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا أهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما رأوا ميل الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام فى الولاية فأمر بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا وافى محل ولايته والمبالغة فى الطافه بأنواع المكرمات والمبار ودس من يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم أمر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففى هذا عبرة لاولى الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المؤدى الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبى يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه حدث يحيى بن معاذ رضى الله تعالى عنه أنه رآه فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض فرضوا بذلك وانى اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك وانى اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك وانى اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت الى فرآنى فقال يحيى قلت نعم يا سيدى قال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدى حدثنى بشىء فقال أحدثك بشىء يصلح لك أدخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملكوت السفلى فأرانى الارضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنات الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى اى شىء رأيت حتى أهبه لك فقلت يا سيدى ما رأيت شيأ استحسنته فاسألك اياه فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لأفعلن بك ولأفعلن بك وذكر أشياء فقال يحيى بن معاذ رضى الله تعالى عنه فهالنى ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدى لم لم تسأله المعرفة به اذ قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال ويلك اسكت وتلك غيرة عليه منى لا أحب أن يعرفه سواه قال الشيخ

أبو طالب المكى رضى الله تعالى عنه بعد ان ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد فان عن نفسه مأخوذ اذ كان ربه عز وجل له موجدا طال مقامه فى المقامات فقصرت عن وصفه الصفات وحق له اذا نظر الى الحسن الذى حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذى تجمل الجمال والمتجملون بجماله أن لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن أو تزين فى عينه الا اياه أم كيف يطلب غير ما أحب أو يصبر مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بعين ما طلب ووصف شخص محبوب بعين ما أحب الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفى الاشارات عن الله سبحانه يا عبدى اعزل نفسك ينعزل معها الملك والملكوت فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عندى من وراء ما أبدى فلا يستطيعك ما أبدى لانك عبدى واذا كنت عندى كنت عبدى حقا واذا كنت عبدى كان عليك نورى فلا يستطيعك ما أبدى وان أرسلته اليك لان نورى عليك وليس نورى عليها فاذا جاءك لم يطغك أو ذنك به فتأذن أنت له والعبارات عنهم فى هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما رسمناه منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعانى وان كانت فى الظاهر اعلى من ان يتناولها كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان مرجع أمره اليها اذا وقفنا فى النظر وتصرفنا فيه بوجوه العبر فكان باطنه هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية رضى الله عنهم كثيرا ما يجرى هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء اليهم ويشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم أو يبدو عنهم بمنه وفضله ۞ (كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد) خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوائد نفسه وفنى عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذه المقامات لا يطمع فيها وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة فينبغى له أن يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر حيث لا يحب ذلك ولا يطلبه فان احبه أو طلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهل هذا الا محال لا يستقيم قال الشيخ ابو طالب المكى رضى الله عنه وجميع الانوار من الغيوب التى وراء الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون الا محجوبا وهو عن نفسه مسلوب فمتى بقيت عليه من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فسترها عليه رحمة له لانه لو كوشف بها لهلك فى حيرة الهوى وغرق فى بحار الدنيا ونفس حبه وعين طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها للظهور لها كراهيته ظهور الخلق على معصيته وخائفا منها كخوفه على نفسه فى تظاهرها عليه بهلكته فهنالك حين يبتلى بها ويختبر ليظهر كيف يعمل وكذا الشيخ ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصى فهو فى حقه حجاب وسترها عليه

(كيف تخرق لك) أيها المريد اى تطمع ان تخرق لك (العوائد) بان تظهر على يدك كرامة كطى الارض (وانت لم تخرق من نفسك العوائد) أى ما اعتدته من الكبر والعجب والدعوى وغير ذلك تخرق العوائد بظهور شئ من عالم القدرة لا يكرم الله به الا من خرق عوائد نفسه وفنى عن ارادته وحظوظه ومن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها فان ظهر له ما صورته كرامة فينبغى له أن يخاف من الاستدراج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان احبه أو طلبه كان ذلك دليلا على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة

رجعة فاذا من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته جملة فكان له تحقق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقية المهيع الناهج وضرب مع أهل الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ أبو العباس بن العريف أصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ أبي القاسم بن رويبل حدثني بحكاية عسى الله أن يفرج ما بي فقال ثم وصف لي رجلا ببعض السواحل يعرف بأبي النيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم احد منهم أحدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاة حضر النفر فصلوا ثم انصرفوا حتى اذا كان وقت العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا سير الصالحين ومقامات العارفين والاولياء الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام وهم على ذلك ثم وقع في نفسي ان أسأله عن مسئلة استفيدها فتقدمت اليه فقلت أيها الشيخ مسئلة أسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة الي كالمنكرين ففزعت فقلت أيها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد قال فأعرض عني ولم يجبني فخفت ان أكون قد أغضبته فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لا بد أن أسأله عن المسئلة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت له أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عني كالاولى ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالثة وسألته عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم قال لي اذا اجتمع فيه أربع خصال أحدها أن تطوى له الارض وتكون عنده كقدم واحد وأن يمشي على الماء وأن يأكل من الكون متى أراد وأن لا ترد له دعوة فعند ذلك يضع أول قدمه في الارادة وأما متى ما علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب معها ثم قلت له آيستنا من الارادة يا أبا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم انه أول ما يخرق له من العادة تسميته باسم المريد مع كونه مسلوب الارادة وما أحسن ما قال الشاعر

تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فأنت مريد

والتحقيق في هذا أن من تمحضت ارادته لعبودية الله عز وجل بمراعاة حقوقه لا يجل ما وجب عليه من ذلك لا يتوصل به الى نيل حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا انه متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب وذلك أمر وجودي يصح ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر الا انه سمي بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضي وجود

(ما الشأن وجود الطلب) اى الدعاء بلسان المقال أى ليس الشأن المعتبر عند المحققين ان تطلب حوائجك وحظوظك من مولاك دون غيره ظانا ان طلبك ذلك منه دون غيره يوفى بما يجب عليك فى الدعاء من الآدب فان ذلك لا يوفى به (انما الشأن ان ترزق حسن الآدب) اى انما الشأن المعتبر عند المحققين ان تطلب جميع مطالبك منه دون غيره لا لقصد نيل حظك ومرادك فقط بل ان تطلب ذلك منه اظهارا للعبودية (١٢٠) وقياما بحقوق الربوبية فبذلك يحسن أدبك ويصح سؤالك وطلبك وذلك هو الوفاء على التحقيق بحق الادب فى الدعاء ويحتمل أن يراد بالطلب الطلب بالقلب وتوجهه لشئ من الاغراض أى ليس الشأن ان تطلب شيأ من مولاك بقلبك مما لك فيه حظ سواء صاحبه طلب باللسان أولا بل الشان أن ترزق حسن الادب وهو ترك الطلب اكتفاء بنظره اليك فالادب الحسن فى الدعاء على الوجه الاول ان يدعو اظهارا للعبودية وقياما بحق الربوبية لا لنيل حظ نفسه فقط وعلى الوجه الثانى ترك الدعاء والطلب اعتمادا على قسمته واكتفاء بمشيئته واشتغالا بذكره عن مسئلته (ما طلب لك) بالبناء للفاعل وهو (شئ مثل الاضطرار) أى ان احسن الطالبين لك هو الاضطرار فشبهه بشخص طالب والاضطرار اظهار غاية الفاقة فلا تتوهم من نفسك شيأ من الحول والقوة ولا ترى لها سببا من الاسباب تعتمد عليه أو تستند اليه وتكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا ترى اغاثتك الا مولاك ولا ترجى النجاة من هلكتك الا منه ويحتمل بناء طلب للمفعول والنائب قوله شئ أى ان اضطرار العبد هو أقصى أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ اجل منه وقوله (ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) من عطف اللازم على الملزوم لان الذلة والافتقار لازمان للمضطر وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم

الاخرى كاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر أن يطلق اسم الارادة على من سلبت منه و يحجزه عمن وجدت فيه رشاقة وملاحة ونعمة وبهذا تبين لك صحة كلام أبى يزيد رضى الله عنه واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال أريد أن لا أريد وأنه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم (قال) فى التنوير واعلم أنه قد قال بعضهم ان أبا يزيد لما اراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك أن ابا يزيد رضى الله عنه انما أراد ان لا يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو لا يختار معه شيا ولا يريده فهو فى ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله له ولذلك قال الشيخ ابو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار الله ليس لك منه شئ فاسمع وأطع وهذا موضع الفقه الربانى والعلم اللدنى وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله قال فأبان الشيخ بهذا الكلام أن كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الوظائف والارادات ورواتب السنن ارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ ان كل مختارات الشرع ومرتباته ليس لك منه شئ وانما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد علمت اذا ان أبا يزيد ما أراد أن لا يريد الا لان الله أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه انتهى وقد طال بنا الكلام فى هذا المعنى حتى آل الى بعد المناسبة بينه وبين المسئلة المنبه عليها من الكتاب والحديث شجون يجر بعضه الى بعض لكن لما كان قصدنا فى هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد فى مواضعها ومظان التفرع مسائل هذا الفن الغريب أسماع من أراد الله تعالى توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرقين صح منا ذلك وكنا سائرين فيها على اوضح المسالك وبالله تعالى التوفيق ❁ (ما الشأن وجود الطلب انما الشأن أن ترزق حسن الادب) اذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظنن انه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين وانما الشأن ان يتأدب العبد بين يدى مولاه ادبا حسنا بأن يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه ما ليس له كما سيقول المؤلف رحمه الله بعد هذا ويطلب عبوديته منه لان القصد نيل حظه فبهذين الوجهين يحسن ادبه ويصح سؤاله وطلبه وذلك هو الوفاء على التحقيق ❁ (ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) اضطرار العبد هو أخص اوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد

(لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك) اى عيوب نفسك ومنها شهوة الوصول اليه (ومحو دعاويك) اى نسبة ما لا تستحقه اليك كالقوة والعزة والغنى والقدرة وفناء ذلك ومحوه بالرياضات والمجاهدات اى لا تعتقد انك لا تصل اليه الا بعد فناء ذلك برياضتك ومجاهدتك فان اعتقدت ذلك (لم تصل اليه أبدا) لان ذلك من الاوصاف الذاتية الجبلية التى لا ينفك عنها العبد وحينئذ فالوصول منة من الله عليك لا بكسبك كما أشار الى ذلك بقوله (ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه) اى الى حضرة قربه (غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته) اى ستر عنك أوصافك وأظهر عليك أوصافه فأفناك عنك وأبقاك به اى غيب صفاتك الدنية باظهار صفاته العلية عليك والى ذلك الاشارة بقوله فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها (فوصلك اليه بما منه اليك) وهو اظهار صفاته عليك (لا بما منك اليه) من الاجتهاد فى الاعمال قال الشاذلى قدس سره لن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب صفات عبده ونعوته عنه وعند ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه وأراده اهـ

العبد شيء أجل منه قال ابو محمد عبد الله بن منازل رضى الله عنه العبودية الرجوع فى كل شيء الى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه ايضا خاصية اجابة الدعاء قال الله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه ان لا يتوهم العبد من نفسه شيأ من الحول والقوة ولا يرى لنفسه سببا من الاسباب يعتمد عليه او يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق فى البحر او الضال فى التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو نجاته من هلكته أحدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيأ فيقول هب لى يا مولاى بلا شئ والذلة والافتقار أمران لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما قيل

وإذا تذللت الرقاب تقربا * منها اليك فعزها فى ذلها

(وقيل)

حيث أسلمتنى الى الذل والاذلا * م تلقتنى بيمين وزاى

قال فى لطائف المنن والطالب للتوفيق وعلامة صدق الرجعى الى الله فى أول كل فصل وترك تحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس فى بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك أبدا وقد قال الله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة وقال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك وعلمك وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فأخبر الله عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضى لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفى رواية أخرى كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنون فيها صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته

(لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبدا ولكن اذا اراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه)

الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب وشئ من ذلك لا يتيسر من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا ارادته وعمله فى تحصيل هذا الغرض بنفسه فهما من جملة المساوى والدعاوى المحتاج الى محوها قال سيدى ابو العباس المرسى رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى يعنى انقطاع أدب لا انقطاع ملل (وقال سيدى) ابو الحسن رضى الله عنه ولن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته

(لولا جميل ستره) اى ستره الجميل (لم يكن عمل أهلا للقبول) لان العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وقد يكشف حجابه فيرائى به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفى القادح فى الاخلاص والاخلاص شرط فى قبول العمل كما مرّ (١٢٢) وحينئذ فيكون اعتماد المريد فى وصوله على فضل الله وكرمه لا على اجتهاده

أو اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما أشار اليه بقوله فى الحديث القدسي فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره له مولاه وأراده فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء

❁ وقال رضى الله عنه (لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول) العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا لا يخلص له عنه الا بما شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائى به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفى القادح فى الاخلاص الحقيق والاخلاص شرط فى قبول العمل كما تقدم (قال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب معيب يريد أن يخرج من معيبين عمل بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه المثابة لم يكن فيه أهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتقد المريد على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت أعمالهم واذا تلاشت أعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤا عن كل شئ ومن كل شئ لهم ومنهم

❁ (انت الى حلمه اذا أطعته أحوج منك الى حلمه اذا عصيته) شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما تكون بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معترض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية فى جميع هذه الاشياء فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا اطاعه أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء قل لعبادى الصديقين لا تغتروا فانى ان أقمت عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى الخاطئين لا تيأسوا من رحمتى فانى لا يكبر على ذنب أغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضى الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة

❁ (الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها

ولو قال لولا فضله لكان اولى (أنت الى حلمه اذا أطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته) وذلك ان المطيع قد يعرض له عند طاعته احوال كرؤية نفسه والاعجاب والكبر وازدراء الغير واستحقاقه الجزاء الى غير ذلك من كبائر القلوب فيخاف عليه ان تنقلب طاعته معصية والعاصى ربما تحمله معصيته على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا اطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وهذا زيادة تحذير من رؤية استحقاق الوصول بالاعمال فان ذلك غلط وجهل (الستر على قسمين ستر عن المعصية) بأن يمنعه عنها ولا يهيئ له اسبابها (وستر فيها) أى مع فعلها بأن لا يظهرها للناس حال فعلها او بعده (فالعامة) لعدم تحققهم بحقائق الايمان يغلب عليهم شهود الخلق ويتوقعون منهم حصول المنافع ودفع المضار فيراؤنهم ويتصنعون لهم ويتزينون ويطمعون فيهم ويتملقون بين ايديهم ويكرهون ان يطلعوا منهم على ما تسقط به منزلتهم من قلوبهم ولذا (يطلبون من الله تعالى الستر) اى ان يستر عليهم (فيها) اى فى المعصية اى فى حال كونهم عاملين لها ومستخفين بها او محبين لها وانما طلبوا ذلك

خشية

خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم وكراهية ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها اى فى حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من أعينهم وفى أمثالهم قال الله عزوجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى هذه الآية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا ريحها وما أعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة مارجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل ان ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم الى الناس ولم تتركوا الى فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفى بعض الكتب المنزلة ان لم تعلموا انى أراكم فالخلل فى ايمانكم وان علمتم انى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور هو الرجل تمر به المرأة فى القوم فيريهم انه يغض بصره عنها ويود انه يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال فى رواية أخرى هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المرأة فيريهم انه يغض بصره عنها فاذا رأى من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف أن يفطنوا غض بصره عنها فقد اطلع الله عزوجل على قلبه انه يود لو نظر الى عورتها وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس أن يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة من اهل الايمان واليقين برآء من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهممهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد عليهم فى نفع أو دفع ضر وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله عنها فى أن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها أنفسهم فيعملون بها فيقعون فى مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى أشار سيدى ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى دعائه بقوله اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنبناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها

(خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق) اذا اطلعوا على حالهم فيفوتهم ما كانوا يتوقعون منهم من حصول المنافع ودفع المضار وهؤلاء هم الذين يعتمدون على غير الله وهم اهل الشرك الخفى الذى يخرج صاحبه من حقائق الايمان وفى مثلهم قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم (والخاصة) أى المتحققون بحقائق الايمان برآء من هذا الوصف الذميم لا يلتفتون الى الخلق مدحا ولا ذما ولا يتوقعون منهم نفعا ولا ضرا ولا يعتمدون عليهم ولا يسكنون اليهم وحالهم انما هو القناعة بنظر الله اليهم (يطلبون من الله الستر عنها) بأن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها نفوسهم ويعملونها وانما طلبوا ذلك (خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) بمخالفته والتعرض لسخطه وشتان ما بين هذين الحالين وهذا هو الغالب من حال الفقير يقينا وقد تطلب العامة الستر فيها امتثالا لامر الله ورسوله بالستر لمن ابتلى بشئ منها ولا يكون عندهم استخفاف بها ولا محبة لها وتطلب الخاصة الستر فيما وقع منهم بأن لا يفضحهم بين خلقه ولا بين يديه لجلالهم من وقوع المعصية منهم ولاساءة الناس ظنهم بالمنسوبين الى الله اذا اطلعوا عليهم

(من أكرمك) اى أقبل عليك باعطاء او محبة أو شكر (انما أكرم فيك جميل ستره) اى ستره الجميل عليك فلولا وجوده ما أقبلوا
عليك ولا أحبوك ولا نظروا اليك بعين الرضا اذ لو اطلعوا على ما أنت عليه لاستقذروك ونفروا عنك وحينئذ (فالحمد) لا ينبغى
إن يكون الا (لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) فلا تحمده الا من حيث اجراء الخير على يديه لا من حيث انه المكرم
والمعظم حقيقة اذ ليس ذلك الا الله فمن أقبل الناس عليه وأكرموه فقد يغلط فيضع الحمد والثناء فى غير موضعه فيكون من
الظالمين وقد يغلط فيرى لنفسه وصفا محمودا يستحق به الاكرام فيكون من الجاهلين بأنفسهم الناظرين الى عملهم الغافلين عن منة
الله عليهم فحذره المصنف من هاتين الغلطتين (ما صحبك) اى ليس الصاحب الحقيق (الا من صحبك) اى اقبل عليك باحسانه (وهو
بعيبك عليم) اى لم يمنعه من صحبته لك واقباله عليك ما يعلمه من تفاصيل عيوبك (وليس ذلك الا مولاك الكريم) وكذا من تخلق
بأخلاقه من السادة الصوفية العارفين بالله تعالى اما الذى يصحبك مع جهله بها فليس بصاحب حقيقة لانه لا يثبت عند ظهورها
له وان عزم على ذلك فليس فى مقدوره الصبر عليه وان صبر فلا بد من تأثر يلحقه من ذلك (خير من تصحب من يطلبك) اى يريدك
ويؤثرك على غيره ويعتنى بك (لا لشئ ١٢٤ يعود منك اليه) اى وليس ذلك الا مولاك او من تخلق بأخلاقه اما من يصحبك
لعلة معه ونفع لك له فليس
بصاحب حقيقة لان قصده مجرد
نفاحه وانتجه منك فاذا زال غرضه
فارقك (لو أشرق لك نور اليقين)
اى العلم بالله وبما وعد به على
لسان نبيه اى لو كثر واضاء ذلك
النور فى قلبك (لرأيت الآخرة)
فى تلك الحالة (اقرب اليك
من) تقسها فى حالة (ان ترحل
اليها) اى فى حال ارتحالك اليها
وحلولك فيها (ولرأيت محاسن
الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء)
اى الفناء الشبيه بالكسفة بفتح
الكاف اى الكسوف والتغير
اوكسرها وهى القطعة من الشئ
التى يغطى بها الاناء فلا تلتفت اليه النفس ولا تنظر ما فيه (عليها) وذلك ان نور اليقين تتراءى به حقائق الامور غائبة
على ما هى عليه فاذا أشرق فى قلب العبد رأى به الحق حقا والباطل باطلا والآخرة حق والدنيا باطل فيبصر الآخرة التى كانت
غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت اقرب اليه من ان يرتحل فيقبل عليها بالتهيؤ والاستعداد لها ويبصر الدنيا
الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى
كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقينى الزهد فيها والتجافى عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها
ووجدان المبدا لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر
وانفسح قيل له يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعى نفسه فلا تأمره الا بخير ولا نطالبه بارتكاب منهى ولا تكون لهمة الا
المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره فى كل حين بحلول الاجل وفوات صلاح الامل

(من أكرمك انما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك)
العبد محل الآفات والعيوب وستر الله الجميل هو الذى يحبب الناس الى الناس فاذا
أكرمك احد فلا يذهبن ذلك بك الى أن ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام
فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على
أن تحمدهم عليه دون ربك الذى اضطرهم الى اكرامك وسترعنهم عيوبك وأظهر لهم
محاسنك فتكون بذلك كافرا بنعمة ربك ظالما بوضع الحمد فى غير موضعه (ما صحبك
الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك
لا لشئ يعود منك اليه) الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه اليك وأسبغ نعمه
عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك التى يكرهها منك وليس ذلك الا مولاك وخير
صاحب لك ايضا من اعتنى بك وآثرك وارادك من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك ايضا
الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا (لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب
اليك من ان ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها) نور اليقين
تتراءى به حقائق الامور على ما هى عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة
حق والدنيا باطل فاذا أشرق نور اليقين فى قلب العبد أبصر به الآخرة التى كانت

غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرحل اليها فحق بذلك حقها عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا يكون همه الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه قال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أخبرني عن ابني حارثة فان يك في الجنة فلن أبكي ولن أجزع وان يك غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروى أنس أيضا ان معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت ان لا أمسي وما أمسيت مساء قط الا ظننت ان لا أصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت أن لا أتبعها أخرى وكأني أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة ومعاذ بن جبل الانصاريان رضي الله تعالى عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما أي تمكين صدر منهما ما صدر مما ذكراه من فنون العبر وشاهدا أمر الدارين

بمنزلة رأى العين فسلت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من الهفوات والسيآت وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا فى كل أمر محبوب وطارت أرواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى من الشهد حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وأئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين

ولقد أجاب معبر عن حالهم * فاسمع مقالا صادقا مقبولا

ان الالى ماتوا على دين الهدى * وجدوا المنية منهلا معسولا

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه ان حرام بن ملحان رضى الله عنه وهو خال أنس طعن يوم بئر معونة فى رأسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى ممن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل ثم أسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعانى الى الاسلام أنى طعنت رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله قال فقلت فى نفسى والله ما فاز أليس قتلته حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله المطعون ههنا والله اعلم هو عامر بن فهيرة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الامراء الثلاثة يوم مؤتة أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه أظنه قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرنا أنهم عندنا أوقال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان دموعا فلله درهم لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة وتبا لامثالنا الذين عميت بصائرهم وأظلمت سرائرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقعنا فى أودية المهالك والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة الفتانة السحارة فتشبثت مخالبنا بشباكها وارتبكنا فى مصايدها وأشراكها من غير شعور منا بمحالها وتزوير محالها فكنا فى قصدنا اليها وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجد فيه هناء ولا غناء ثم مع هذا كله ننتسب الى الدين وندعى كمال المعرفة واليقين والدخول فى مصاف أولياء الله المتقين مع أن أحدنا لو خير بين حلول الدين أو البقاء فى الدنيا معلقا بأشفار العين لاختار البقاء فيها على هذه الحال مع كونه لا يحدث نفسه فى طاعة بازدياد ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها أخلاق يهودية لا تليق بمن ينتسب الى هذه الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون فلو لم ينه العاقل عن محبة البقاء فى هذه الدار ويأمره بايثار دار القرار الا تشبهه باليهود الناقضين للعهود المتهاونين باوامر المعبود لكان ذلك ابلغ ناه وآمر فضلا عما ورد فى ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور

(ماحجبك) أيها المريد المحجوب (عن الله وجود موجود) من الاكوان الدنيوية والاخروية (معه) اذ لا وجود لماسواه على التحقيق (ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) اى توهمك ان ماسواه له وجود مع أنه فى ذاته عدم محض عند العارفين ووجوده كوجود ظلال الشجر على الماء فانها لاتمنع سير السفن فلاحاجب لك عن الله الا توهم وجود ماسواه لاغير وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هنالك فظنه زئيرا أى صوت أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هنالك أسدا وانما الريح انضغطت فى تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد ١٢٧ (لولا ظهوره فى المكونات) اى تجليه عليها بالوجود (ماوقع عليها وجود ابصار) اى لم توجد واذا لم توجد فلا تبصر فوجودها انما هو بطريق العارية وظهور الحق فيها كظهور الشمس فى الكوة ذات الزجاج والافهى فى ذاتها عدم محض لاوجود لها فى ذاتها كما تقدم غير مرة ويحتمل ان المعنى ان ظهور الحق تعالى لنا من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا تجليه فى هذه المكونات بأن يتجلى التجلى الحقيقى الذى لاخفاء معه لاضمحلت وتلاشت ولم يقع عليها ابصار بدليل قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا والى ذلك أشار بقوله (لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) بل لم يكن هنالك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النور وفى رواية حجابه النار لو كشف عنه لاحرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن) اى ان مقتضى اسمه الباطن ان لايشاركه فى البطون شئ فلذا أظهر الاشياء كلها اى جعلها ظاهرة ولا باطن فيها غيره (وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) اى ان مقتضى اسم الظاهر أن لايشاركه فى الظهور شئ فلذا طوى وجود كل شئ اى لم يجعل لغيره وجودا من ذاته بل المكونات جميعها عدم محض ولا وجود لها الا من وجوده وحاصله ان من أسمائه تعالى الظاهر الباطن فاسمه الظاهر يقتضى بطون كل شئ حتى لاظاهر معه فينطوى حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لاباطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ أى بوجوده فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار ولا وجود لغيره الا بطريق التبع عند أرباب البصائر بخلاف غيرهم من المحجوبين

وجعلنا من مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا ما رزق أولياءه وأصفياءه وأحباءه بمنه وكرمه ۞ (ماحجبك عن الله وجود موجود معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) تقدم أن لاموجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ماسواه انما هو وهم مجرد فلاحاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ماسواه لاغير والتوهمات باطلة فلاحاجب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المؤلف رحمه الله تعالى ذكر جميع أنواع الاعتبارات فى هذا المعنى قبل هذا قال فى لطائف المنن وأشبه شئ بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لاموجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لان الشئ انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك ايضا من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله تعالى فان ظلال الاشجار فى الانهار لاتعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك ايضا أن الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم ان يكون أقرب اليك منه ولاشئ أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هنالك فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هنالك أسدا وانما هو الريح انضغط فى تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد ۞ (لولا ظهوره فى المكونات ماوقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلى الحقيقى كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن هنالك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النار وفى رواية النور لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره ۞ (أظهر كل شئ لانه الباطن وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) من اسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضى بطون كل شئ حتى لاظاهر معه

(اباح لك) اى أمرك الله تعالى (أن تنظر ما فى المكونات) وهو جمال الحق سبحانه اى ان تتصدى بنظرك القلبى حتى تشاهد أنه الموجود فى المكونات اى الظاهر فيها (وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات) بأن تحتجب بها عنه فلا تشاهده فيها ثم استدل على ذلك وبينه بقوله (قل انظروا ماذا فى السموات) فأتى بفى الظرفية المشعرة بأن الاعتبار بالمظروف دون الظرف قال فى لطائف المنن فانصب لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها اه ١٣٨ وأشار الى ذلك هنا بقوله قل انظروا ماذا فى السموات (فتح لك باب الافهام) اى نبهك وأيقظك لما هو المطلوب منك وهو مشاهدة ما فيها كما يفهم من الظرفية (ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) فتحتجب بها عنه ولا تشاهده فيها فتصيره قصدا مع انها وسيلة اذ ليست الامرائى ومجالى يتجلى فيها الحق سبحانه لارباب الشهود ويستدل بها عليه أرباب الحجاب ثم ذكر حاصل ما تقدم بقوله (الاكوان) من حيث ذاتها اعدم محض وانما هى (ثابتة باثباته) اى انما حصل لها وصف الثبوت والتحقق باثبات الله لها اى ظهوره فيها فالثبوت لها أمر عرضى ولا ثابت حقيقة الا هو ولذا قال (وممحوة بأحدية ذاته) اى من نظر الى أحدية ذاته لم يجد للاكوان ثبوتا وتحققا حينئذ وانما لها ثبوت فى النظر الى الواحدية لان الاحدية عند العارفين هى الذات البحت اى الخالصة عن الظهور فى المظاهر وهى الاكوان والواحدية هى الذات الظاهرة فى الاكوان فيكون للاكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الحق فيها ولذا يقولون بلسان الاشارة الاحدية بحر بلا موج والواحدية بحر مع موج فان الحق سبحانه عندهم كالبحر والاكوان كالامواج التى يحركها ذلك البحر فهى ليست عينه ولا غيره هذا هو توحيد العارفين وقد كرر المصنف الكلام عليه فى هذا الكتاب وأبرزه فى عبارات مختلفة محاولة على أن يحقق عندك الحق ويبطل عندك الباطل وقد أفرده بعضهم بالتاليف وتكلم على وحدة الوجود بالامزيد عليه وانشد

فينطوى حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله ۞ (أباح لك أن تنظر ما فى المكونات وما أذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا فى السموات فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) امر الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها الا ان فى ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يبح هذا وانما امرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى بفى فى قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض فالمعنى المقصود فى وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات لكان فيه دلالة على وجود الاجرام وهى اغيار له وفيها البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم يأذن فيه قال فى لطائف المنن فانصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولذا فى هذا المعنى

ما أبينت لك العوالم الا * لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى * حالة دون أن يرى مولاها

۞ (الاكوان ثابتة باثباته وممحوة بأحدية ذاته) الاكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا فالثبوت لها امر عرضى والحق اللازم هو وجود أحدية الله عز وجل والاحدية مبالغة فى الوحدة ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان يكون اشد ولا اكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولكان فى ذلك تعدد واثنينية كما قيل

وبو عبدونى ضد * قلت له ليس ذاك عندى
فقال ما عندكم فقلنا * وجود فقد وفقد وجدى
توحيد حق بترك حق * وليس حق سواى وحدى

وانشدوا ايضا.

سر سرى من جناب القدس افنانى * لكن بذاك الفنا عنى قد احيانى
وردنى للبقا حتى اعبر عن * جمال حضرته لكل هيمانى
وطرت فى ملكوت من عجائبه * لم الق غير وجود ماله ثانى

(الناس يمدحونك لما يظنونه فيك) من الاوصاف الحميدة (فكن أنت ذامًا لنفسك لما تعلمه منها) أى فلا تغتر بمدح الناس لك وثنائهم عليك بل ارجع على نفسك باللوم والذم على تلبسها بخلاف ما يظن (١٢٩) الناس فيك ولذا قال على كرم الله وجهه اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا مالا يعلمون ويؤخذ من قوله فكن أنت الخ انه ليس مأمورا بتكذيب الناس ولا بالسعى فى تبديل ظنهم فيه وانما هو مامور بعدم الاغترار وتقديم علمه على ظنهم نعم ان كان المادح كاذبا فى مدحه بارتكاب المبالغة والغلو تاكد تكذيبه وزجره وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين فمدحه حينئذ منهى عنه وكذا لو كان مدحه يورث عند الممدوح غرة ويغلطه فى نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لمن مدح عنده رجلا قطعت عنق صاحبك وقال اياكم والمدح فانه الذبح (المؤمن) الحقيقى (اذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) أى لا يرى ذلك الوصف الذى مدح عليه من نفسه وانما يراه منة من الله عليه فلا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يثنى عليه وانما يشهد ذلك من ربه فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله استحياء تعظيم واجلال أن يثنى عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله اليه وشهود فضله فى اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذى به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد

وانشد المؤلف رحمه الله تعالى لنفسه فى لطائف المنن يوصى رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال

حسن بأن تدع الوجود بأسره * حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه * لا ترك الا للذى هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه * من وهمك الادنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده * والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت الى الصريح من الهدى * دلت عليه ان فهمت دلائل
وحديث كان وليس شئ غيره * يقضى به الآن اللبيب العاقل
لاغرو ان لا نسبة مثبوتة * ليذم ذو ترك ويحمد فاعل

وقال رضى الله تعالى عنه ۞ (الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها) ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بسبب ذلك أعماله وتصدق أحواله والا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه مالا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به فينبغى أيضا أن يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل فى بطنه وقال آخر اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من ان يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقته وقال آخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا مالا يعلمون قال الامام ابو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلائق لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام ابى حامد رضى الله تعالى عنه ۞ (المؤمن اذا مدح استحيا من الله تعالى ان يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) المؤمن الحقيقى هو الذى لا يشهد من نفسه صفة محمودة

(أجهل الناس) أي أشدهم جهلا (من ترك يقين ما عنده) أي اليقين الذي عنده وهو علمه بعيوب نفسه وتقصيره مع ربه (لظن ما عند الناس) أي لأجل الظن الذي عند الناس وهو ظنهم صلاح حاله حتى مدحوه وأثنوا عليه فإذا اغتر ذلك الممدوح واعتقد استحقاقه لما مدح به واغتر بشهادة الخلق فيه بذلك كان أجهل الناس لأنه ألغى اليقين وقدم الظن عليه وقدم ما عند غيره على ما عند نفسه وقد شبه ذلك بعضهم بمن يهزأ بك ويقول لك إن العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وأنت ترضى بالسخرية بك وتفرح بذلك ولا شك أن العيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه (إذا أطلق الثناء) أي ألسنة الناس بالثناء (عليك ولست بأهل) أي والحال أنك لست أهلا لما يثنون به عليك إما لعدم وجود ذلك فيك أو لكونك معيبا بالعيوب الأصلية والعارضة فلا تستحق ثناء عليك لولا فضل الله عليك وستره الجميل (فأثن عليه بما هو أهله) أي فالأدب أن تثني على سيدك بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة ستره عليك وإطلاق الألسن بمدحك مع عدم أهليتك لذلك ولا تغتر بأقوال المادحين (الزهاد إذا مدحوا) أي مدحهم أحد من الناس (انقبضوا لشهودهم الثناء) صادرا (من الخلق) وغيبتهم عن الرب وإنما انقبضوا حينئذ خوف الاغترار بذلك الثناء فيفوتهم نصيبهم من ربهم (والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) فهم حاضرون مع ربهم لا يشاهدون معه غيره فالألسنة ألسنة الخلق أقلام الحق فإذا مدحوا شهدوا الثناء منه فانبسطوا لذلك وكان مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم فلا يحصل عندهم إعجاب ولا اغترار قيل وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم وأنى إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه ولذا كان يمدح المصنف شيخه المرسي وهو ساكت ويقع عنده المدح موقعا عظيما وكذا وقع لغيره من العارفين وصاحب هذا المقام إذا ذمه أحد لا يجد في نفسه عليه ولا يؤذيه لعدم شهوده الذم صادرا منه

يستحق بها أن يمدح أو يثنى عليه وإنما يشهد ذلك من ربه عز وجل فإذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم وإجلال أن يثنى عليه بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية إحسان الله تعالى إليه وشهود فضله في إظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي ينال به المزيد مع سلامته من السكون إلى ثناء العبيد ۞(أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس) الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من علامات المقت لأن المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال أعلم بنفسه وقد شبه الحرث المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له إن العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولا شك أن الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالين إلا أنه في حال المدح يعلم أن المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ للمستهزأ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضي بأن يكون له في قلوب العباد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك بالإباء والكراهة هذا إذا كان المادح من أهل العلم والدين وأما إن كان جاهلا أو فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه تزكية الأشرار هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء إن العامة يثنون عليك فأظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم رأوا مني شيئا أعجبهم ولا خير في شيء يسرهم ويعجبهم وروي عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد مدحك فقال له إنه لم يمدحني حتى وافق بعض خلق خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة في ذلك ۞(إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله) المؤمن هو الذي لا يرى نفسه أهلا لأن يمدح أو يثنى عليه لأن موجبات ذلك ليس له منها شيء كما تقدم فإذا أطلق الله تعالى ألسنة الناس بالثناء عليه ولا أهلية فيه لذلك فينبغي أن يعرف الحق لأهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت أهلية ۞(الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) تقدم أن الزهاد في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون إلا الخلق فإذا مدحوا

واثنى عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون فوات نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا فى حالهم ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له فى ذلك فقال وما علىّ من ذلك ولست أغلط فى نفسى بل لست فى البين والمجرى والمثنى هو الله عز وجل وقيل هذا المعنى فى الخبر المروى اذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الايمان فى قلبه قال أبو طالب المكى رضى الله عنه وفيه طريق للعارفين بأن يعلوا الايمان العلى الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى سيده الذى تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمؤلف رحمه الله قصائد فى مدح شيخه ابى العباس المرسى رضى الله عنه وكان ينشدها كثيرا بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منه بعضها ويقول له فى بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت مع أن حبّ المدح عندهم من الرذائل التى تشبه الفضائل وبهذا النظر والشهود الجمعى استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روى فى ذلك عن سيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى أبى الحسن الشاذلى وسيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنهم وغيرهم غير شئ مع ان ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما ذلك الا لما ذكرناه ولا يتأول ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه الصلاة والسلام لنفسه وثناءه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه فى هذا المقام والله تعالى أعلم وعلامة الصادق فى حب المدح وان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم مصروفون فى قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يجد فى قلبه عليهم ولا يصل بشئ من الاذى اليهم كما قيل

ربّ رام لى بأحجار الاذى * لم أجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على * فرح القوم فيدنينى اليه

(متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك فى عبوديتك) القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه فى عبوديته وانه طفيلىّ بين أهل الله تعالى فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها والطفيلى هو الذى يأتى الولائم والضيافات فيدخل مع أهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من أهل الكوفة من بنى عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها فاشبهه صاحب الكتاب

(متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك) أى تطفلك على أهل الله ولست منهم بل أنت داخل معهم فى أمر لا تستحقه كما ان الطفيلىّ يدخل مع الاضياف فى ضيافتهم ولا يستحق الدخول معهم وهو منسوب لطفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها وكان يقال له طفيل الاعراس (وعدم صدقك فى عبوديتك) لان القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف عدم صدقه فى عبوديته وأنه طفيلىّ بين أهل الله فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها بل الحاصل عنده مجرد دعوى نعم ان كان قبضه خوفا من عدم صبره ومقاومته للقهر الالهىّ فيحصل عنده بعض ضجر وكان بسطه لعدم وقوعه فى ذلك فقبضه اعتناء من الحق به حيث لم يوقعه فى أمر يشوش عليه حاله ولم يكن دليلا على ما ذكر لان العارفين لا بد من بقايا شئ من بشريتهم يتمكنون به من مخالطة الخلق ومن لازم البشرية ذلك فالخطاب المذكور مع المريدين

اذا وقع منك ذنب) على حسب مقامك (فلا يكن سببا ليأسك) أي يقتضي يأسك (من حصول الاستقامة) أي اعتدال أحوالك (مع ربك) بأن تعتقد بسبب صدور الذنب ان حصول الاستقامة لك مستحيل فيحملك ذلك على تعاطي غيره من الذنوب وهذا غلط لان الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا اجرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه والعزم على فعله ثانيا فالواجب عليك أن تتوب الى مولاك وترجع اليه ولا تيأس من رحمته (فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) و يقبل عليك المولى بعد ذلك بتوفيقه واحسانه ثم أشار الى ما يكون سببا في الرجوع الى الله عند صدور الذنب فقال (اذا أردت أن يفتح) الله (لك ١٣٢ باب الرجاء) فيه (فاشهد) أي استحضر في نفسك (ما) هو واصل (منه اليك) من جلب المنافع ودفع المضار من حين كونك في بطن امك الى الوقت الذي أنت فيه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الرجاء فيه وعدم اليأس من رحمته ولو مع الوقوع في الذنب (واذا) غلب عليك الرجاء وخفت أن يوقعك ذلك في مخالفاته و (أردت أن يفتح لك باب الخوف) ليكفك عن ذلك (فاشهد) أي استحضر في نفسك (ما) هو واصل (منك اليه) من المخالفات والعصيان وسوء الادب بين يديه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الخوف فتنكف عن مخالفته فالرجاء والخوف حالان ينشآن عن المشاهدتين المذكورتين وشبههما بشئ عليه باب مغلق استعارة بالكناية والباب تخييل والفتح ترشيح أو الاضافة للبيان (ربما أفادك) أيها العارف (في ليل القبض) أي القبض الشبيه بالليل بجامع السكون في كل (مالم تستفده) أي علوما ومعارف لم تستفدها (في اشراق نهار البسط) أي البسط الشبيه بالنهار بجامع الانتشار في كل لما تقدم ان من حصل عنده البسط تهيج نفسه الى اظهار ما عنده من المعارف وغيرها فربما كان ذلك سببا لحجبه بخلاف من حصل عنده القبض فان نفسه تنكسر وتذل فيكون ذلك سببا في افاضة الله الخير عليه ولذا كان العارفون يؤثرونه على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد يحصل عندهم فيه جزع وعدم صبر على مقاومة القهر الالهي بخلاف البسط فينبغي للعبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه في حال القبض كما يعرفها في حال البسط وان يكل كل ذلك الى ربه و يحسن ظنه به فانه لا يدري أيهما أقرب له نفعا كما قال تعالى (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا

هذا به قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى في أحوالهم وارادتهم على الظنون ما تحقق منهم له الا القليل ألا تراه تعالى يقول وما يتبع أكثرهم الا ظنا فمن تحقق في حاله مع الله تعالى غاب عن كل ما منه وله من الاحوال والاقوال والافعال نظرا الى ما اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو للحق ولكن أكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفة و يظهرون حالة المحبة فاذا ورد عليهم وارد بلاء أو خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها والاهتمام بها ونسوا ما ادعوا به وما أشاروا اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق انسوا في جنب ما أشاروا اليه جميع الموارد ساءه ام سره لان من حصل في ميدان الوصول لا يعترض عليه عارض خلافه واذ له حاله عما سواه وقال رضي الله عنه ۞ (اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي له ان يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه و يرى انه طرده وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله تعالى لانه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه ۞ (اذا أردت ان يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا أردت ان يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه) الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن أراد أن يفتح له باب الخوف فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فيغلب عليه حينئذ حال الخوف ۞ (ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) تقدم ان القبض يؤثره العارفون على البسط

مطالع الانوار) أى مواضع طلوع وشروق الانوار المعنوية وهى نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد (القلوب والاسرار) أى قلوب العارفين واسرارهم فهى كالسماء التى تشرق فيها الكواكب وتطلع فيها وتقدم ان تلك الانوار أشد اشراقا من أنوار الكواكب قال بعضهم لو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوار القلوب (١٣٢) فان ذلك النور يطرأ عليه الكسوف والغروب وأنوار قلوب أهل الله لا كسوف لها ولا غروب اه قال الشاذلى قدس سره لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن الطائع فمن لطف الله عدم الاطلاع على انوار العارفين فقد قال المرسى قدس سره لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته اه (نور مستودع فى القلوب) وهو نور اليقين المودع فى قلوب العارفين (مدده) أى يمتد ويتزايد ضياؤه (من النور الوارد من خزائن الغيوب) وهو نور الاوصاف الازلية فاذا تجلى الله عليهم بأوصافه تزايد ذلك النور الحاصل فى قلوبهم وذلك دليل على عناية الله بهم قال فى لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار اه ثم أشار الى أن النور المستودع فى القلب على قسمين بقوله (نور يكشف لك به عن آثاره) أى عن أحوال المكونات فتطلع على أحوال العباد وعلى ما فوق السماء وما تحت الارض وهذا يسمى كشفا صوريا وهو ليس معتنى به عند المحققين (ونور يكشف لك به عن أوصافه) أى أوصاف جلاله وجماله وذلك النور لا يحصل الا من تجلى تلك الاوصاف عليه وهذا يسمى كشفا معنويا وهو المعتد به عندهم ولم يقل ونور يكشف لك به عن ذاته لان تجلى الذات البحت الخالية عن الصفات مختلف فيه عند أئمتهم فنفاه بعضهم وأثبته بعضهم ويسميه الشيخ محيي الدين بالبوارق لكونه يطرأ ويزول سريعا لان القدرة البشرية لا تطيق دوا

لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من أبواب المعارف ما لا ينفتح لهم فى البسط فينبغى للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى عليه فى ليل القبض كما يعرفها فى اشراق نهار البسط لما يعلم ان فى الليل من المنافع ما ليس فى النهار فليكل علم ذلك الى ربه وليحسن ظنه به فانه لا يدرى أيهما أقرب اليه نفعا كما أشار اليه بالآية الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه فى كلام الاستاذ سيدى أبى الحسن رضى الله عنه ﴿(مطالع الانوار القلوب والاسرار) نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم وهذه هى الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار الحسية قال فى لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه تعالى قد حرس السماء بالكواكب والشهب كى لا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرنى بعض المريدين قال صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما بهر عقلى وذلك انى شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملأته وانبثت الانوار من وجوده حتى انى لم أستطع النظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف لها ولا غروب كذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليـ ـل وشمس القلوب ليست تغيب

﴿(نور مستودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب) نور اليقين المستودع فى القلوب يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى آثار الظواهر بأنوار آثاره وآثار السرائر بأنوار أوصافه

﴿(نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن اوصافه) النور المدرك بالحواس

(ربما وقفت القلوب مع الانوار) الاغيار) أى بكثائف هى الاغيار أى الشهوات واللذات التى هى غير المولى سبحانه فالحجاب عن المولى قسمان نورانى وهو العلوم والمعارف اذا وقفت القلوب معها وركنت اليها وجعلتها غاية مقصدها وظلمانى وهو شهوات النفوس وعاداتها ووصفها بالكثافة لانها لاتزول الا بمعاناة ومشقة (ستر أنوار السرائر) أى أنوار قلوب أوليائه (بكثائف الظواهر) أى بالاحوال التى يتلبسون بها فى ظواهرهم ويتعاطونها من الصنائع وغيرها فان تلك الاحوال كثائف أى حاجبة لغيرهم عن الاطلاع على أنوار قلوبهم وانما ستر تلك الانوار مع أن الظهور التام لاينبغى أن يكون الا لها (اجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار) أى لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم هذا فى قوله سبحان من ستر سر الخصوصية الخ لكن أعاد ذلك هنا لاجل التعليل المذكور وأيضا سترها رحمة من الله بالمؤمنين اذ لو ظهرت اسرار الولاية على أحد لا وجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فاذا قصر وقع فى المحذور

بكشف لك به عن آثاره وهى الاكوان الحادثة وليس لك الى ذلك كبير حاجة الامن حيث تستدل به على المؤثر والنور المستودع فى القلوب يكشف لك به عن أوصافه الازلية حتى تراها عيانا وفى هذا غاية بغيتك وبه شرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك تحقق فى المعرفة وترتفع فى المشاهدة ولا تحتاج الى دليل يدلك وهذا فرقان مابين النورين قال فى لطائف المنن نور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين تشهد به المؤثر قال ولنا فى هذا المعنى

هذه الشمس قابلتنا بنور * ولشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن بهاتيك قد رأينا المنيرا

(ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بحجبها لكثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالانوار كما ان النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال أبو الحسن التسترى رحمة الله عليه فى قصيدته النونية

تقيدت للاوهام لما تداخلت * عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها * ومنبعها من أين كان فاهمنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما * تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

(ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) أنوار السرائر انما خفيت عن العيان باستترها به من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لاينبغى أن يكون الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا الستر فى قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية

م

تم الجزء الاول من شرح ابن عباد على الحكم ويليه الجزء الثانى أوله سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه

الجزء الثاني من شرح العالم العلامه والبحر الفهامه وحيد دهره
وفريد عصره محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفزي
الرندي على متن الحكم للامام المحقق أبي الفضل
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندري تغمدهما الله
بالرحمة والرضوان
وأسكنهما أعلى
الجنان

م

{ولاجل تمام النفع وضع على هامش هذا الشرح شرح المحقق شيخ الاسلام}
{الشيخ عبد الله الشرقاوي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين}

بسم الله الرحمن الرحيم

* وقال رضى الله عنه * (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه) * لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك أولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية ويستحيل أن يكون بطلب او سبب كان أولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمننه الجسيمة فاصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته وأنسه وطهر أسرارهم من أنجاس الاغيار وصان قلوبهم بما أودع فيها من الانوار والاسرار فكانوا لذلك صفيته فى عباده وخباياه فى بلاده كما قال فى بعض الاشارات عنه سبحانه أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم أحد غيرى وهذا من غيرته عليهم لان الحق تعالى اغير على أوليائه من أن يظهرهم الى من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم فى أعين الخواص والعوام فلم يكن لاحد دليل عليهم أو وصول بسبب اليهم * قال فى لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال وقد سمعته يقول يعنى شيخه أبا العباس المرسى رضى الله عنه معرفة الولى أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وقال فيه واذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب أنوار القلوب لله سبحانه عباد ضن بهم عن العامة وأظهرهم للخاصة فلا يعرفهم الا شكل مثلهم أو محب لهم ولله

(سبحان من لم يجعل الدليل) أى الاهتداء والوصول والاستدلال (على أوليائه الا من حيث أى من جهة (الدليل عليه) أى أنه مماثل لذلك فكما ان الله محتجب بالاكوان عن المخلوقين فاهتداؤهم اليه ووصولهم الى معرفته أمر عسير يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكره عليها كذلك الولى مستتر بكثائف الظواهر من الصنائع الخسيسة وما يتعاطاه من مأكول ومشروب وغيرهما فيكون الاهتداء اليه والوصول الى معرفته أمرا عسيرا يتعجب منه فاذا حصل ذلك لاحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يشكره عليها والحاصل أن الوصول الى معرفة الله تعالى الخاصة عناية من الله تعالى لا بطلب ولا بسبب وكذلك الولى بل معرفته اصعب من معرفة الله لانه تعالى معروف بكماله وجماله والولى مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب فاذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولى من أوليائه لتنتفع به طوى عنك وجود بشريته واشهدك وجود خصوصيته (ولم يوصل اليهم) اى يعرفهم ويجمع عليهم (الا من أراد ان يوصله اليه) وذلك لانهم أحبابه فيغار عليهم ان يجمع عليهم غير احبابه وهذا البعض الاولياء وهم المسلكون فمن اراد ان يوصله اليه جمعه عليهم على وجه المحبة الخاصة وهم قسمان قسم يظهر للعامة والخاصة وقسم لا يظهر الا للخاصة وهناك عباد لا يظهر عليهم أحد امن خلقه حتى الحفظة ويتولى قبض أرواحهم بيده ولا يسلط التراب على ابدانهم تعالى

(ربما اطلعك على غيب ملكوته) أى ملكوته الغائب عنك كالذى فوق السماء وتحت الارض (وحجب عنك الاستشراف) أى الاطلاع (على اسرار العباد) أى ما فى قلوبهم من خير او شر وذلك من لطف الله بك لان

تعالى عباد ضن بهم عن الخاصة والعامة وعباد أظهرهم للخاصة والعامة ولله تعالى عباد يظهرهم فى البداية ويسترهم فى النهاية ولله عباد يظهرهم فى النهاية ويسترهم فى البداية ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الى الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه بما أودعهم منه فى قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح الايمن من العرش الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده فتطيب أجسادهم به فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقاء المجعول فيهم ببقاء الابدى الباقى الاحد عز وجل اه (وقال) أبو يزيد رضى الله عنه أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم محذرون عنده فى حجال الانس لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وقال أبو على الجرجانى رضى الله عنه الولى هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه أنوار التولى لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار وفى الاشارات عن الله سبحانه انما سميت الولى وليا لانه يليني دون ما سواى فهم منزهون بتنزيه الحق تعالى لهم من أن يوصل اليهم بغيره ولذلك صدر المؤلف كلامه بالتسبيح * (ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على اسرار العباد) * من لطف الله تعالى اخفاء اسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما سر يقتضى وجود عيب وهو ظاهر ما ذكره المؤلف هنا بدليل الكلام الذى عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك من الاسرار الملكوتية ووجه الفرق بينهما ما ذكره المؤلف الآن ويحتمل أن يريد ما هو أعم مما ذكرناه ويدخل فى ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده ويكون فى ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء الولى حسبما ذكره المؤلف فى المسئلة التى فرغنا منها حتى يمتنع الوصول اليه بطلب او سبب واخفاء ذلك أيضا عن عامة المؤمنين من النعم العظيمة اذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لا وجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فان فرط فى ذلك وترك القيام بتلك الحقوق رأسا وقع بسبب ذلك فى محذورات لا يقوم لها شئ وقد فهمت هذا المعنى من كلام سهل بن عبد الله رضى الله عنه وقد سأله بعض تلامذته كيف تعرف أولياء الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا لاشكالهم أو من أراد أن ينفعه بهم ولو أظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم حرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية أمورهم رحمة منه لخلقه ورأفة ولكن الله تعالى قد أخبر بكراماتهم فقال جل وعز الله ولى الذين آمنوا والله ولى المؤمنين فأفردهم به ولو أظهرهم حتى يبرزهم لكان فى النظر اليهم حجة وكان الاستماع لحديثهم فرضا انتهى والمعنى الذى ذكرته فى هذه المسئلة فهمته من الكلام الذى ذكره الشيخ أبو طالب رضى الله عنه فى كتاب الشكر قال فيه ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض وسترهم عند العلماء والصالحين منهم ولولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون

الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم ابطل ثواب المحسنين اليهم وحرم قبول احسانهم عليهم وحبطت أعمال المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما يحمل العاملين لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن من وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله عز وجل وجليل قدرهم ففي ستره ذلك نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله من أجلهم اذ كانوا أساؤا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم الوهاب كما جاء في الخبر من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر لوليي فقد يكون مثل ذلك من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبر أنه رسول الله وان الله عز وجل نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة من كان أعلمه أنه نبي الله عز وجل لعظم حرمة النبي انتهى ما ذكره الشيخ أبو طالب والوجه الاول أولى في تقرير معنى ما ذكره المؤلف والله تعالى أعلم * (من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه) * المطلع على السرائر التي تقتضي وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية فيرحم المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد الله أجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا هو أعظم الفتنة ويكون ذلك سببا الى جر الوبال اليه من ادعائه لصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو أعظم الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما نزعت الرحمة الا من قلب شقي وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الاشارات عن الله تعالى أنه قال عبدي ان استخلفتك شفقت لك من الرحمة شقا فكنت أرحم بالمرء من نفسه وقد أدب الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام في بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روى عن قسامة بن زهير رضي الله عنه أنه قال بلغني ان ابراهيم عليه السلام حدث نفسه انه أرحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى أشرف على أهل الارض فابصر أعمالهم وما يفعلون فقال يارب دمرهم فقال الله تعالى أنا أرحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أرى الله ابراهيم ملكوت السموات والارض أشرف على رجل بمعصية من معاصي الله عز وجل فدعا الله عليه فهلك وكذلك على آخر وآخر فهلكوا فاوحى الله اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال اما ان يتوب العبد منهم فأتوب عليه واما ان أخرج منه نسمة تسبح لي واما ان يبعث الي فان

(من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية) بان يستر على المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين ويرأف بعباد الله أجمعين فمن لم يتصف بذلك (كان اطلاعه فتنة عليه) لان ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها والعجب بعمله والتكبر على غيره وهذا هو اعظم الفتنة (و) كان ايضا (سببا لجر الوبال اليه) من ادعائه بصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي والنكال * روى ان ابراهيم عليه السلام لما اراه الله ملكوت السموات والارض اشرف على رجل في معصية من معاصي الله تعالى فدعا عليه فهلك وكذلك آخر وآخر فهلكوا فأوحى الله تعالى اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال اما ان يتوب العبد منهم الي فأتوب عليه واما ان أخرج منه نسمة تسبح لي واما ان يبعث الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته قيل ان هذا سبب لامر الله له بذبح ولده لانه تعالى رحيم بعباده كشفقته على ولده والحاصل ان المكاشفة نعمة من الله على المريد وشكرها الستر والصفح

شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب أمر الله له بذبح ولده هو هذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة رحمته لهم وقد ذكر في بعض التفاسير أنه عليه السلام كان يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فاني طال ما رأيتهم عاصين فلما هبط أري في المنام ماذكر الله تعالى حيث يقول اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي وأحب الناس الي فسمع قائلا يقول اما تذكر الليلة التي سألت فيها اهلاك عبدي أوما تعلم اني رحيم بعبادي كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتني اهلاك عبدي سألتك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادي أظلم

(حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه) النفس من شأنها أبدا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها في الطاعات فضلا عن المعاصي ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع آخر وان كان هذا النوع الآخر أتم فضيلة منه وما ذاك الا من أجل أن حظها فيه أكثر من الآخر فأهل الخبرة والبصيرة يتهمون أنفسهم اذا ألفت بابا من أبواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكايدها فيشوشون ذلك عليها او ينتقلون منه * وقد حكي عن أبي محمد المرتعش رضي الله عنه أنه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سألتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بشوب وحظ من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل فلذلك تعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك فليتطلب بذلك آفات نفسه ولطائف خدعها وخفايا حظوظها فيعمل على تصفية عمله من ذلك فلا جرم اذ كان متعذرا يجب عليه اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما تدعو اليه كائنا ما كان قال الشيخ أبو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخي يقول عن أحمد بن أرقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى اسبيجاب للغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس فتستروح به وتتسامع الناس بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم والاكرام فقلت لها اسلك العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فاسأت ظني بها وقلت والله أصدق قولا فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكوني أول قتيل فأجابت وعدد اشياء مما أراد ها به فأجابت الى كل ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها فاني لها متهم ولقولك مصدق فألهمت كأنها تقول لي انك تقتلني

(حظ النفس في المعصية) كالزنا (ظاهر جلي) وهو التلذذ بها فانها لا تطلب منك التلبس بالمعصية الا لاجل أن تلتذ بها فيحصل لك الوبال والنكال (وحظها في الطاعة باطن خفي) لا يطلع عليه الا أرباب ٥ البصائر وذلك لان في الطاعة مشقة عليها فاذا أمرتك بها لم تعلم حظها فيها الا بعد تفتيش فقد تريك ان حظها فيها التقرب الى الله تعالى وفي الباطن ليس لها حظ الا اقبال الناس عليك واشتهارك بينهم بالصلاح ومن حاسب نفسه وراقب خاطره تبين له مصداق هذا (ومداواة ما يخفى) أي زوال حظوظها الخفية (صعب علاجه) لانه يحتاج الى دقة وفهم ونفوذ ادراك فأهل البصائر يتهمون نفوسهم اذا مالت الى عبادة من العبادات ويفتشون عن سبب ميلهم اليها فان كان لحظ من حظوظها تركوها وعالجوا نفوسهم في حال فعلها حتى تكون خالصة لله تعالى كما وقع لبعضهم انه حدثته نفسه بالخروج الى الغزو وأظهرت له ان ذلك لله تعالى ففتش فاذا هو لاجل ان تستريح من تعب المجاهدة فانه كل يوم يقتلها مرات كثيرة بمنعها من شهواتها فأرادت ان تقتل مرة واحدة فتستريح وايضا لاجل ان تتسامع الناس بانه استشهد فيكون شرفا له وذكرا في الناس فترك الخروج الى الغزو وقد يجد الشخص من النشاط واللذة في نوع من العبادات ما لا يجده في نوع آخر وما ذلك الا لاجل ان حظها فيه أكثر من الآخر فاذا كان من أهل البصائر انتقل عما مالت اليه نفسه الى غيره فان

(١) عبا ني طاوعته لم يكن لها في الاشتغال بذلك النوع حظ والا كان لاجل حظها

كل يوم مرات بجالقتك اياى ومنع شهوانى ولا يشعر بى أحد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد أحمد فيكون شرفا لى وذكرا فى الناس قال فقعدت ولم أخرج ذلك العام فهكذا خدع النفس وغرورها أعاذنا الله من شرها وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله اذا التبس عليك أمران انظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا * (ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) * رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج الى امارة عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه أحد أمر خفى لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو أخفى من دبيب النمل ومن اماراته أن يلتبس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه فى المحافل والمجالس ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر احدهم فى حقه الذى يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما يظهر بعض سخفاء العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر فى حقهم بمعاجلة الله له بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات من نفسه فليعلم انه مراء بعمله وان أخفاه عن أعين الناس * وقد روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة ألم تكونوا يرخص لكم فى السعر ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفى الحديث الآخر لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم (وقال) عبد الله بن المبارك روى وهب بن منبه رضى الله عنه ان رجلا من العباد قال لاصحابه انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف أن يكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على أهل الاموال فى أموالهم ان أحدنا اذا لقى أحب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة أحب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ أحب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ماهذا فقيل له هذا الملك قد أتاك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فأقبل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفى حديث آخر بخير فقال الملك ماعند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا أنفسهم بسببه من الاشرار كما روى عن الفضيل بن عياض رضى الله عنه انه قال من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الى وسمع مالك بن دينار رضى الله عنه امرأة وهى تقول له يا مرائى فقال لها يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ودخل رجل على داود الطائى رضى الله عنه فقال ما حاجتك قال زيارتك فقال اما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى أنا اذا قيل لى من أنت فتزار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله

من

(ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك) أى وانت فى مكان لا ينظر الناس اليك فيه يعنى ان الرياء كما يدخل فى العمل اذا عمله صاحبه عند الناس ويسمى الرياء الجلى يدخل فيه اذا عمله وحده بان يقصد به توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه فى المحافل ومسارعتهم فى قضاء حوائجه فاذا قصر أحدهم فى حقه الذى يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره وربما توعد من قصر فى حقه بمعاجلة الله له بالعقوبة ان الله يأخذ بثاره منه فاذا وجد العبد هذه الامارة فى نفسه فليعلم انه مراء بعمله وان اخفاه عن الناس ويسمى هذا الرياء بالخفى ولا يسلم من الرياء الجلى والخفى الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين أظهر الناس ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو المرائى بعمله وان عبد الله فى جبل بحيث لا يراه أحد ولا يسمع به

من الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق الى غير هذا مما روى عنهم فى هذا المعنى ولا يسلم من الرياء الخفى والجلى الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين اظهر الناس وبمرأى منهم ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وان عبد الله تعالى فى قنة جبل بحيث لا يراه أحد ولا يسمع به وقد تقدم قول يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه اعز شئ فى الدنيا الاخلاص وكم اجتهد فى اسقاط الرياء عن قلبى فكأنه ينبت فيه على لون آخر * (استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك) * الخصوصية ههنا ما اختص الحق تعالى به بعض عباده من عمل نافع أو علم صالح وصدق العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى فيه بحاله ولا يتطلع الى أن يعرف بذلك أحد من الخلق فيشغله حينئذ الحياء من ربه والشكر له عن الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية الاغيار له ولهذا فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا كما ورد فى الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس رأوا انه لم يصم واذا أعطى أحدكم فليعط بيمينه وليخفه عن شماله واذا صلى أحدكم فليسدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه من أحب أن يعرف بشئ من الخير أو يذكر به فقد أشرك فى عبادته لان من عبد الله على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه كل من لم يقنع فى أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة وقال بعضهم ما أخلص أحد قط الا أحب أن يكون فى جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال أبو الخير الاقطع رضى الله عنه من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب ان تعرف ولا تحب ان تعرف انك ممن لا يحب أن يعرف فعلى العبد اخفاء حاله جهده وان يبالغ فى كتمانه أقصى ما عنده (قال) الحسن رضى الله عنه أدركت أقواما ما من أحد منهم يستطيع أن يسر شيأ من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد أدركت أقواما يأتى أحدهم الزور فيقوم فيصلى وما يشعر به الزور ولقد أدركت اقواما وما من عمل يقدرون أن يعملوه لله سرا فيكون علانية أبدا ولقد أدركت اقواما يجمع أحدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد أدركت أقواما يجتهدون فى الدعاء وما يسمعهم احد وقال

(استشرافك) أيها المريد أى محبتك وميلك الى (أن يعلم الخلق بخصوصيتك) اى بما خصك الله تعالى به من علم نافع او عمل صالح او احوال باطنية (دليل على عدم صدقك فى عبوديتك) لان الصدق فى العبودية هو طرح الاغيار وعدم الالتفات اليها رأسا فلو كنت صادقا فى عبودية الرب لقنعت بعلمه بك ولم تحب أن يعلمك غيره فتغار على حالك من رؤية الاغيار له قال بعضهم من أحب ان يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب هذا فى بداية السلوك فان تحقق العبد فى المعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة فلا بأس بالاخبار باعماله والاظهار لمحاسن احواله ليؤدى حق شكرها وليقتدى به غيره فمبنى امر اهل الطريق فى البداية على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتمان الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا فى اخلاص اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وابدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء ورددوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الله اظهرهم وان شاء سترهم ولم تتعلق اراداتهم بظهور ولا خفاء بل يردون الامر اليه فى ذلك

محمد بن واسع رضى الله عنه أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على
وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجالا يقوم
أحدهم فى الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذى الى جنبه وفى رواية عنه ان
كان الرجل ليبكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم فان وقع منها اعلان واظهار فى وقت ما
فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه عن أن يعمل فيه الفرح اطلاع الناس على حاله ولينكر
ذلك على نفسه وليكرهه ولا يرصه منها وليجاهد نفسه فى ذلك اشد المجاهدة فان خالف هذا
واستشرف الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه فى حال ظهور ذلك منه ولو فى
لحظة خيف عليه ان يعمل الفرح فى قلبه فيقع عند ذلك فى الفتنة فان كان ضعيف الارادة
لم يسلم من الوقوع فى الرياء الجلى والخفى لان سببه قد استتب له وان كان قوى الارادة
وسالكا سبيل المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيفقد حينئذ الغيرة على الحال وينحط
بذلك عن ذروة الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات سالكى هذه
الطريقة كما تقدم عند قوله ادفن وجودك فى ارض الخمول فان تحقق العبد فى المعرفة
ومشاهدة الواحدانية الصرفة جاز له الاخبار بأعماله والاظهار بمحاسن احواله بناء منه
على نفى الغير واداء الواجب حق الشكر * كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة
كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل
رايتم من يرائى بفعل غيره وكان آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول الم يقل
الله سبحانه وتعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد من هذا حاله
الى هداية عباد الله ودعائهم الى الله تعالى فأظهر احواله واعماله للاقتداء به والاهتداء
بهديه فهو خارج عن النمط الاول كله وداخل فى حكم هذا النوع الثانى وعلانيته هذا
افضل من سره لانه سلم من الآفات التى تعرض لها غيره وحصلت منه الفوائد التى
تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء فى الخبر السر افضل من العلانية والعلانية افضل لمن اراد
الاقتداء وهذا ارجح الوجوه عند العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى سأله عن
فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وقد فضل
ماذكرنا من اظهار الطاعة جماعة من الصحابة والتابعين منعنا من ذكرهم خشية
الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقام هذا العبد مقام النصحاء لعباد الله
والدعاة لهم الى الله فلا جرم كان له الدرجات العلا عند الله تعالى لانه من ائمة المتقين لله وقد
اخبر الله تعالى بجزائهم وذكرهم عقيب دعائهم بذلك فقال عز من قائل اولئك يجزون
الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال فى
لطائف المنن اعلم ان مبنى امر الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاعتناء بشهوده
قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال
الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد فبنى امرهم

فى

في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتمان الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص أعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا في الرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الحق أظهرهم وان شاء سترهم ان شاء أظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شئ اليه فظهور الولي ليس بارادته لنفسه ولكن بارادة الله تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد الله سبحانه اظهارهم فأظهرهم وتولاهم في ذلك بتأييده وواردات مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سلمة لا تطلب الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه انتهى ﴿(غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك)﴾ هذا المعنى هو حقيقة صدق عبودية الله الذي أشار اليه في المسئلة التي قبل هذه وهو أن لا يكون له شعور تام من الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون شعوره وتشوفه وطلبه مقصورا على ما من الله اليه من نظره اليه واقباله عليه فيغيب أدنى الحالين بأعلاهما وذلك بأن يعلم ان ما من الخلق اليه أمر وهمي باطل فينقاد اليه كل ذي عقل قاصر يوجب له هذا الانقياد أنواعا من الكبائر والرذائل من الانحطاط في أهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتربية الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم بالنفاق والادهان وتخالف الاسرار والاعلان وهذا عذاب أليم استعجله في دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبه أثواب الغنى والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فتردى بذلك همته وتقل قيمته ولعذاب الآخرة أكبر وقد قال الشاعر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

ورأى سهل بن عبد الله رضي الله عنه رجلا من الفقراء بمكة فقال له شيأ فقال له يا أستاذ لا أقدر على هذا من أجل الناس فالتفت سهل الى أصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون بأحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا هو وخالقه فان أحدا لا يقدر أن يضره ولا ينفعه أو تسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه انتهى ثم من له بحصول ما أراده منهم فاغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما استحسن من نفسه شيأ لم يستحسنه غيره وربما أرضى شخصا بما لا يرضى الآخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة

ثم بين حقيقة صدق العبودية بقوله (غيب نظر الخلق اليك) أي لا تلتفت الى نظرهم اليك ولا تطلبه ولا تخطره ببالك بل اجعله غائبا عنك (بنظر الله اليك) فلا يكن التفاتك وتشوفك الا لنظر الله اليك وكذا يقال في قوله (وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك) فلا تلتفت الى اقبالهم عليك ولا تطلبه بل لا يكون التفاتك ولا طلبك الا لاقبال الله عليك فان اقبال الخلق على المريد قبل كماله يوجب له التصنع لهم ومداهنتهم وغير ذلك من الآفات وذلك يوجب انحطاط رتبته وسقوطه من عين الحق والعياذ بالله تعالى فلا يرضى باقبالهم الا ذو عقل قاصر وهمة دنيئة لان رضا الناس غاية لا تدرك وأحق الناس من طلب ما لا يدرك وأما من كان له عقل وافر فلا يميل الا لاقبال الله من غير مبالاة بذم ذام ولا عيب عائب قال بعضهم الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثقال ذرة من صلاح عمله ولا يكره ان يطلعوا على السيئ من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاص الصادقين اه

التعب والنصب فى نفسه * وفى الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر أن لقمان دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس حين رأوه شيخ لم يشفق على صبى فأركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار هلا زاد ثالثا فنزل لقمان وبقى الولد فقالوا شيخ ماش وصبى راكب فنزل الولد يمشى مع والده وساقا الحمار جميعا فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان بهذا أن يرى ابنه شأن الناس مع من يراعى نظرهم فانه لا يسلم منهم على أى حالة تكون فرضا الناس غاية لا تدرك وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء العقول وسخفاء الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق وهو مامن الله اليه من نظر واقبال وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما يؤديه الى هذه المطالب من غير اكتراث بذم ذام أو عيب عائب ويقول بلسانه حاله

ان الذى تكرهون منى * هو الذى يشتهيه قلبى

ويقول أيضا ما قاله محمد بن أسلم رضى الله عنه مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى وحدى فأدخل فى قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى فان صرت الى خير صرت وحدى وان صرت الى شر صرت وحدى ثم أوقف بين يدى الله وحدى ثم يوضع عملى وذنوبى فى ميزانى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس وقد سئل الحرث بن أسد المحاسبى رضى الله عنه عن علامة الصادق فقال الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج له كل قدر له من قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله فان كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاق الصادقين ﴿(من عرف الحق شهده فى كل شئ) فلا يستوحش من شئ ويستأنس به كل شئ كما تقدم من نعت العارفين (ومن فنى به غاب عن كل شئ) فلا يكون منه على الاشياء اعتماد ولا له اليها استناد (ومن أحبه لم يؤثر عليه شيأ) من مراداته وشهواته وهذه الامور التى ذكرها المؤلف رحمه الله هى علامات بلوغ هذه المقامات العلية وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها فى نفسه فلا ينبغى له أن يدعى تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححها ويكملها ﴿ (انما حجب الحق عنك شدة قربه منك) شدة القرب حجاب كما أن شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف يراه * قال فى لطائف المنن فعظيم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين

(من عرف الحق) اى من تحقق فى مقام المعرفة بالله (شهده فى كل شئ) اى رآه ظاهرا فى اعيان الموجودات فلا يستوحش من شئ ويأنس به كل شئ كما تقدم فى نعت العارفين (ومن فنى به) اى تحقق فى مقام الفناء (غاب عن كل شئ) فلا يرى فى الوجود ظاهرا الا الله ويغيب هو عن نفسه وحسه فلا يشاهد له وجودا وتحققا بخلاف العارف فانه متحقق فى مقام البقاء فيرى الخلق والحق ويرى الحق ظاهرا فى كل الأشياء وقائما بها مع عدم غيبته عن نفسه وحسه (ومن احبه لم يؤثر عليه شيأ) اى من اراداته وشهواته فهذه علامات يعرف بها حال من ادعى بلوغ هذه المقامات

قول الهامش فى الصحيفة الآتية انما حجب الحق الخ قد حصل بينه وبين الذى فى الصلب اختلاف بزيادة ونقص وتغيير وليحرر اه

(انما احتجب الحق) اى الله (عنك لشدة ظهوره) ولان الحجاب كما يكون بشدة البعد يكون بشدة القرب فان اليد اذا قربت من البصر والتصقت به لم يرها بخلاف ما اذا كانت بعيدة عنه وكذلك الرب لم تره لاحاطته بنا احاطة تامة وقربه منا قربا معنويا ولا يدرك ذلك الا أرباب البصائر الذين تجلى الحق على بصائرهم فأزال عنهم الحجاب حتى رأوه قائما بالاشياء ومحيطا بها (و) انما (خفى عن الابصار) فى الدنيا فلم تدركه (لعظم نوره) وذلك كالشمس فان نورها أقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هو الذى حجب الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب منها على الحقيقة فان الظاهر لذاته لا يحتجب من ذاته وانما يطرأ الحجاب عليه من غيره وهو هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور وهذا لازم لما قبله (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه) اى لا تقصد بطلبك اى توجهك له بالدعاء والاعمال الصالحة حصول النوال منه وتعتقد أنه سبب مؤثر فى ذلك (فيقل فهمك عنه) أى عن الله اى فلا تفهم السر والحكمة فى أمر الله عباده بالطلب وهو ما ذكره بقوله (وليكن طلبك لاظهار العبودية) اى لاظهار كونك عبدا ذليلا ضعيفا لا غنى لك عن سيدك (وقياما بحقوق الربوبية) فان الربوبية تقتضى التذلل والخضوع من المربوب يعنى ان الله تعالى لم يأمر عباده بالطلب منه الا ليظهر افتقارهم اليه وتذللهم بين يديه لا لان يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوا فيه هذا هو فهم العارفين عن الله ومن هذا حاله لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل مطلب وأناله كل سؤل ومأرب ولا يفرق بين العطاء والمنع فيكون عبدا لله فى الاحوال كلها كما انه ربه فى الاحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه مما فيه من شهوته وهواه (كيف يكون طلبك اللاحق) اى الموجود فيما لا يزال (سببا فى عطائه) أى أعطائه (السابق) اى الموجود فى الازل فان الاعطاء وهو تعلق الارادة فى الازل تعلقا تنجيزيا قديما لا يكون الطلب سببا فيه لتأخره عنه والسبب لابد من تقدمه على المسبب ولذا قال

كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم

(انما احتجب لشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره) هذه عبارة تداولها الناس وضربوا لها مثلا بالشمس وذلك أن الشمس نورها أقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هى التى حجبت الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذى أوجبه وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحجب من ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب ههنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره وأنشدوا فى هذا المعنى

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا * وكيف يعرف من بالعزة استترا

وأنشدوا أيضا

بالنور يظهر ما ترى من صورة * وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره * حسا ويدركه البصير من الورى
فاذا نظرت بعين قلبك لم تجد * شيأ سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره * فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وقال رضى الله عنه (لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية) لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له والسؤال منه الا ليظهر افتقارهم اليه ومثولهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك اظهارا لعبوديتهم وقياما بحقوق ربوبيته لا لان يتسببوا به الى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو فهم العارفين عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن قال أبو نصر السراج رضى الله عنه سألت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لاهل التسليم والتفويض فقال تدعو الله على وجهين أحدهما تريد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لان الدعاء ضرب من الخدمة يريد أن يزين جوارحه بهذه الخدمة والوجه الثانى ان تدعو ائتمارا لما أمر الله تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا أن لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان أعطاه كل ما طلبه وأناله سؤله وأربه وأن لا يفرق بين العدم والوجود والمنع

(جل حكم الازل) اى ما حكم به فى الازل وتعلقت ارادته به وهو الاعطاء (أن ينضاف الى العلل) اى أن ينسب لعلة وهو الطلب اى أن يكون سببا مؤثرا فيه ان قيل قد يكون ذلك الاعطاء معلقا على الطلب فيكون سببا فيه أجيب بأن السبب فى الحقيقة هو تعلق ارادة الله فى الازل أنك تدعوه فيما لا يزال لا نفس الطلب المتأخر (عنايته فيك) اى اعطاؤه اياك ما تطلبه منه اى تعلق ارادته فى الازل بالاعطاء (لا لشئ منك) أى وقع ١٢ منك اقتضى حصول تلك العناية كالدعاء والاعمال الصالحة (واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته) وهى بمعنى العناية اى انك كنت معدوما فى الازل ويلزم من ذلك عدم ما يصدر منك (لم يكن فى ازله اخلاص أعمال) اى أعمال خالصة كالدعاء والصلاة والصوم (ولا وجود أحوال) مرادف لما قبله (بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) مرادف لما قبله فالدعاء ليس سببا مؤثرا فى المطلوب والاعمال الصالحة ليست سببا مؤثرا فى عناية الله اى دخول الجنة والنجاة من النار (علم أن العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية) السر هو الشئ المغطى لانه مخفى عنا والعناية هى تعلق الارادة بحصوله فى المستقبل فلما علم أننا نتشوف الى حصوله فنطلبه بالدعاء والاعمال الصالحة ونعتقد تأثير ذلك فيه (فقال يختص برحمته من يشاء) زجرا لنا وقطعا لاطماعنا لاحتمال ان سر العناية خاص ببعض الناس كما ان النبوة لما تشوف الناس الى ظهورها آخر الزمان ادعاها جماعة فزجرهم الله بقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته (وعلم انه لو خلاهم وذلك) اى مع ملاحظة ان العناية الازلية خاصة ببعض الناس وليست عامة (لتركوا العمل اعتمادا المنسوب على الازل) قائلين ان كان سبق فى الازل أنا من اهل العناية ومن اهل الخصوص نجونا من النار ودخلنا الجنة من غير اعمال فلا حاجة الى الاعمال ولا الى الدعاء بحصول المطالب (فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) بالاعمال الصالحة فهى علامة وامارة على تلك العناية الازلية وان لم تكن علة موجبة لها فلا ينبغى تركها اعتمادا على ما فى الازل وان لم يكن لها تأثير فى حصول المطلوب

والاعطاء فيما يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبد الله فى الاحوال كلها كما كان ربه واسع الفضل فى الاحوال كلها وقبيح بالعبد أن يصرف وجهه عن باب مولاه ما ينيله من شهواته وهواه * قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه لا يكن همك بدعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا زالت شكايته ورفعت عنه آفته ضيع الوفاء ونسى البلاء وقابل الرفد بنقض العهد وأبدل العقد برفض الود أولئك الذين أبعدهم الله فى سابق الحكم وخرطهم فى سلك أهل الرد وقد قيل بلاء يلجئك الى الانتصاب بين يدى معبودك خير لك من عطاء ينسيك اياه ويقصيك عنه ۞ (كيف يكون طلبك اللاحق سببا فى عطائه السابق) هذا دليل على نفى السببية المذكورة لان ما طلبه العبد أمر سابق فى الازل تقديره وطلبه أمر لاحق فيما لا يزال وكيف يكون اللاحق سببا فى وجود السابق وهل السبب أبدا الا متقدم على المسبب ۞ (جل حكم الازل أن ينضاف الى العلل) هذا دليل آخر على ما ذكره وهو أن حصول ما طلبه الداعى حكم من الله تعالى فى الازل فلا يكون سببه الدعاء والسؤال لان أحكام الله تعالى تجل عن أن تنضاف الى علة أو سبب من قبل أن له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة فصنعه علة لكل شئ ولا علة لصنعه كما قاله العارفون المحققون ۞ (عنايته فيك لا لشئ منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال) عناية الله تعالى بك فى الازل حين لم تكن حين لا حين غيره معللة بشئ كان منك من اخلاص أعمال ولا وجود أحوال تتوسل بجميع ذلك اليه وأين كنت اذ ذاك وأنت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال الواسطى رحمه الله تعالى أقسام قسمت ونعوت وأحكام أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بمعاملات ۞ (علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين) ظهور سر العناية التى مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة فى قوله عز من قائل يختص برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان

(الى المشيئة يستند كل شئ) اى انّ كل موجود يستند الى مشيئة الله من حيث تعلقها به ازلا (وليست تستند هى الى شئ) من الموجودات والمراد بالمشيئة فى مرجع الضمير ما تعلقت به ازلا وهو مطالب العباد التى سبق بها العلم فان طلبها بالدعاء والاعمال الصالحة ليس سببا مؤثرا فيها وهذه العبارات التى ذكرها المصنف فى غاية الحسن وفيها الاشارة الى التعلق بأحكام الازل وطرح الاسباب والعلل فعلى العبد ان يلزم العبودية والافتقار ويترك ١٣ التدبير والاختيار * قال ابو بكر الواسطى انّ الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلك اليه بهما ولو اخذتهما كلهما ما قطعك بهما قرّب من قرب من غير علة وابعد من أبعد من غير علة قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) يعنى انّ بعض العارفين قد يغلب عليهم التفويض والتسليم فيترك السؤال والطلب اعتمادا على القسمة الازلية وممن رأيناه متحققا فى هذا المقام العارف بالله تعالى الغارف من بحر الحقيقة الشيخ مصطفى أفندى التركى القسطمونى الجركسى فسح الله فى مدته ورزقنا دوام مودته واختلف القوم هل الافضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء أفضل لانه فى نفسه عبادة لقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والاتيان بما هو عبادة أولى من تركه ومنهم من قال السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم وأرضى لانّ ما سبق من اختيار الحق لك أولى من اختيارك وقد ورد فى الحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين ومنهم من فصل فقال الاوقات مختلفة فان وجد الداعى فى قلبه اشارة الى الدعاء كالانبساط وتوجه القلب فالدعاء اولى وان وجد فيه اشارة الى السكوت كالقبض وعدم توجه القلب فالسكوت اولى فان لم يجد فى قلبه شيأ من ذلك كان الدعاء وتركه سواء نعم ان كان الغالب عليه حينئذ المعرفة كان السكوت اولى * ثم علل ما ذكره من كون الادب قد يكون فى ترك الطلب فقال

المنسوب اليه فى قوله تعالى انّ رحمة الله قريب من المحسنين أمارة وعلامة على تلك العناية وليس بعلة موجبة وانما أسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكل العباد على السابقة ويتركوا العمل الذى هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعالى عليهم ❁ (الى المشيئة يستند كل شئ) لان وقوع ما لم يشأ الحق تعالى محال (ولا تستند هى الى شئ) لاستحالة وجود النقص فيما يجب له الكمال وهذه العبارات التى ذكرها المؤلف رحمه الله من أول الفصل الى هنا بلغت الغاية فى الحسن واستغنت بترددها وتكرارها عن البيان والشرح وفيها اشارة الى أحكام الازل وفقد الاسباب والعلل فيجب على العبد ان يبنى عليها أعماله وأحواله فيلتزم العبودية والافتقار ويدع التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا هو أدب التوحيد جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه وفضله * قال ابو بكر محمد بن موسى الواسطى رضى الله عنه ان الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والآخرة ما أوصلك اليه بهما ولو أخذتهما كلهما ما قطعك بهما قرّب من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال أيضا رضى الله عنه ما خالفه أحد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته أنى يكون له الوفاق والخلاف وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما وهو قائم على الاشياء وبالاشياء فى بقائها وفنائها لا يؤنسه وجد ولا يوحشه فقد بل لا فقد ولا وجد انما هى رسوم تحت الرسوم وقال رضى الله عنه ❁ (ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) قد يكون من الادب ترك السؤال والطلب لمن هو مستغرق فى الاذكار راض بما يجرى عليه من تصاريف الاقدار وهو أحد مذاهب القوم * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه واختلف الناس فى أى شئ أفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء فى نفسه عبادة قال النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة أولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية لان الدعاء اظهار فاقة العبودية وقد قال أبو حازم الاعرج لان أحرم الدعاء أشد على من ان احرم الاجابة وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطى اختيار ما جرى لك فى الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى

بالامرين جميعا قال الامام أبو القاسم والاولى أن يقال ان الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء به اولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت له اولى و يصح ان يقال ينبغي للعبد ان لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب ان يراعي حاله فاذا وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له اولى وان عاد الى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالاولى ترك الدعاء في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان وان كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء اولى لكونه عبادة وان كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت اولى و يصح ان يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب اوللحق سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء اولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت اتم واولى وفي الخبر المروي ان العبد ليدعو الله عز وجل وهو يحبه فيقول الله يا جبريل اخر حاجة عبدي فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول الله يا جبريل اقض لعبدي حاجته فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام الامام ابي القاسم القشيري وهو حسن بديع وهو اوفى مما ذكره المؤلف رحمه الله فلذلك اوردته هنا بكماله ۞(انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال) * اورد هذا كالدليل على ما ذكره من ان ترك الطلب قد يكون من الادب وذلك لان في الطلب اشعارا بتجويز الاغفال عليه فيقع بذلك التذكير له وتلويحا باحتمال وجود الاهمال منه فيكون ذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلل كان ترك الطلب عند هؤلاء ادبا وقد سئل الواسطي رضي الله عنه ان يدعو فقال اخشى ان دعوت ان يقال لي ان سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك عندنا فقد اسأت الثناء علينا وان رضيتنا اجرينا لك من الامور ما قضينا لك في الدهور وروي عن عبد الله بن منازل رضي الله عنه انه قال ما دعوت الله منذ خمسين سنة وما أريد أن يدعو لي احد لانه ماض على ما سبق ۞(ورود الفاقات اعياد المريدين) * الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح وهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهواته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه واعواز أمانيه واغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لان مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والآثار ولا يتأتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضروب الفاقات وأنواع الحاجات والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لانها

من

(انما يذكر) بالدعاء (من يجوز عليه الاغفال) اى السهو بان يكون عنده غفلة وعدم علم بحال السائل فيذكره بالسؤال (وانما ينبه) بمعنى يذكر (من يمكن منه الاهمال) اى عدم الاعتناء بحال السائل مع علمه بحاله فهذا مستحيل على الله تعالى ولذا كان ترك الطلب عند هؤلاء آدبا وقد سئل الواسطي ان يدعو فقال اخشى ان دعوت أن يقال لي ان سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك فقد أسأت الثناء علينا وان رضيت أجرينا لك من الامور ما قضينا لك في الدهور اه (ورود الفاقات اعياد المريدين) الاعياد جمع عيد وهي الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح فالمريدون يسرون بالفاقات لانها تسرع بوصولهم لمقصودهم لما فيها من الذل وقهر النفس كما تسر العوام بالاعياد لما فيها من نيل شهواتهم من ملابس وغيرها

من وجودهم لقرب ربهم ودنوّيتهم له فى حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء زادهم مولاهم قربة وولاء كان بعضهم يطوف حول الكعبة الشريفة وهو يقول

مؤتزر بشملتى كما ترى * وصبيتى باكية كما ترى
وامرأتى عريانة كما ترى * يامن يرى الذى بنا ولا يرى
أماترى ماحل بى أماترى * أماترى الذى بنا أماترى

فسمعه بعضهم فجمع له كيسا ودفعها اليه فقال له البك عنى لو كان معى شئ لما أمكننى ان أقول هذا القول * قال فى التنوير وفى البلايا والفاقات من اسرار الالطاف مالا يفهمه الاأولوا البصائر ألم تر أن البلايا تخمد النفوس وتذهلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجدان الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال ابواسحق ابراهيم الهروى رضى الله عنه من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير ان يختار الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على الرفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم عند قول المؤلف رحمه الله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذاك لقصور نظره الشفاء فى هذا المعنى فواجب اذا ان يكون ورود الفاقات اعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك بمواتاة الاسباب استشعروا بذلك وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب فحزنوا لذلك وتأسفوا وودوا لو عاد اليهم الحال الاول ومن هذا المعنى ماحكى عن خير النساج رضى الله عنه قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما رآنى تعلق بى وقال ايها الشيخ تعطف على فان محنتى عظيمة فقلت وما هى قال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه شئ من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغنى يحترز من الفقر حذرا ان يدخل عليه الفقر فيفسد غناه عليه وقد تقدم من حكايات عطاء السلمى وفتح الموصلى والفضيل بن عياض والربيع بن خيثم رضى الله عنهم مايوافق ماذكرناه وانشدوا فى ذكر اعياد المريدين والعارفين وقيل انها لابى على الروذبارى رضى الله عنه

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما * قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به * يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا املى * والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

(ربما وجدت من المزيد فى الفاقات مالا تجده فى الصوم والصلاة) وورود الفاقات يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لان الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يؤمن عليه

(ربما وجدت) ايها المريد (من المزيد) اى الزيادة فى حالك من طهارة السر وحصول أنوار ومعارف (فى الفاقات) اى فى حال ورودها عليك (مالا تجده فى الصوم والصلاة) لانه قد يكون قد املت بهما الشهوة نفسك وحظوظها ومن كان هذا سبيله فلا يؤمن فيه دخول الآفات فلا يفيدك تزكية ولا طهارة بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال

(الفاقات بسط المواهب) اى كالبسط التى ترد عليها المواهب الالهية لكل من جلس عليها كما ان الملك اذا جلس احد على بساطه اعطاه شيأ من مواهب الدنيا فالفاقات ١٦ تحضرك مع الحق وتجلسك على بساط الصدق وناهيك بما يكون فى تلك الحضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ولذا قال (ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك) بأن تحقق بهما فى نفسك تحققا تاما فلا يكون عندك استغناء بغيره بوجه من الوجوه فحينئذ ترد المواهب الالهية عليك لقوله تعالى (انما الصدقات للفقراء تحقق بأوصافك يمدك) بضم الياء وفتحها مع كسر الميم على الاول وضمها على الثانى (بأوصافه) ثم فصل ذلك بقوله (تحقق بذلك يمدك بعزته) فتصير عزيزا به لا بنفسك (تحقق بعجزك يمدك بقدرته) فتصير قادرا به لا بنفسك (تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) فتصير قويا به وكذا ان تحققت بفقرك يمدك بغناه فاذا جلست على بساط الذل وقلت يا عزيز من للذليل غيرك وعلى بساط العجز وقلت يا قادر من للعاجز غيرك وعلى بساط الضعف وقلت يا قوى من للضعيف غيرك وعلى بساط الفقر والفاقة وقلت يا غنى من للفقير غيرك وجدت الاجابة كأنها طوع يدك فقوله تحقق بأوصافك الخ مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب لان من جملة المواهب الامداد بضد الوصف الذى تحققت به (ربما رزق الكرامة) اى الامر الخارق للعادة (من لم تكمل له الاستقامة) فلا ينبغى للمريد ان يعتنى بها او يغتر بظهورها على يده لانها حينئذ ربما كانت معونة او استدراجا لا كرامة فالكرامة الحقيقية هى كمال الاستقامة ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على المريد ان لا يحرص الا عليها ولا يكون له همة الا فى الوصول اليها واما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين رضى

فيه من دخول الآفات فلا يفيده تحلية ولا تزكية بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك الى آخره ﴿(الفاقات بسط المواهب) الفاقات تحضره مع الحق وتجلسه على بساط الصدق وناهيك بما يكون فى تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية ﴿(ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء) هذا مثل ما ذكره الآن وذكر الآية عقيبه اشارة بديعة وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقق بأوصاف العبودية المذكورة فى المسئلة التى تأتى بأثر هذه ومما يتعلق بظاهر الآية التى استشهد بها المؤلف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم صدق الفقير أخذه الصدقة ممن يعطيه لا ممن يقبل اليه على يده فالحق تعالى هو المعطى على الحقيقة لانه جعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق فى فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع رداءة همته ﴿(تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) هذا مناسب لما ذكره من الفاقات والمواهب وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا * قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى واضدادها أوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقى يا غنى من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوى من للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام سيدى أبى الحسن وهو معنى ما ذكره المؤلف ههنا واكثر كلام المؤلف جار على منهاج كلام أبى الحسن رضى الله عنهما ونفع بهما وقال رضى الله عنه ﴿(ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة) الكرامة الحقيقية انما هى حصول الاستقامة والوصول الى كمالها ومرجعها الى أمرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ان لا يحرص الا عليهما ولا تكون له همة الا فى الوصول اليهما وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة * قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب ليس ذا حظ فى العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص او هالك مثبور * وقال سيدى ابو العباس المرسى

رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فاذا هو عند ربه * وذكر عند سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات هي شئ تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيأ فيدخل يده في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيأ فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لابي محمد المرتعش رضي الله عنه ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء والهواء * وقال أبو يزيد رضي الله عنه لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له ان فلانا يقال انه يمر في ليلة الى مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل له يقال ان فلانا يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات وقد تقدم مثل هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه *(من علامات اقامة الحق لك في الشئ اقامته اياك فيه مع حصول النتائج)* لا اعتبار بما يقوم فيه العبد بنفسه من عمل أو حال وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله عبده في الشئ ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته وينبني على هذا آداب ومعاملات وقد أشرنا الى نحو من هذا عند قول المؤلف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب الى آخره *(من عبر من بساط احسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا أساء) من شاهد احسان نفسه وعمل بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله فان وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحياء وهذه طريقة أهل التكليف الذين ينظرون الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح أو طالح ومن شاهد احسان الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه في الحالين من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته في الحالين أوجبت جراءته على ذلك وقد قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وهذه طريقة أهل التعريف الذين ينظرون الى ما من الله تعالى اليهم قلت وما ذكرته هنا من لفظي التعريف والتكليف وما نبهت به عليه ما من الكلام اللطيف أشرت به الى مسئلة عظيمة مهمة ينبني عليها آداب وأحكام جمة وهي مسئلة اختلاف الناس في معاملاتهم لربهم بحسب نياتهم في مراتب قربهم ومن أحكامها مسئلة التعبير التي اقتصر المؤلف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبني على ذلك الاصل وقد نبه عليها في لطائف المنن وأتى فيها بكلام مستوعب حسن فرأينا أن ننقله ههنا بكماله ليتبين به مقصدنا في تفصيله واجماله * قال فيه وقال رضي الله

(من علامات اقامة الحق) أي الله (لك في الشئ) كالاكتساب أو التجريد (اقامته اياك فيه) أي تيسر أسبابه لك وادامته عليك (مع حصول النتائج) أي ثمرات ذلك الشئ كسلامة الدين ووجود الربح من الكسب كامر (من عبر) أي تكلم في علوم القوم وأفادها للمريدين (من بساط احسانه) أي ملاحظا أن تعبيره وافادته تلك العلوم نشأ من احسانه أي أعماله الصالحة الشبيهة بالبساط الذي يجلس عليه عند ورود المواهب (أصمتته الاساءة) أي أسكتته اساءته ومخالفته للرب فينقبض عن ذلك التعبير لما يعتريه من الخجل والحياء بسبب المعصية التي صدرت منه وسبب ذلك مشاهدته احسان نفسه (ومن عبر من بساط احسان الله اليه) أي ملاحظا ان تعبيره وافادته تلك العلوم ناشئ من احسان الله اليه غائبا عن رؤية نفسه (لم يصمت اذا اساء) أي لم يسكت عن ذلك التعبير اذا صدرت منه معصية لان غيبته عن نفسه ومشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته أوجبت جراءته على ذلك ولذا قيل جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان

عنه يعنى شيخه أبا العباس الناس على ثلاثة أقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود ما من الله الى الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذر بين يدى الله تعالى وتلازمه الاحزان وتحالفه الاشجان ويستولى عليه الكمد كلما بدت منه سيئة أو كشف له من نفسه عن أوصاف سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول حال العباد والزهاد والثانى حال أهل العناية والوداد الاول شأن أهل التكليف والثانى شأن أهل التعريف الاول حال أهل اليقظة والثانى حال أهل المعرفة فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه العارف من عرف شدائد الزمان فى الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساءته فى احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضى الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثرة العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه قرأت ليلة من الليالى قل أعوذ برب الناس الى أن انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس فقيل لى شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد وأهل الجد والاجتهاد ولذلك قل أن تجد الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله تعالى طالبه بالعبودية وحمله اعباءها والزمه ما اشفقت السموات والارض والجبال من حمله قال الله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الحامل للاثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن واهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به حق وكلوا الى نفوسهم قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم ما حملهم قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق اللجا فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله محمولين فى محفات المنن تروح عليهم بنفحات اللطف والا خرون ساروا الى الله حاملين لاثقال التكاليف فتلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فان شاء ادركهم بلطفه فأخذ بايديهم من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات واشرقت فيهم العنايات واما القسم الثالث وهم الذين

آمدهم

أمدهم الله تعالى بشهود ما من الله الى الله هؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون فى ميدان التفريد وأهل القسم الاول وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا اليها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف الذى سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك فى التقدير فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك فكيف تصنع والله تعالى قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها اذا قصرت ووبخناها واذا كانت كذلك فالجواب أن نذمها لان الله تعالى أمرك بذمها من غير أن تشهد لها قدرة أو تضيف اليها فعلا فلا تراها هى الفاعلة له وأما القسم الثانى وهو الذى يشهد ما من الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذ رأى نفسه مهداة اليها هدايا الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين آثر أهل الله تعالى القسم الثالث وهو أن يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم اه كلامه رحمه الله تعالى ولاجل ما تضمنه من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الى ذكره على ما هو عليه فى هذا الموضع والله الموفق لا رب غيره * (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير) الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به والانوار المنسوبة اليهم هى أنوار معرفتهم وهى قوة يقينهم فان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله تعالى ونصحهم باذن الله تعالى سبقت أنوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجاء والافتقار اليه فى أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بان يجعل فيها أهلية واستعداد القبول ما يريدون ايراده عليهم من كلام الحكمة فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته قلوبهم التى وصل اليها أنوار أسرار الحكماء كما تتلقى الارض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه فقال يا بنى ما بلغت من حكمتك قال لا أتكلف ما لا يعنينى قال يا بنى انه قد بقى شئ آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيى الارض الميتة بوابل السماء وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العالمون به لانهم خائفون من الله تعالى وفى بعض الآثار رأس الحكمة مخافة الله والخوف من ثمرات العلم بالله وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله فقط فالحكماء هم العالمون بالله تعالى وان كانوا ضعفاء فى سائر العلوم الرسمية كليلة ألسنتهم فى البيان عنها * (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز) اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الاكدار وتزكى من الاغيار واشرقت فيه الانوار كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النورانى الذى يلج آذان السامعين فتنفتح بسببه اذ ذاك أقفال قلوبهم ويستجيبون به لنداء الحق حبيبهم وروى الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن سعيد بن عاصم قال كان قاض يجلس قريبا من مجلس محمد بن واسع فقال له يوما وهو يوبخ جلساءه

(تسبق أنوار الحكماء) وهم العارفون بالله تعالى العالمون به (أقوالهم) وأنوارهم هى أنوار معرفتهم وهى قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا أرادوا ارشاد عباد الله ونصحهم باذن من الله تعالى توجهوا الى الله والتجؤا اليه فى أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بان يجعل فيها أهلية واستعداد القبول ما يرد عليها فيخرج من قلوبهم حينئذ نور ناشئ من نور سرائرهم يصل الى تلك القلوب (فحيث صار) أى حصل (التنوير) أى النور أى استقر فى قلوب عباد الله الذين يريدون ارشادهم (وصل التعبير) أى تلقته تلك القلوب بالقبول كما تتلقى الارض الميتة وبل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع ثم علل ذلك بقوله (كل كلام يبرز وعليه) الواو للحال وفى بعض النسخ اسقاطها (كسوة القلب الذى منه برز) فاذا كان القلب منورا اكتسى الكلام نورا فلا تمجه الاسماع ولا تنكره القلوب فكسوته هو ذلك النور وكلام الحكماء يبرز مكسوا بكسوة الانوار فتنفتح به أقفال القلوب ويستجيبون لنداء حبيبهم وكلام المدعين يبرز وعليه الظلمة فلا ينتفع به أتم انتفاع وقد ينتفع به من جهة حقيقته ومضمونه لا من جهة قائله ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

مالى ارى القلوب لا تخشع ومالى ارى العيون لا تدمع ومالى ارى الجلود لا تقشعر فقال محمد بن واسع يا عبد الله ما ارى القوم اوتوا الامن قبلك ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد حاز المؤلف قصب السبق فى هذا المعنى الذى ذكره ومن مارس كلامه فى هذا الكتاب وفى غيره وصل له منه الى الأثر المحمود وسلم ما قلناه وكفى بشهادة شيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه على عظم قدره ودعائه له برهانا على ذلك قال فى لطائف المنن وكنت قد قلت لبعض تلامذة الشيخ يعنى أبا العباس أريد لو نظر الى الشيخ برعايته وجعلنى فى خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضى الله عنه لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا فى خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده ثم قال أى شئ تريد أن تكون والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا وكذا والله ليكونن لك كذا وكذا لم أثبت منه الا قوله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه ما لا أنكره قال فاخبرنى سيدى جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله فى الفقه فقال الشيخ هم يصدرونه فى الفقه وأنا اصدره فى التصوف قال ودخلت عليه فقال اذا عوفى الفقيه ناصر الدين تجالسك فى موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية وتتكلم ان شاء الله فى العلمين فكان ما أخبر به رضى الله عنه قال وسمعته يقول اريد أن أستنسخ كتاب التهذيب لولدى جمال الدين فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الاول فقال ما هذا قلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فأخذه فلما نهض ليقوم قال اجعل بالك الولى لا يتفضل عليه أحد تجد هذا ان شاء الله فى ميزانك فلما أتيته بالجزء الثانى لقينى بعض أصحابه عند نزولى من عنده قال قال الشيخ عنك والله لاجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به فى علم الظاهر والباطن فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقينى بعض أصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء فقال هذا الكتاب استنسخه لى ابن عطاء الله والله ما ارضى له بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف قال واخبرنى بعض اصحابه قال قال لى الشيخ يوما اذا جاء ابن فقيه الاسكندرية فأعلمونى به فلما اتيت الشيخ أعلمنا الشيخ بذلك فقال تقدم فتقدمت بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال قد امره الله ان يطيع امرك فى قريش فسلم عليه ملك الجبال ثم قال يا محمد ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيأ فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج من اصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر وخرج معى ابو الحسن الجوهرى وكان من اصحاب الشيخ ابى الحسن فسلمت عليه وسلم على

ببشاشة واقبال فقلت له من أين تعرفني فقال وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له ياسيدى انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ يا ابا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله فكان ما قال الشيخ رحمه الله تعالى قال وكنت كثيرا مايطرأ علىّ الوسواس فى الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال بلغنى ان بك وسواسا فى الوضوء قلت نعم فقال رضى الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم ثم مكثت اياما ودخلت عليه فقال ماحال ذلك الوسواس قلت على حاله فقال ان كنت لاتترك الوسوسة لاتعد تاتينا فشق ذلك علىّ وقطع الله ذلك الوسواس عنى قال وكان رضى الله عنه يلقن للوسواس سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة أمدحه بها فقال حين أنشدت أيدك الله بروح القدس قال ثم عملت قصيدة اخرى باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد العجم فلما قرئت عليه قال رضى الله عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجاس ويتحدث فى العلمين يشير الشيخ الى مرض الوسواس قال فلقد انقطع عنى ببركة الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون اشدة التوسعة التى أجدها قد تساهلت فى بعض الامر والمرض الآخر كان بى البواسير فشكوت ذلك اليه فدعا لى فعافانى الله تعالى وشفانى (قال) وبت ليلة من الليالى مهموما فرأيت الشيخ فى المنام فشكوت اليه ما انا فيه فقال اسكت والله لاعلمنك علما عظيما قال فلما انتبهت جئت الى الشيخ رضى الله عنه فقصصت عليه الرؤيا فقال هكذا يكون ان شاء الله تعالى قال وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال لى يا احمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وبها لك بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت انه لايمكننى الانقطاع عن الخلق وانى مراديهم لقوله وبها لك بين خلقه قال وكنت أنا لامره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشئ سمعته منه ولا لشئ صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بينى وبين بعض اصحابه وذلك قبل صحبتى اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون امورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ تدرى ماقال لى الشيخ يوم تخاصمنا فقلت لا قال دخلت عليه فاول ماقال لى هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما اصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بامرنا ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاما فما سمعت منه شيأ ينكره ظاهر الشرع من الذى كان ينقله عنه من يقصد الاذى قال وكان سبب اجتماعى معه ان قلت فى نفسى بعد ان جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل دعنى أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لايخفى شأنه قال فأتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم فى الانفاس التى امر الشارع بها فقال الاول اسلام والثانى ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الاول عبادة والثانى عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت

الاول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق ونحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت الى ان بهر عقلى وعلمت ان الرجل انما يغرف من فيض بحر الهى ومدد ربانى فاذهب الله ما كان عندى ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد شيأ منى يقبل الاجتماع بالاهل على عادتى ووجدت معنى غريبا لا ادرى ما هو فانفردت فى مكان انظر الى السماء والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملنى ذلك الى العود اليه مرة اخرى فاتيت فاستؤذن لى فلما دخلت عليه قام وتلقانى ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسى ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت له يا سيدى انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتنى ثم شكوت اليه ما اجده من هموم واحزان فقال احوال العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار قال فقمت من عنده وكانما كانت تلك الهموم والاحزان ثوبا نزعته قال ثم سألنى بعد ذلك بمدة كيف حالك فقلت افتش على الهم فلا اجده فقال

ليلى بوجهك مشرق * وظلامه فى الناس سارى
والناس فى سدف الظلا * م ونحن فى ضوء النهار

الزم فوالله ان لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين يريد مذهب اهل الشريعة اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانما اوردت ذلك ههنا على طوله ليعرف به قدر المؤلف وليدفع بواضح برهانه طعن الطاعن وتعسف المتعسف ولنتعرض بذلك لنزول الرحمة من الله تعالى علينا وموالاة منحه وعطاياه لدينا فقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة مع ما فى ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المؤلف من الكلام الحائز به قصب السبق بين من عاصره من الائمة الاعلام واما شيخه ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما اوضح من نار على علم ولقد طرزت بكلامهما الكتب والدفاتر وزهيت بمآثرهما وعلو هممهما الالسنة والاقلام والصحف والمحابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويرغم آناف الجاحدين والمعاندين

سيكفيك من ذاك المسمى اشارة * ودعه مصونا بالجمال محجبا

* (من اذن له فى التعبير فهمت فى مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته) المأذون له فى التعبير هو الذى يتكلم لله وبالله وفى الله ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد رضى الله عنه الصواب كل نطق عن اذن اشار بهذا والله اعلم الى قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فاذا قرع اسماع السامعين كلامه فهمت فى مسامعهم عبارته فلم يفتقروا الى معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته فلم يحتاجوا معها الى اطناب ولا

(من اذن له) من العارفين بالله تعالى (فى التعبير) عن الحقائق وهى علوم الوهب والفتح المأخوذة عن الله تعالى بلا واسطة وعلامة الاذن له فى ذلك تيسير التعبير عليه وسهولته وعدم احتياجه فى القاء المعارف الى كلفة بل يجد لسانه منطلقا بها او يجد عنده باعثا الى التعبير عنها مع السلامة من آفات النطق وعلامة ذلك بالنسبة للسامعين ما ذكره بقوله (فهمت فى مسامع الخلق عبارته) فلم يفتقروا الى معاودة وتكرار وجعل الاسماع محلا للفهم مبالغة والا فمحلها حقيقة هو القلب (وجليت) بضم الجيم وتشديد اللام اى ظهرت (اليهم اشارته) وهى ألطف من العبارة التى يستعملها أهل الطريق فى الاخبار من العلوم الباطنية والحقائق العرفانية اى فلا يحتاجون الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له فى ذلك ثم قال

(ربما برزت الحقائق) وهى العلوم العرفانية (مكسوفة الانوار) بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فمجتها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم (اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) قال أبو العباس المرسى قدس الله سره كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام غير المأذون له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد على الآخر (عباراتهم) التى يعبرون بها عن العلوم والمعارف التى يجدونها فى باطنهم (اما لفيضان وجد) أى لفيضان ما يجدونه فى قلوبهم من ذلك فقلوبهم ضيقة يفيض عنها ما يحل فيها قهرا عنهم كالاناء الضيق اذا وضع فيه ماء كثير فانه ٢٣ يفيض منه قهرا (أو لقصد هداية مريد) وان كانت قلوبهم متسعة يمكنهم رد ما يستقر فيها فلا يفيض منها شئ (فالاول حال السالكين) أى من أهل البداية فهم معذورون فى التعبير لوجود الغلبة عليهم (والثانى حال ارباب المكنة والمحققين) من أهل النهاية فيلزمهم ذلك لما فيه من الارشاد والهداية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان فى ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان فى ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وأيضا فحاله يقتضى وجود الصمت وعدم النطق لانه فى حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم (العبارات) التى يعبر بها أهل هذه الطريقة عن العلوم والمعارف (قوت لعائلة المستمعين) الاضافة للبيان أى هى من حيث معناها قوت لارواح العائلة وهم المستمعون المحتاجون الى ما يلقى اليهم من المواعظ والحكم كما ان الاطعمة الحسية قوت لابدان المحتاجين اليها (وليس لك الا ما أنت له آكل) أى كما ان الاقوات الحسية مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف طباعهم وأمزجتهم كذلك الاقوات المعنوية التى تفهم من العبارات مختلفة فلا يصلح للواحد منها ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فقد تلقى العبارة على جماعة فيفهم كل واحد منها ما لا يفهمه الآخر وقد يفهم بعضهم من الكلام الذى يسمعه معنى لا يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا وربما فهم منه ضد ما قصده المتكلم به فقد سمع بعضهم قائلا يقول اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار ولا تشرب باقداح صغار * فان الوقت ضاق عن الصغار فخرج هائما على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات

اكثار بخلاف غير المأذون له فى ذلك قيل لحمدون بن أحمد بن عمارة القصار رضى الله عنه ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق *(ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) من لم يستكمل الاوصاف المذكورة لم يؤذن له فى اظهار شئ من الحقائق الربانية فان أظهرها برزت مكسوفة الانوار بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فمجتها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة أن يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من آفات المنطق قال فى لطائف المنن ان من أجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الولى يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة حتى اذا أعطى العبارة كان كالاذن من الله له فى الكلام قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد على الآخر (عباراتهم اما لفيضان وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثانى حال أرباب المكنة والمحققين) انما يقع التعبير منهم عما يطالعون به من الامور الغيبية والعلوم الاشهادية لاحد معنيين اما لحال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون فى ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من أهل الهداية واما لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد والهداية وهذا حال اهل التمكين والمحققين من اهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان فى ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد هداية مريد كان فى ذلك افشاء سر لم يؤذن له فيه وايضا فحاله يقتضى وجود الصمت وعدم النطق لانه فى حضرة الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب العلوم وغرائب الفهوم فكيف يصدر منهم نطق او تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من آداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا *(العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما انت له آكل) المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم كما ان المستطعمين والسؤال

موسومون بالفقر والحاجة الى قوت ابدانهم وكانت اقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء ما يصلح للآخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طباعهم وامزجتهم فكذلك اقوات الآخرين مختلفة فلا يصلح لواحد منهم من العبارات التى تتضمن وجود القوت المعنوى ما يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم أو عارف أو أحد من أهل هذا الطريق ولم تحظ منها بشئ فاعلم انها لا تصلح اقواتك وغذائك وهى صالحة لقوم آخرين وعما ينتظم فى هذا السلك أن تقرع أسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الآخر ويحصل لهم بذلك التأثر مع أن المتكلم لم يرد شيأ من ذلك وربما كان ذلك مضاد اله وقد يسمع ارباب القلوب من الجمادات ويستمدون به لسى الحالات قال فى لطائف المنن وربما فهم من اللفظ ضد ما قصد واضعه كما أخبرنا الشيخ الامام مفتى الانام تقى الدين محمد بن على القشيرى رحمه الله قال كان ببغداد فقيه يقال له الجوزى يقرأ اثنى عشر علما فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشدا يقول اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار

ولا تشرب باقداح صغار * فان الوقت ضاق عن الصغار

فخرج هائما على وجهه الى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات قال وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر قول القائل

لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى * لما انتظرت لشرب الراح افطارا

الراح شئ شريف أنت شاربه * فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا

يا من يلوم على صهباء صافية * خذ الجنان ودعنى أسكن النارا

فقال انسان هنا لا تجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ مكين الدين الاسمر للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين الاسمر هذا هو الذى شهد له الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بانه من السبعة الابدال قال ويكفيك فى هذا أن ثلاثة سمعوا مناديا ينادى ياسعتر برى ففهم كل واحد منهم مخاطبة خوطب عن الله بها فى سره فسمع الواحد اسع ترى برى وسمع الآخر الساعة ترى برى وسمع الآخر ما أوسع برى فالمسموع واحد واختلفت افهام السامعين كما قال سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقال سبحانه قد علم كل اناس مشربهم فاما الذى سمع اسع ترى برى فريد دل على الله تعالى بالنهوض الى الله بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الينا بصدق المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة وأما الثانى فكان واصلا الى الله تعالى طاولته الاوقات فخاف أن تفوته المواصلة فقيل له ترويحا على قلبه لما أحرقته نار الشغف الساعة ترى برى وأما الآخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من حيث أشهد فسمع ما اوسع برى قال وقال الشيخ محى الدين بن العربى رحمه الله دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام وحضروا

(ربما عبر عن المقام) اى عن أى مقام من مقامات اليقين كمقام الزهد ومقام الورع ومقام التوكل الى غير ذلك (من استشرف عليه) أى اطلع عليه وقارب الوصول اليه ولم يظفر به ولم يتحقق فيه (وربما عبر عنه من وصل اليه) وتحقق فيه (وذلك) أى ماذكر من الحالين (ملتبس) أى يلتبس الفرق بين حال هذا وحال هذا (الا على صاحب بصيرة) فانه لا يخفى عليه لانه يرى فى الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وعلامة الاول أن يجد الفرح والاستبشار عند التعبير واستعظام الامر واستحسانه لكونه فى مباديه وقريب عهد بغيره بخلاف الثانى فانه يتكلم فيه كعادته فى كلامه بغيره وربما عبر عن المقام من نقله من كتاب وحفظ أحواله من ممارسته لكلام القوم وحفظه لعباراتهم وقد يوهم مع ذلك أنه واصل متمكن وعلامته التى تبين حاله أن يحشمه على مقتضى قواعد فنون العلم فان صار يتكلف الاجوبة ويشم منه رائحة التعصب والانتصار للنفس والانفة من العجز فهو مدع كاذب (لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته) أى ما يمنحه الله له من العلوم الوهبية والاسرار التوحيدية فلا ينبغى له أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع عليها أحدا الا شيخا مرشدا له (فان ذلك يقل عملها فى قلبه) أى فلا يحصل له كمال الانتفاع بها وهو تمكنها فى القلب وتأثره بها (ويمنعه وجود الصدق مع ربه) اذ لا يخلو التعبير عنها عن شهوة نفسانية لان النفس تجد عند التعبير عنها لذة وانشراحا وذلك يقوى صفاتها وقوة صفاتها مما يمنعها من وجود الصدق مع ربها (لا تمدن يدك) أيها المريد المتجرد (الى الاخذ) من الخلائق مما يعطونه لك من الارزاق على وجه الرفق الا بشرطين أشار الى الاول بقوله (الا أن ترى) أى الا بعد ملاحظتك (أن المعطى فيهم مولاك) فلا ترى العطاء الذى يصل اليك الا منه وان الخلق أسباب ووسايط ولا يكفى فى تلك الرؤية أن تكون علما وايمانا فقط بل لابد أن تكون حالا وذوقا فان ذلك هو اللائق بحال المتجرد والى الثانى بقوله (فاذا كنت كذلك) أى ملاحظا مولاك

الاوعية وهناك وعاء زجاج قد اتخذ للبول ولم يستعمل فقرب فيه رب المنزل الطعام فالجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول منذ أكرمنى الله بأكل هؤلاء السادة منى لا أرضى لنفسى أن اكون بعد ذلك اليوم محلا للاذى ثم انكسر نصفين فقال الشيخ محيي الدين فقلت للجميع سمعتم ما قال الوعاء فقالوا نعم قال فقلت ما سمعتم فأعادوا القول الذى قد تقدم قال فقلت قال قولا غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله واياكم من أولى الفهم عنه والتلقى منه قلت وهذه المنازع كلها مما يستملح ويستظرف وتتأثر بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة وقد جرت عادة أئمة هذه الطريق باستعمالها وايرادها فى محالها فلا حرج علينا اذن فى ذكر بعض ذلك اذا كانت له مناسبة تامة ووجدت فيها فائدة خاصة أو عامة وبالله التوفيق لا رب غيره ۞ (ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة) كما أن الواصل الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والمواصلة والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهر وأما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى فى الكلام صورة المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال أو نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا ۞ (لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها فى قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه) الواردات الالهية لا ينبغى للسالك أن يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع عليها أحدا الا شيخا مرشدا لان نفسه تجد فى ذلك لذة وانشراحا تتقوى به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات فى قلبه من التأثير المحمود ولاجل غلبة أحكام نفسه وايثار حظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى فى قوله استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك ۞ (لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الا أن ترى ان المعطى فيهم مولاك فاذا كنت كذلك

(خذ ما وافقك العلم) هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليبنوا عليها أحوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على أيدي الخلق وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بعبارات بديعة محمودة موجزة جمع فيها جملة المعاني التي يحتاج اليها من ذكرناه فلنبسط كلامه في ذلك على حسب عادتنا معه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه وهذا قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسائل كتابه ونقول على حسب ذلك أرزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين أحدهما رزق يصلون اليه بأسباب وأعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال أهل الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا حال أرباب التجريد وكل واحد من القسمين له آداب وأحكام تخصه فأحكام القسم الاول وآدابه لم يتعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وهي مذكورة في فن الفقه وغيره فواجب على كل من دخل في شيء من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من حيث هو وأحكام القسم الثاني وآدابه هي التي تعرض لها المؤلف وأجمل رحمه الله تعالى جميع ذلك في مراعاة شرطين وجعلهما من شروط صحة الاخذ الشرط الاول ان لا يرى العطاء الا من مولاه عز وجل وهذا هو الاصل وانما اشترطه على الآخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتخليص التجريد وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط من قلبه هم الرزق وتزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا الوصف كان عبد الناس مولها قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته فيما في أيديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل (قال) يحيى بن معاذ رضي الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين ولا يكفي في تلك الرؤية المذكورة أن تكون علما وايمانا فقط بل لا بد أن تكون حالا وذوقا * دعا بعض الناس شقيقا البلخي رضي الله عنه وكان في طبقته من أصحابه نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وأني قدمته اليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمك الله ما أردت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي أي كلهم لا يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا في رؤية العطاء من الله تعالى ان يكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرناه لان التجريد حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمد لان ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى فيه من أراده به من أهل التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعالى وجده في الهرب عن كل ما يقطعه عن الله تعالى فحينئذ يسلبه الحق من تدبيره واختياره ويكاشفه بوحدانيته في ايراده واصداره ويكون تركه للاسباب بحكم الوقت

(خذ ما وافقك العلم) على أخذه وحاصله أن لا تأخذ الا ما وافقك العلم على اخذه واباح لك اخذه والمراد علم الظاهر بأن لا تأخذ الامن يد مكلف رشيد تقي وعلم الباطن بأن لا تأخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة اى لا تأخذ الا ما انت مفتقر اليه في الحال لتنفقه في ضروريات وحاجاتك من غير اسراف ولا اقتار كما كان عليه الصلاة والسلام في اكله وشربه ولباسه ومسكنه وغير ذلك فلا تأخذ ما يأتيك قبل وقتك ولا زائدا على حاجتك الا ان يكون في خلقك سخاء ولا تأخذ ما تعطاه على جهة الاختبار من الله بان أعطيت شيأ كنت قصدت تركه لله من شهوة كنت مبتلى بها قد ملكتك ومنعتك القيام بحقوق ربك ولا تأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا ممن يثقل على قلبك قبول عطيته فقد قيل لا تأكل الا عمن يرى لك الفضل عليه في اكله

واشارة الحال . كما روى أن أبا حفص النيسابورى رضى الله عنه كان حدادا وكان غلامه يوما ينفخ عليه الكير فأدخل الشيخ يومايده فى النار وأخرج الحديدة من النار فغشى على غلامه وترك أبو حفص الحانوت وأقبل على أمره وكان يقول رضى الله عنه تركت العمل فرجعت اليه وتركنى العمل فلم أرجع اليه (وقال) ابراهيم الخواص رضى الله عنه لا ينبغى للصوفى أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون رجلا مغلوبا قد أغنته الحال عن المكاسب وأما من كانت الحاجات به قائمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين التكلف فالعمل أولى به والكسب بسعى أحل له وأبلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه ما دامت الاسباب قائمة بالنفس فالاكتساب أولى وقال بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد منى تركها فخالج فى صدرى من أين المعاش فهتف بى هاتف لا أراه تنقطع الى وتتهمنى فى رزقى على أن أخدمك وليا من أوليائى أو منافقا من أعدائى وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحة قبول العطاء عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه من أهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة روى زيد عن خالد الجهنى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من وجه اليه شئ من هذا الرزق من غير مسئلة ولا استشراف فليأخذه وليوسع فى رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه الى من هو أحوج منه (وقال) عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أفقر اليه منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيأ ولا يرد شيأ أعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم قادح فى التوحيد فلا ينبغى ان يأخذ المريد عطاء على هذا الوجه روى ان احمد بن حنبل رضى الله عنه خرج ذات يوم الى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن فى الموضع من يحمله فوافى ايوب الحمال فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان أهل الدار قد خبز واما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه ايوب وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ايوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فالحقه فأخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له احمد عجبت من رده واخذه قال نعم قال هذا رجل صالح لما راى الخبز استشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه مع الاستشراف رده ثم ايس فرددناه اليه بعد الاياس فقبله واما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق فلا يضره ذلك لانه خلق ضعيف ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه فاستشرافه الى الرزق

فى الحقيقة استشراف الى الرازق ولا ينافى ذلك حقيقة العبودية ولكن ان كثر منها الاستشراف الى الرزق وشغلت صاحبها عن دوام المحاضرة والمناجاة من الحق فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا ولينهج لها من التعلق والتوثق بالله سبيلا (قال) الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه كنت فى بدايتى واقفا بين العشاءين أصلى وأنا فارغ بلا سبب حتى جاءتنى النفس فقالت لى السلام عليك قلت لها وعليك السلام قالت العشاء فأدهشنى بديهة فتوقفت ثم ألهمنى الله تعالى أن قلت لها أتدرين لمن موضعا قالت لا قلت لها ايش هو ومتى هو قالت لا قلت لها أنا رب أو عبد قالت عبد قلت لها فالعبد يقدر على شئ ماهذا الكفر والشرك الذين أتيتنى بهما اهربى الى خالقك فاطلبى منه العشاء لانه خالقك والقادر على كل شئ فيعطيك ويجيب لك ما طلبت فتطعمنى وتأكلى فيالك واياى وماهذه الحيرة قال فذهبت الى خالقها فجاء عشاء متمكن كثيرا كان قال وكذلك يحتج عليها ومن هنا تثبت الاقدام * وذكر أيضا مسئلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير بالنسبة الى الرزق وما تحتاج اليه بنيته من الرزق وجعلها من قواعد الفقر والارادة فرأينا ذكرها فى هذا الموضع من الواجب المتعين ليتحقق فى العمل بها كل من يقف عليها من مريد مبتدئ * قال رضى الله عنه اعلم أن الفقير لا يخلو اما أن يكون جالسا أو ماشيا أما قاعدا الجالس فان جلسته موضع ألبته وهو مكانه و زمانه طرف سجادته لا يتعداها ولا يكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لا يدرى الاوقات ماهى ولا يجدها ولا يدرى حتى هى ولا وقتها و يعلم أن جميع الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من أجله وهو خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فالالتفات والامل لماذا بل يكون هدفا للاقدار تجرى عليه ولا كسب له ولا سبب فى التحصيل ثم قال وأما الماشى من الفقير الذى يكون فى سفر أوغيره فلا تجاوز همته خطوته مثاله أن يكون ماشيا فخطر له التغير والالتفات اليه من بلد أو شخص أو طعام أو مشرب فيهلك و يظفر به العدو وتزل قدمه فان تمادى فى التعلق بشئ من هذه القواطع والشواغل ومشى الى شئ منها وفقده ومات مات قاتل نفسه وذلك أنه يكون فى يوم صائف و هج وقد أصابه العطش الشديد فيعرض له خيال ماء فيجئ العدو فيروح عليه أن أسرع لتلحق ذلك الماء فتشرب منه فيزول عطشك فان مشى راكنا لهذا الخاطر يجئ الموضع فيجده سرابا فهنا يظفر به و يقول له الآن تموت فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذ كان جاهلا بربه وآياته ولم يعرف دواءه من دائه ولا تعلم العلم ولا سأل العلماء لبقائه مع نفسه قال فحكمه اذا جاءه هذا الخاطر بالترويح من العدو فى سفره من السرعة الى الماء والركون الى الاغيار من منازل أو اشخاص أو غير ذلك أن يعرض على العدو و يقول ان الله تعالى يمكن ان يتوفانى قبل لحوقه فبالضرورة يطيعه فى ذلك و يسلمه و يقول له ايضا قال النبى صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا وقال من تأنى اصاب أو كاد ومن تعجل اخطأ أو كاد والعجلة من الشيطان

ومن هذا كثير فلا يشك شاك أنه كما يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد من العلم أنهم ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستعانة بالله تعالى والتعلق به ثم يقول له أيضاً أتنكر أن الله تعالى قادر على أن يطعمني ويسقيني ان شاء الله تعالى ينبع لي عيناً الساعة قبل وصولي لذلك الماء فيقول الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان هذا كذلك فالله سبحانه أعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل هذا العلم رجع يمشي متأنياً اهمته مع خطوته ناظراً لما يرد عليه من ربه فان وصل الى ما خطر له أولاً أو رآه من بعد ولم يجد ما تعلق به خاطره أولاً من صاحب أو طعام بقي على أصله لا تغير عنده ولا تردد فظفر بالعدو وقتله كما فعل أيضاً الشيطان بغيره الشيء أو ضده انتهى ما أردنا ذكره من كلام هذا الامام وهو عندي من أنفس الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعة والانفاس الرفيعة ولما فيه من تجريد التوحيد والآداب المرضية مع العبيد فهو جدير بأن يكتب ويرسم ويكمل به الغرض الذي تقدم والله تعالى أعلم وحكم الشرط الثاني أن لا يأخذ الا ما وافق العلم وهذا شرط لازم للمتجرد أيضاً (قال الشيخ أبو طالب المكي) رضي الله تعالى عنه وينبغي لمن لا معلوم عنده من الاسباب أن يتورع في أخذها ويتخير المعطي لها كما يتخير أهل المكاسب في الاكتساب لان لله تعالى في كل شيء حكماً والقعود عن المكاسب لا يسقط أحكامها والقاعد عن الطلب لا يسقط أحكام الطالب ولان ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقراء الصادقين أن يأخذوا من كل احد ولا في كل وقت ولا يأخذوا كل ما يعطون مما يزيد على كفايتهم الا ان يكونوا ممن يخرجونه الى غيرهم انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المؤلف رحمه الله على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم الظاهر فبأن لا يأخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وقد جاء في الحديث لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي فلا تأخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا تأخذ من يد صبي ولا عبد غير مأذون له ولا معتوه واما موافقة العلم الباطن فبأن لا يأخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونة فلا يأخذ الا ما هو مفتقر اليه في الحال ولا غنى له عنه من ضروراته وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار ولا بأس ان يأخذ ما يزيد على ذلك بأن كان في خلقه سخاء وبذل وايثار وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل من جاه أو رياسة أو قبول عند الناس ولا يأخذ ما يعطاه على جهة الابتلاء والاختبار اما الابتلاء فأن يأتيه قبل وقته او زائداً على حاجته فان اخذه فليخرجه في السر ليأمن بذلك من آفة الاظهار واما الاختبار فان لا يأخذ شيأ قد نوى تركه لله تعالى من شهوة كان مبتلى بها قد ملكته واسرته ومنعته القيام بحقوق ربه فليوف بعهد الله تعالى وليدفع ذلك عن نفسه ان خاف انحلال عزمه وفساد نيته فان لم يخف على ذلك فليأخذه وليخرجه الى غيره وهذا اشد شيء على النفس وهو من اعظم درجات الزهد ولا يأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا يأخذ ممن يثقل على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا تأكل

الاطعام من يرى لك الفضل عليه في أكله ولا تأكل الاطعام من يرى أنه وديعة عنده ولا تأكل الاطعام زاهد لانه يسر بأكلك ولا تأكل الاطعام ابر الذى صاحبه أفضل من الطعام وقد روى أنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت أن لا أقبل الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وفعل هذا جماعة من التابعين جاءت الى فتح الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون دينارا فقال حدثني عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه أن رجلا أهدى اليه كيسا فيه ألوف ورزمة فيها من دقيق خراسان فرد ذلك فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيأ مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة وماله عند الله من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي رضي الله عنه يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذ وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا الشيء قال ضعه عندك واعرض على قلبك حالي كيف انا عندك بعد الاخذ افضل أو دون ذلك واصدقني فان قال انت عندي الآن افضل منك قبل ذلك او قال له انت عندي بعد الاخذ مثل ما كنت قبل ذلك قبل منه وان اخبره بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على اكثر الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال ما ارد عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم ويروى عن الاعمش انه قال جاء شاب من العرب الى ابراهيم التيمي بالفي درهم فقال يا ابا عمران خذ هذه الدراهم والله ماهي من ذي سلطان ولا من كذا ولا من كذا فقال له ابراهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى قلت له يا ابا عمران ما منعك ان تأخذها والله ما لاحد أتك قبص فقال صدقت يا سليمان ولكن هذا شاب من العرب لم يحنكه السن ولم تحنكه الآداب فكرهت ان يجلس في حيه فيقول اعطيت ابراهيم الفي درهم فيحبط الله اجره وتذهب دراهمه وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري رضي الله عنه كان يشترط على بعض من كان يأخذ منه أن لا يذكره لاشفاقه عليه لا من اجله بل من ذهاب اجره لانه قيل في معنى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان يذكره والاذى ان يظهره وقال الجنيد للرجل الخراساني الذي جاءه بالمال وسأله ان يأكله فقال الجنيد بل افرقه على الفقراء فقال الرجل انا اعلم بالفقراء منك ولم اختر هذا فقال له الجنيد وانا أؤمل ان اعيش حتى آكل هذا فقال انى لم اقل لك أنفقه في الخل والبقل وانما قلت أنفقه في الطيبات والوان الحلاوات وكلما نفد اسرع كان احب الى فقال الجنيد ومثلك لا يحل ان يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد احد اعظم منة على منك فقال الجنيد

وما ببغداد أحد ينبغي أن يقبل منه شئ الا من كان مثلك وكان السري السقطي يوصل الى أحمد بن حنبل رضي الله عنهما الشئ فيرده فقال له يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من آفة الاخذ فقال أحمد أعد علي ما قلت فأعاده فقال له أحمد ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فأنفذه الي * وعلى الجملة فلا ينبغي أن يأخذ المريد الا من يد زاهد عارف فبذلك يسلم من الآفات ويكفي من جميع المؤنات وقال أبو بكر الدقاق رضي الله عنه منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء فما رأيت رفقا لاصحابنا الا من بعضهم لبعض أو ممن يحبهم ومن لم تصحبه التقوى والورع في هذا الامر أكل الحرام الصرف وان أراد أن يسأل من مثل هؤلاء فليفعل قال أبو طالب المكي رضي الله عنه كان بشر بن الحرث رضي الله عنه لا يقبل من الناس شيأ وكان بعضهم يقول أحب ان أعلم من أين يأكل فقال له من يخبر أمره أنا أدري من أين يأكل كان له صديق عاقل يعني نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من النظراء ولا يقبل من الاتباع وهذا الصديق العاقل الذي كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر أمره ولا يلتقي معه هو السري بن مغلس السقطي رضي الله عنه * قال بشر رضي الله تعالى عنه ما سألت أحدا قط شيأ من الدنيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون قد أعنته على ما يحب وكان سري رضي الله عنه يوجه الى احمد بن حنبل في حاجاته فيقبل منه وكان اذا ذكر عند احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول ذلك الفتى المعروف بطيب الغذاء انه ليعجبني امره وان بلغت به الحاجات كل مبلغ واشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه فلم يقدر له بشئ ووقته يضيق عن الكسب لشغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسأل من دون هؤلاء ممن جهل حاله * جاء في الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار وقد سأل الناس عند الحاجة الفاقة نبي الله تعالى موسى والخضر عليهما السلام لقوله تعالى استطعما اهلها وكان ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رضي الله عنهما يسأل من باب او بابين بين العشاءين ويكون ذلك معلوما عند حاجته من يوم أو يومين وكان له مقام في الزهد والتوكل قال ابو طالب ولم يعب هذا عليه عموم ولا خصوص ونقل عن ابي سعيد الخراز رضي الله عنه انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شئ لله ونقل عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره يطلب من الابواب وكان الثوري يسأل في البوادي من الحجاز الى صنعاء اليمن قال كنت اذكر لهم حديثا في الضيافة قال فيخرجون الي طعاما فاتناول حاجتي واترك ما يبقى وليجتنب المريد الاكل بالدين وقبول ارفاق النسوان فان قيل كيف يرد ما يعطاه في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ فيها وهو انما يأخذ من ربه كما تقدم وهل الراد لذلك الا راد على الله تعالى فكيف يستقيم ذلك فالجواب ان القيام بحق الشريعة والطريقة لابد منه

(ربما استحيا العارف) المحقق (أن يرفع حاجته الى مولاه) فلا يطلب منه شيأ (لاكتفائه بمشيئته)

أى بما تعلقت به مشيئته من اعطاء أومنع أوضر أونفع قال الشاذلى قدس الله سره لما سئل عن الكيمياء اخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك ان يعطيك غير ماقسم لك (فكيف لا يستحي ان يرفعها الى خليقته) فلا يسألون منهم شيأ ولا يرفعون اليهم حاجة لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغنى الحميد فرفع الهمة عن الخلق وعدم التعرض لهم بما يحتاجه سالك هذه الطريق فان من خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها أحرى أن تدام له ولا تسلب عنه والدنس لخلع المواهب حرى أن لا تترك له فلا تدنس ايمانك بطمعك فى المخلوقين ولا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين واتبع ملة ابراهيم فى رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبريل وقال له ألك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فقال له سل الله فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى وخرج بالعارف باقى الفقراء وهم أقسام ثلاثة منهم من يصبر فاذا احتاج سأل الناس وقبل منهم مع كونه لا يرى ان المعطى فيهم الا مولاه ومنهم من لا يسأل واذا اعطى قبل على الوجه المذكور ومنهم من لا يسأل واذا اعطى لا يقبل قال بعضهم وهذا من الروحانيين اذا سأل الله تعالى أعطاه وان أقسم عليه أبر قسمه

والتوحيد لا ينافى ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو مردود ووجه صحة الرد للعطاء عند مشاهدة التوحيد ظاهر اذ لا فرق فى ذلك بين يد المعطى ويد الآخذ فكما يشهد الآخذ يد الله تعالى فى العطاء عند يد المعطى فيأخذ ما يعطاه عند موافقة العلم اتباعا لاذن الله تعالى وأمره يشهد يد الله تعالى فى المنع عند يد نفسه بالرد عند مخالفة العلم فلا يأخذه ولا يقبله اتباعا لنهى الله تعالى عن ذلك وعدم اذنه فيه كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكبش الذى أهدى اليه مع السمن والاقط وكما فعله فتح الموصلى وحسن البصرى رضى الله عنهما مع روايتهما الحديث الذى ذكر فيه أن رد الهدية رد على الله تعالى وقد تقدم ذكره بلفظه فهذا يدفع ذلك الخيال والله تعالى الموفق لصالح الاعمال وانما أطلت الكلام فى هذه المسئلة لان الحاجة ماسة اليها وليعلم من ذلك أن جميع تفاريعها ومسائلها داخل فى كلام المؤلف رحمه الله تعالى على حكم الايجاز والاختصار وكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه ولشيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه فى معنى ماذكره كلام بديع مختصر منتزع من كتاب الله عز وجل نقله عنه فى لطائف المنن قال رضى الله عنه للناس أسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقد جود المؤلف رحمه الله صناعته وأحسن سياقته فى مقصد الارشاد والهداية والله أعلم ۞ (ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته الى مولاه لاكتفائه بمشيئته فكيف لا يستحي أن يرفعها الى خليقته) قد تقدم أن من الادب ترك الطلب والسؤال من الله تعالى اكتفاء بمشيئته ورضا بسابق قسمته وأن العارفين المحققين يستحيون من الله تعالى فى ذلك فكيف لا يستحيون من مولاهم عز وجل عند سؤالهم للمخلوقين وهل أدبهم فى ذلك واستحياؤهم من ربهم الا واجب عليهم فلا يسألون منهم شيأ ولا يرفعون اليهم حاجة لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغنى الحميد وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدين همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه مامن نفس ولا قلب الا والله مطلع عليه فى ساعات الليل والنهار فايما نفس أو قلب رأى فيه حاجة الى سواه سلط عليه ابليس وقال الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو كثرت الا من الله سبحانه وتعالى مثل موسى عليه الصلاة والسلام اشتاق الى الرؤية فقال رب أرنى أنظر اليك واحتاج مرة الى رغيف فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وذكر الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ان بعض الفقراء كان يأتى كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما يطوف ماشاء الله تعالى ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء بعض من يرمقه ونظر فى الرقعة فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا قال فكان الرجل أصابته الفاقة فصبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات وقال أبو بكر الجوهرى رحمه الله تعالى كنت بعسقلان

على برج احرس فرّبى رجل عليه جبة صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعانقته وأجلسته وجاريت معه فى فنون من العلم وكان قدماه حافيتين فقلت له لم لا تسأل أصحابنا فى نعل تقيك من الحفاء فقال يا أخى لرد أمس بالحبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال أهون على من موقف السؤال وارتجائى من المخلوقين النوال ثم أخرجنى من باب المدينة فانتهى بى الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوب كل من كد يمينك وعرق جبينك فان ضعف يقينك فاسأل المولى يعينك قال فى التنوير واعلم رحمك الله أن رفع الهمة اسالكى طريق الآخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم أزين لهم من الحلى للعروس وهم أحوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها فحرى بأن تدام له ولا تسلب عنه والمدنس لخلع المواهب حرى أن لا تترك له فلا تدنس أيها الاخ ايمانك بطمعك فى المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين وكن أيها الاخ ابراهيميا فقد قال أبوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا احب الآفلين وماسوى الله آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه ملة أبيكم ابراهيم أى اتبعوا ملته فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم ومن ملته رفع همته عن الخلق فانه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبريل عليه السلام فقال له ألك حاجة فقال له أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال فاسأله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى ربه أقرب اليه من جبريل عليه السلام ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وأنعم عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة كل ماشغل عن الله وصرف الهمة بالرد الى الله لقوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو فى الياس من الناس ولقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه ايست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لنفسى ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وهذا هو الكيمياء والاكسير الذى من حصل له يحصل له غنى لا فاقة بعده وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو كيمياء اهل الفهم عن الله قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه صحبنى انسان وكان ثقيلا على فبسطته يوما فانبسط فقلت له يا ولدى ما حاجتك ولم صحبتنى فقال يا سيدى قيل لى انك تحسن الكيمياء فصحبتك لا تعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكنى اخالك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت انهم لا يستطيعون أن يشوكونى بشوكة لم يردنى الله بها فقطعت نظرى عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون أن ينفعونى بشئ لم يردنى الله به فقطعت نظرى عنهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لى انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع يأسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك فى الازل وقال مرة أخرى للسائل عن الكيمياء أخرج الخلق من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك

غير ماقسم لك قال وليس يدل على فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على
نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية
الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم عن الله والفهم
هو ماذكرناه من الاعتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام
بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام صاحب
التنوير وهو من الكلام النفيس الخطير وأنت رحمك الله اذا تأملته بعين بصيرتك
ناصحا لربك فى علانيتك وسريرتك علمت منه ان ما تضمنه عظيم الموقع وانه مستحسن منا
ايراده فى هذا الموضع اذ هو منوط بالايمان والتوحيد محتاج اليه كل سالك ومريد فمن
راعاه حق رعايته وصرف الى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بمحاسن الايمان
وكان من ولاية الله تعالى بمكان ومن أهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه خيف
عليه الوقوع فى الشرك الخفى والجلى واستحق بذلك ان يطرد عن باب مولاه العلى
فيقوى طمعه فى الخلق ويضيق عليه متسعات أبواب الرزق كما قال بعض العارفين
المكاشفين رضى الله عنه قيل لى فى نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة الى غيرى
فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك عن حدك فى عبوديتك انما ابتليتك
بالفاقة لتفزع الى منها وتتضرع بها لدى وتتوكل فيها على سبكتك بالفاقة لتصير
ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسى بالغنى فان
وصلتها بى وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيرى قطعت عنك مواد معونتى وحسمت أسبابك
من أسبابى طردا لك عن بابى فمن وكلته الى ملك ومن وكلته اليه هلك انتهى
ومنهم من يأنف من قبول الرفق على ايدى الخلق وترتفع همته عن ذلك وان لم يكن
سؤال ولا طلب * يحكى عن حماد بن سلمة رحمه الله أنه قال كان فى جوارى امرأة أرملة
لها ايتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعتها تقول يارفيق ارفق قال فخطر ببالى انها
أصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس المطر فحملت معى عشرة دنانير ووقفت عليها الباب
فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر ودفئ الصبيان
فقلت خذى هذه الدنانير وأصلحى بها بعض شأنك قال فصاحت بنية لها خماسية أتريد
يا حماد أن تكون بيننا وبين معبودنا واسطة ثم قالت لامها لما رفعت صوتك باظهار السر
علمت ان الله يؤدبنا باظهار الرفق على يدى مخلوق وذكر الشيخ عبد الرحمن السلمى عن ابن
عباس بن دهقان قال كنت عند بشر بن الحرث رضى الله عنه وهو يتكلم فى الرضا والتسليم
فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا أبا نصر انقطعت عن أخذ البر من أيدى الخلق
لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من أيديهم لينمحى جاهك
عندهم واخرج ما يعطونك الى الفقراء وكن بعد التوكل تأخذ قوتك من الغيب

فاشتد

(اذا التبس عليك) أيها المريد (أمران) واجبان اومندوبان فلم تدر أيهما أولى أن تشتغل به كطلب مالا بدّ منه من العلم والسعي على العيال وكطلب علم زائد على مالا بدّ منه واشتغال بنوافل وكصلاة النوافل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) أي أولى لانها مجبولة على الجهل فشأنها أبدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فاذا وجد المريد من نفسه خفة وميلا عند بعض الاعمال دون بعض اتهمها وترك ما خف عليها ومالت اليه وعمل بما استثقلته فان عمل بالأخف كان ذلك معدودا عندهم من نفاق القلب هذا ان لم تصر نفسه مطمئنة فان صارت كذلك عمل بما خف عليها ومالت اليه لكن ينظر حينئذ الى ما هو أكبر فائدة وأعظم مزيدا في حاله فيقدمه على غيره وهناك ميزان آخر تميز به الاولى من غيره مما التبس عليك وهو ان تقدر نزول الموت بك فأي عمل سرك ان تكون مشغولا به اذ ذاك فهو حق وما عداه باطل فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة حظ النفس واتباع الهوى فاذا التبس عليك الاشتغال بالعلم أو بطريق القوم فانظر أيهما تحب ان تكون عليه حال خروج روحك فاشتغل به فان كنت تحب أن تخرج روحك وبيدك الكراس لاخلاصك في طلب العلم وقصدك به وجه الله فاشتغل به وان كنت تكره ذلك وتحب ان تكون في ذلك الوقت مشتغلا بذكر الله مثلا لا بطلب العلم فلا تطلب العلم بل اشتغل بغيره لان ذلك دليل على عدم اخلاصك فيه والكلام في القدر الزائد على مالا بد منه من العلم

فاشتد ذلك على أصحاب بشر فقال بشر اسمع أيها الرجل الجواب الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فذلك من الروحانيين اذا سأل الله تعالى أعطاه وان أقسم على الله ابر قسمه وفقير لا يسأل وان أعطى قبل فذلك من أوسط القوم عقده التوكل والسكون الى الله تعالى فهو ممن توضع له الموائد في حظيرة القدس وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة سؤاله صدقه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك * وقال رضي الله عنه

(اذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا) هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة على الجهل والشره فشأنها أبدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون القلب الى النفس هو اتباعه للأخف عليها دون الاثقل وهو معدود عندهم من نفاق القلب ومن بقي عليه شيء من دواعي الهوى وان قل لا يؤمن عليه من مثل هذا لأن خفة العمل على النفس انما تكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل فاذا التبس عليك أمران واجبان أو مندوبان ولم تعلم أيهما أوجب أو أفضل لتقدمه على الآخر فانظر أثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره فقد يخف عليها العمل ولا يدل ذلك على أنه باطل فليكن نظر العبد حينئذ الى ما هو أكثر فائدة وأعظم مزية فليقدمه على غيره * وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه حكاية عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده أخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا نأكل ان لم تأكل فقال أنتم أعلم اما أنا فغير آكل ثم انصرف قال فكرهنا ان نأكل دونه فقلنا ادعوا لنا الشواء فسألناه عن أصل هذا الحمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأله عنه حتى اقر أنه كان ميتة وأن نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق انكم اشتريتموه قال فرميناه للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسألته لاي معنى تركت أكله وبأي عارض فقال أخبرك ما شرهت نفسي الى طعام منذ عشرين سنة للرياضة التي ريضتها به فلما قدمتم الي هذا شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت

ان فى الطعام علة فكرهت أكله لاجل شدة شره النفس اليه قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه فانظر رحمك الله كيف اتفقا فى شره الناس على قصة واحدة ثم اختلفا بالتوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة أعنى البائع للجهل وعصم الآخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه بصدق المشترى وحسن نيته انتهى وثم ميزان آخر اصح وأكثر تحقيقا من الاول وهو أن يقدر نزول الموت به فأى عمل سره أن يكون مشغولا به اذذاك فهو حق وما عداه باطل قال فى لطائف المنن والموت ميزان على الافعال والاحوال كما هو ميزان فى دائرة الوقت أما الوقت فكما تقدم يعنى انه علامة صحة مرتبة الولاية وأما الافعال والاحوال فاذا التبس عليك أمر لا تدرى هل يرضى الله فعله أو تركه أو حالة أنت بها لا تدرى هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بهوى فأورد الموت على ما أنت فيه من أفعال وأحوال فكل حالة وعمل تثبت مع تقدير وروده الموت عليها ولم تنهزم فهى حق وكل حالة وعمل هزمها الموت فهى باطلة اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله عزوجل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما كنت فيه قائما بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق (قال) وقد تجاذبت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم فى أنه ينبغى اخلاص النية فيه وأنه لا يشتغل به الا لله تعالى فقلت له الذى يقرأ العلم لله هو الذى اذا قلت له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده انتهى قلت وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد فى هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء ومما زجة حظ النفس واتباع الهوى فهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتم له ذلك الا أن يتحقق بما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر الامل الذى هو أصل حسن العمل وهو أن لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه حيا وعند ذلك يخلص عمله من الآفات ويتطهر من أنواع الرعونات لان توقع الموت فى كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لم يسلم مما ذكرناه فاذا بعد من الاخلاص من يأخذ فى علم غير متعين عليه الاخذ فيه لا يجتنى ثمرته الا فى ثانى حال ويكون فى الحالة الراهنة متمكنا من ايقاع طاعة تزيد مصلحتها على مصلحة ما أخذ فيه من العلم فيفوز بثوابها ويتنجز له حصول التقرب بها الان فى ذلك فوت نفسه وفارة حظه وآية ذلك أنه قد يعرض له فى حال أخذه فيه غرض دنيوى يكون احتظاء نفسه به أكثر فيقدمه على ما كان آخذا فيه ويتشاغل به من غير مبالاة بما يفوته من ذلك وانما عبرنا بلفظ الاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله ولالله مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور أكثر

الخلق فى علومهم وأعمالهم الامن رحم الله تعالى ولهذا نشاهد أكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما أسلفوه من عمل ويودون ان لو أنسى لهم فى الاجل وهيهات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة فى زمان المهلة فانها مبدأ كل عمل فاسد ومنشؤ وجود الغرة والجهالة لكل عالم وعابد وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات الصالح ليقدم الفاضل فيها على المفضول لا يصلح الالمن أيده الله بنور اليقين وجبله على النصيحة له فى الدين وكان له حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه فى كل ورد وصدر ولا شك أن هذه المرتبة عزيزة المنال متعذرا دراكها الاعلى الآحاد من الرجال وسبيل من لم يصل اليها ممن ذكرناه اذا كان منصفا أن يستعين بنظر من هو اصح منه حالا وأصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع أموره اليه ويعتمد اشارته فى كل ما يشير به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحدسه ومن لم يكن منصفا فالكلام معه هذيان فاسد وضرب فى حديد بارد وسيأتى مزيد تنبيه على غرور الآخذين فى العلم فى موضع أليق من هذا والله ولى التوفيق ﴿من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات﴾ هذه من الصور التى يتبين بها خفة الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال أكثر الناس فترى الواحد منهم اذا عقد التوبة لا همة له الا فى نوافل الصيام والقيام وتكرار المشى الى بيت الله الحرام وما أشبه ذلك من النوافل وهو مع ذلك غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا انهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التى خدعتهم ولم يحظوا بمجاهدة أهوائهم التى استرقتهم وملكتهم ولو أخذوا فى ذلك لكان لهم فيه أعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشئ من الطاعات والنفل قال بعض العلماء من كانت الفضائل أهم اليه من أداء الفرائض فهو مخدوع وقال محمد بن أبى الورد رضى الله عنه هلاك الناس فى حرفتين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه وانما حرموا الوصول بتضييعهم الاصول (وقال) الخواص رضى الله عنه انقطع الخلق عن الله بخصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا أعمالا بالظاهر ولم يأخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله أن يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق * قال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله عنه فأفضل شئ للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه لحاله التى أقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه المنهى عنه بعلم يدبره فى جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى فى ذلك ولا يشتغل بطلب نفل حتى يفرغ من فرض لان النفل لا يصح الا بعد حوز السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حوز رأس المال فتى تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد والى الاغترار أقرب انتهى وقال رضى الله عنه ﴿قيد الطاعات باعيان الاوقات كى لا يمنعك عنها وجود

(من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات) أى العبادات (والتكاسل عن القيام بالواجبات) فهذا من الصور التى يخف فيها الباطل ويثقل فيها الحق وانما كانت النوافل تخف على النفس دون الفرائض لان العادة انه لا مزية فى القيام بالفرائض لاستواء الناس كلهم فيها بخلاف النوافل فانها تذكر بها ويحصل لها بها مزية وجاه ومنزلة فى القلوب وهذا هو حال أكثر الناس فتجد الواحد منهم اذا اعتقد التوبة أى صمم عليها لا همة له الا فى نوافل الصيام والقيام وتكرار المشى الى بيت الله الحرام وما أشبه هذا من النوافل ومع ذلك هو غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذاك الا انهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التى خدعتهم ولم يعتنوا بمجاهدة أهوائهم التى أسرتهم وملكتهم (قيد) الله تعالى (الطاعات) الواجبة عليك كالصلوات الخمس (بأعيان الاوقات) أى بأوقات معينة ولم يطلق وقتها (كى لا يمنعك عنها وجود

التسويف) فانه تعالى لو أطلقها ولم يعين لها أوقاتا لحملك التسويف على تركها فانك تتكاسل وتقول حتى أفرغ من حاجتي أصلي لاتساع وقتها فربما مضى يومك أوليلتك ولم تفعلها بخلاف تقييدها بأوقات معينة فان ذلك يلجئك الى تحصيلها ويحجزك عن تفويتها (ووسع عليك الوقت) أي وسع اوقاتها عليك ولم يضيقها (كي تبقى لك حصة الاختيار) فيمكنك فعلها في أول وقتها او وسطه او آخره ولا تعد من المضيعين لها اذا أتيت بها في آخر وقتها مثلا ولتتمكن ايضا من الاتيان بها على الوجه الاكمل وهو مواطأة القلب للجوارح فان الوقت اذا كان متسعا يمكنك أن تخلى عن الشواغل والقواطع المانعة من استجماع الفكر والحضور مع الله تعالى حال العبادة واستعمال الآداب اللائقة بين يدى الله تعالى حينئذ (علم قلة نهوض العباد الى معاملته) أي الاقبال عليه بطاعته والقيام بحقوق ربوبيته طوعا منهم لما هم عليه من وجود الضعف ولما في نفوسهم من وجود الكسل (فأوجب عليهم وجود طاعته) اى ألزمهم بذلك قهرا عنهم وخوفهم بدخول النار ان لم يفعلوها (فساقهم اليه) اى الى الاقبال عليه بطاعته وفي نسخة اليها اى الى الطاعة (بسلاسل الايجاب) اى الايجاب الشبيه بالسلاسل اللاتى توضع في عنق الاسير يجره بها قهرا عنه من أسره الى الموضع الذى يريده وكذلك الايجاب يسوقهم الله تعالى به الى الطاعة التي يحصل لهم بها ٣٨ ما يسرهم في المستقبل وان كانت شاقة عليهم في الحال فهو يفعل بهم كما يفعل الولي بالصبي الاتراه كيف يؤدبه ويضربه على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزمه أمورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك لاجل تحصيل منافعه في المستقبل الذى هو جاهل بها الآن فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا (عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل) كما يفعل باسارى الكفار حين يراد منهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا معنى حديث قاله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر ولفظه عجب الله من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل والعجب والتعجب استعظام امر خفي سببه وهو مستحيل عليه تعالى فمذهب السلف يقولون ان لله عجبا ولا نعلم حقيقته وهو منزه عن معناه المشهور والخلف يؤولون ذلك فيقولون معنى التعجب المنسوب الى الله اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة شانها أن يسارع اليها نفاستها وهؤلاء يرغبون عنها ويمتنعون منها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقادون الى الامر المكروه وقيل المراد بالتعجب لازمه وهو الاحسان الى المتعجب منه فانك اذا قلت ما اعلم زيدا يلزمه انك تريد الاحسان اليه واكرامه فالمعنى احسن ربك الى هؤلاء القوم حيث دعاهم الى الجنة وساقهم اليها كرها وهذا في حق العامة اما الخاصة فلا يحتاجون الى الايجاب والتخويف والتحذير لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعات وبغض اليهم العصيان فلم يحتاجوا الى شئ من ذلك لتمام حريتهم من الاغيار التى تملك القلوب فهم ملازمون لطاعته طوعا بل لو اكرهوا على تركها لم يستطيعوا الصبر عنها وفائدة تكليفهم حينئذ اظهار محبتهم كما يأمر الملك وزراءه الملازمين لحضرته بخدمته زيادة في القرب والتشريف

التسويف ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار) انعم الله عليك فيما أمرك به من الطاعات المؤقتة بالاوقات بنعمتين عظيمتين احداهما تقييدها لك باعيان الاوقات لتوقعها فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا لسوفت بها ولم تعمل بها حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسيع أوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تأتى بالطاعات في حال سكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فلله الحمد على نعمه ❁ (علم قلة نهوض العباد الى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليها بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل) لما علم الله تعالى قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية في حال طواعية منهم اذ في ذلك قرة أعينهم وغاية نعيمهم أوجب عليهم وجود طاعته على حال كراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا فساقهم بسلاسل تخويفه وتحذيره اليهم واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به وفعل بهم ما يفعل بالصبي الاتراه كيف

يؤدب

يؤدب ويضرب على استرساله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم أمورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التي هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما فعل باسارى الكفار حين يراد بهم الدخول في الاسلام فيقادون الى الجنة بالسلاسل في رقابهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا عجب الله من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف رحمه الله بالسلاسل والسوق بها واستعماله ذلك في التكاليف الواجبة التي ألزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو أبو خراش الهذلي

وليس كعهد الدار يا أم مالك * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى مقصوده في غاية الحسن * قال بعض العلماء يجوز أن يكون معنى التعجب المنسوب الى الله تعالى فيه اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشأن وهو ان الجنة التي أخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم والخلود فيها الذي من حكم من سمع به من ذوي العقول أن يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشقات لينالها هؤلاء يمتنعون عنها ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم الذي تنفر منه الطباع وتألم منه الابدان وتكرهه النفوس وقد قرأ جماعة من القراء بل عجبت ويسخرون بضم التاء وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة في قصة الانصاري الذي قال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور فالعجب منسوب الى الله تعالى وقد ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية ﴿(أوجب عليك وجود خدمته وما أوجب عليك الا دخول جنته) هذه عبارة حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود من هذا كله الاعلام بأن الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما أوجبها عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير قلت وما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هو حال عامة الناس الذين من شأنهم التأبي وعدم الانقياد للاوامر والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والموالاة للحض والمبالغة في التنكير وأما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شئ من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل أضافوا الى ذلك المبادرة الى أعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت أعمالهم كلها قربات وذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه * (قال) في التنوير وانما جعل الحق سبحانه الايجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف وعا

(أوجب عليك وجود خدمته) في الظاهر (وما أوجب عليك) في الحقيقة ونفس الامر (الا دخول جنته) لانه تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وانما أوجب الاعمال عليهم لما يرجع اليهم من مصالحهم وهو دخول الجنة لا ليحصل له شرف بذلك وهذا تصريح بما علم قبله لان حاصله انه تعالى انما أوجب على عباده طاعته لقلة نهوضهم اليها فساقهم اليها بسلاسل الايجاب وسوقهم اليها بذلك انما هو لأمر يرجع اليهم وهو دخول الجنة بدليل الحديث وهو عجب ربك الخ فقول المص الى أن سوقهم الى طاعته وهو ايجابها عليهم سوق الى الجنة فلم يوجب عليهم الا دخولها وهو ما صرح به هنا

(من استغرب أن ينقذه الله من شهوته) التي استرقته (وان يخرجه من وجود غفلته) التي استولت عليه أي من استحكمت فيه الشهوة والغفلة واستغرب أن يخرجه الله منهما (فقد استعجز) أي فكأنه استعجز (القدرة الالهية) أي المنسوبة الى الاله وفي بعض النسخ قدرة الالهية أي نسبها الى العجز (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أي مع أنه تعالى وصف نفسه بالاقتدار على كل شيء واخراجه من ذلك من جملة الاشياء فينبغي له ان يقصد باب مولاه بالذلة والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تؤثر عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بدايتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله بلطفه واصلح أعمالهم وصفى أحوالهم كفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي عقال بن علوان وغيرهم رضي الله عنهم

نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما أوجبه لانه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا به قائمين الا القليل الا وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفي التحقيق ما أوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله انا تلمحنا الواجبات فرأينا الحق سبحانه جعل في كل ما أوجبه تطوعا من جنسه في أي الانواع كان ليكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل في قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث أنه ينظر في مفروض صلاة العبد فان نقص منها شيء كمل من النوافل فافهم رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل لتكن فيك ناهضة حب توجب اكبابك على معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحزره حازر فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمهيئ لهم أسباب المواصلة قال واعلم ان الحق سبحانه علم ان في عباده ضعفاء وأقوياء فأوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما أوجب والترك لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فتفاهم كمثل العبد يعلم السيد منه أنه ان لم يحاججه لم يهد اليه شيأ فلذلك وقت سبحانه الاوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة ظل كل شيء مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع وآتوا حقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيما فسحة الحظوظ والسعي في الاسباب وأهل الله هم أهل الفهم عنه جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا الى الله تعالى قاصدا فعلموا أن الوقت كله لله فلم يجعلوا شيأ منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة ان تستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا أن الانفاس أمانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا اهممهم لذلك وكما أن له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته غير مؤقتة بالاوقات فحقوق ربوبيته عليك ينبغي أن تكون ايضا كذلك * لذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ان لكل وقت سهما يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى ﴿من استغرب ان ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ من استرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له أن يستغرب أن ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من الاشياء وليعلم العبد ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب

مولاه

مولاه بالذلة والانكسار والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بداياتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح أعمالهم وصفى أحوالهم وأبدل سيآتهم حسنات ورفعهم من أسفل سافلين الى أعلى الدرجات كل ذلك في أقرب زمان وأقصر مدة وأوان والحكايات في هذا المعنى عن الشيوخ مثل سيدى الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبى عقال بن علوان وغيرهم رضى الله تعالى عنهم معروفة مشهورة * ومن أغرب ما رأيته في هذا المعنى ما رواه عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب بن منبه رضى الله عنهما ان رجلا قتل نفسا فجاء الى سائح من سائحى بنى اسرائيل فسأله عن ذلك قال فرفع له السائح من الارض عرجونا أبيض قد يبس اثلاثا ثم قال له اذا اخضر هذا العرجون قبلت توبتك وأراد السائح بذلك أن يؤيسه من التوبة لعظم ذنبه فأخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويده وحتى اخضر ذلك العرجون باذن الله تعالى وقدرته وأغرب من هذا وأعجب ما اخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد اهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لى من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا اتى نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمى فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه ملك الموت نأى بصدره * (وقال) عيسى بن دينار كان يقال ما وفق الله عبد العمل الا وهو يريد أن يقبله منه ولا وفق الله عبد النزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفر له * وقد ذكر القاضى يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبب والتيسير لصالح العمل أنه اخبره ثقة من اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب تجمعه بهم مجالس مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له ما يمنعك من اجابتنا فقال دخلت البارحة في الاربعين وانا استحى من سنى ثم لزم الخير والعبادة (قال) وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه ايضا عن مغيث بن سمى قال كان رجل من بنى اسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو يسير ذات يوم ذكر

(ربما اوردت الظلم) اى الشهوات والمعاصى والغفلات (عليك ليعرفك) حال ورودها (قدر مامن الله (به عليك) أى ما كان قد من الله به عليك سابقا من الانوار والاقبال على مولاك فتحمده عليها واذا رجعت الى حالك عرفت أن ذلك نعمة عظيمة فيكثر منك الحمد والشكر فقد صارت النقمة نعمة وقد يكون سبب ورودها ما حصل منك من الاعجاب بطاعتك فيوردها عليك لتعرف قدرك ولا تتعدى طورك فلا تتكبر ولا ترى نفسك على أبناء جنسك وهذه نعمة أيضا وقد ترد عليك عقوبة وامتحانا وعلامة ذلك انك كلما خرجت من معصية وقعت فى أخرى وهكذا ولا توفق للتوبة ولا تعتقد التقصير من نفسك (من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) هذا تعليل لما قبله كأنه قال انما كان ورود الظلم معرفا بقدر النعم لان الاشياء انما تتبين باضدادها فعند وجود النقيض يظهر فضل المناقض فانما يعرف قدر نعمة البصر مثلا من ابتلى بالعمى وقد قيل انما يعرف قدر الماء من ابتلى بعطش البادية لا من كان على شاطئ الانهار والاودية الجارية

ماسلف من عمله فقال اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر فيه أيضا عن رجل من العلماء انه رأى فى منامه شيخا وجماعة من الشعراء قد احدقوا به يسألونه قال فقلت له أيها الشيخ أخبرنى باحكم بيت قالته العرب فانشدنى

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

قال فوالله لقد نفعنى الله عز وجل بهذا البيت ماذكرته بعد ذلك عند شهوة أو خطيئة الا ارتدعت عنها وأرجو أن لا يفارقنى الانتفاع به ما بقيت ان شاء الله تعالى وفى الكتاب المذكور حكايات مستحسنات فى هذا المعنى فطالع ذلك فيه والله المستعان الموفق لا رب غيره ﴿(ربما اوردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك) الظلم اضداد الانوار فما من نور الا وفى مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها والشئ يعرف بضده كما قيل

وبضدها تتبين الاشياء * فما أورده عليك من ظلمات الحجبة والغيبة فى ليالى الهجر والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من انوار التجلى والحضور فى نهاية القربة والوصلة فجميع ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك ﴿(من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) أكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سرى السقطى رضى الله عنه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم * وقال الفضيل رضى الله عنه عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال آخر شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفى معنى هذا قيل انما يعرف قدر الماء من بلى بالعطش فى البادية لا من كان على شاطئ الانهار الجارية وقيل ايضا الولد العاق المصر على تأبيه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة أبيه وقيل نعم الله مجهولة وتعرف اذا فقدت ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفنا ايها بزوالها قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العبد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل منا لئلا نزدرى نعمة الله علينا والسعيد من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو هريرة رضى الله عنه انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وروى ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه قال الشيخ ابو حامد رضى الله عنه وكان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى فيشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم فى التعرض لاقامة العقوبات ويحضر المقابر فيشاهد اصحاب العزاء وتأسفهم على ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه فى تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خيثم رضى الله عنه حفر فى داره

قبرا

(لاتدهشك واردات النعم) أى النعم الواردة أى المترادفة عليك (عن القيام بحقوق شكرك) أى شكرك المولى عليها بان ترى عجز نفسك عن توفية ذلك فتترك الشكر (فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) أى ان الله تعالى قد رفع قدرك وجعل القليل منك كثيرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فلا تبخس نفسك (٤٣) حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر بسبب كثرة النعم وذلك من الجهل كما لو ترك الشكر عليها لاستقلالها فى نظرك فالحامل على ترك الشكر على النعمة أحد أمرين وكل منهما مذموم ومن شكر اللسان ذكر الله ومنه الباقيات الصالحات التى تذكر عقب الصلوات (تمكن حلاوة الهوى) الهوى ميل النفس والمراد به الهوى وهو الشهوات أى تمكن حب شهوات الدنيا (من القلب هو الداء العضال) أى الذى لا تنفع فيه الحيل والاسباب والادوية كالايمان والمعرفة واليقين فان الداء اذا تمكن من القلب لم يبق للدواء محل فلذا أعضل أمره وتعذر برؤه فلا يفيد فيه الا وارد الهى كما أشار اليه بقوله (لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج) يرد على القلب من شهود صفات الجلال ومنشؤه النظر فى الآيات المحتوية على ما أعد للعصاة وتذكره نزول الموت به ودخوله للقبر وحده وسؤال الملكين مع أهوال الحشر والمعاد الذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ويجعل الولدان شيبا الى غير ذلك (أو شوق مقلق) يرد على القلب من شهود صفات الجمال ومنشؤه النظر فى الآيات المحتوية على ما أعد لاهل الطاعات وتذكر ما أعد لاوليائه من النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى غير ذلك والمواظبة على حضور مجالس الذكر والتذكير علاج كبير ونفع كثير فى حصول ذلك اذ لا يزال ذلك يعمل فى القلب شيأ فشيأ الى أن يسكنه الخوف والشوق أما اذا لم يكن الاول مزعجا والثانى مقلقا فلا يفيدان تركا ولا توجها

قبرا وكان يضع فى عنقه غلا وينام فى لحده ثم يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديثين المذكورين ولا طريق للعبد الغافل الى تعرف النعم الموجودة لديه أبلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى عليه اشتغل بالشكر عليها من قبل أن تزال عنه فلا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ۞ (لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك) اذا ترادفت نعم الله تعالى عليك فلا ينبغى أن تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك وأن لا قبل لك به فتتركه فان الله تعالى رفع قدرك وأعلى امرك وجعل القليل منك كثيرا وأشهدك من حسن توليه لك ونسبة أفعالك اليه ما يؤذن بعظم سيادتك ورفعة قدرك فلم تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الامر لا على وجه الادب والاتيان من الشكر بما وجب كان الامر فى ذلك اليها * قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما من نعمة الا والحمد أفضل منها والنعمة التى الهم بها الحمد أفضل من الاولى لان بالشكر يستوجب المزيد وفى أخبار داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافئك فأوحى الله تعالى اليه يا داود انى أعطى الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم أن ما بك من نعمة فمنى وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اليه انى بأرض قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على من قبلى ضعف الشكر فكتب اليه عمر انى كنت أراك أعلم بالله فان ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله تعالى عليها الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا فى كتاب الله المنزل قال الله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده الخ واى نعمة اعظم من دخول الجنة ۞ (تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هى الادوية لامراضه التى اوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء من القلب لم يبق للدواء محل فلذلك اعضل امره وتعذر برؤه ۞ (لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق) الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها الا وارد قوى قاهر غالب

(كما لا يحب العمل المشترك) وهو المشوب بالرياء والتصنع (كذلك لا يحب القلب المشترك) وهو الذي فيه محبة غير الله والسكون اليه والاعتماد عليه ولما كانت المحبة بمعنى ميل القلب مستحيلة في حقه تعالى أولها على طريقة الخلف بقوله (العمل المشترك لا يقبله) أي لا يثيب عليه لعدم الاخلاص فيه فعدم محبته بمعنى عدم اثابته عليه (والقلب المشترك لا يقبل عليه) أي لا يرضى عن صاحبه ولا يثيبه لعدم وجود الصدق منه فعدم محبته بمعنى عدم الرضا عن صاحبه وعدم اثابته فمن صحح أعماله بالاخلاص

وأحواله بالصدق كان محبوبا لله أي مثابا مرضيا عنه والافلا اما السلف فيثبتون لله محبة لكن لا نعلم حقيقتها (أنوار اذن لها في الوصول وأنوار اذن لها في الدخول) أي الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب وهي معارف واسرار الهية تنقسم الى قسمين أنوار اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد القلب معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وتارة يحب آخرته وتارة يحب دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع ربه ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه ثم فرع على ما تقدم بقوله (ربما وردت عليك الانوار) أي العلوم والمعارف الالهية (فوجدت القلب محشوا بصور الآثار) أي معلقا بصور المكونات من اموال وأولاد وغيرهما (فارتحلت من حيث نزلت) اى من المكان الذي نزلت فيه وهو القلب لانها طاهرة مقدسة فلا تحل في القلب المدنس بالاغيار (ففرغ قلبك من الاغيار) اى التعلق بغير مولاك وامح عنه صور الآثار بأن لا تتوجه بسرك الى غير ربك فلا يكون لك انس الا به ولا اعتماد الا عليه (يملأه بالمعارف والاسرار) قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وتقدم في كلام المصنف كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته واذا كان كذلك

يرد عليه وذلك اما خوف مزعج أو شوق مقلق وما عدا هذين الامرين لا استقلال له بذلك

۞ (كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه) العمل المشترك هو المشوب بالرياء والتصنع والقلب المشترك هو الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل المشترك معتل بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك معتل بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله ولا يثيب عليه لفقد الاخلاص منه والقلب المشترك لا يحبه ولا يقبل عليه ولا يرضى عنه لعدم وجود الصدق فيه فمن صحح أعماله بالاخلاص وأحواله بالصدق كان محبوبا لله تعالى مثابا مرضيا عنه والافلا وقال رضي الله عنه ۞ (أنوار اذن لها في الوصول وأنوار اذن لها في الدخول) الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين أنوار اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وأنوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل لآخرته وطورا يعمل في أمور دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه * قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب أبغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ آخر اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني اعلى الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان في باطن القلب وكان في سويدائه أحبه الحب البالغ * قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه ومحنة العبد ذلك أن ينظر فان كان يؤثر الله تعالى على جميع هواه ويغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله هي محبة العبد من كل شيء فهو محب لله تعالى حقا كما أنه مؤمن به حقا وان رأيت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك * قال بعض العلماء ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه مكان الايمان ففي ههنا تفاوت المحبون في المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر ۞ (ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت ففرغ قلبك من الاغيار يملأه بالمعارف والاسرار) الانوار الالهية قد ترد على القلب فلا تجد

فيه موضع الاستقرار ها لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه من صور الآثار الكونية فترتحل من حيث تنزل لانها مقدسة مطهرة فاذا أردت حلول الانوار فيه وتجلى المعارف والاسرار له ففرغه من الاغيار وامح عنه صور الآثار قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته ﴿لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال﴾ تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب ربك بتأخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك والعبارتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا ﴿حقوق فى الاوقات يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه﴾ الحقوق الكائنة فى الاوقات هى وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما فمن فاته شئ منها فى وقته المعين له أمكنه قضاؤه فى وقت آخر اذ قد جعل له فى ذلك مجال رحب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق المضافة الى الاوقات هى المعاملات الباطنة التى تقتضيها أحوال العبد وواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى على كل عبد عند كل حال يحل به وارد يرد عليه حق جديد وامر أكيد ولا يسعه الآن وفيه اذ ذاك فانه لم يجد مجالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد أن يكون مراقبا لقلبه حتى يقوم بمراعاة تلك الحقوق التى لا يمكنه قضاؤها ان فاتت * قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله تعالى عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضا رضا النفس عن الله والصبر مشتق من الاصبار وهو نصب الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدى الرب وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا له يارسول الله فقال أولئك لهم الامن وهم مهتدون أى لهم الامن فى

فلا تستبطئ منه النوال) أى اعطاء المعارف والاسرار (ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال) عليه بمحو صور الاغيار من مرآة قلبك بالمجاهدة والرياضة ثم قال (حقوق) كائنة (فى الاوقات) أى الازمنة وتلك الحقوق هى وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما (يمكن قضاؤها) أى ان من فاته شئ من ذلك فى وقته المعين له امكنه قضاؤه فى وقت آخر (وحقوق الاوقات) هى ما يرد على العبد من قبل الرب من الاحوال فوقت كل عبد ما هو عليه من تلك الاحوال وأوقاته أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية وسمى ما ذكر وقتا لانه يرد فى وقت مخصوص تسمية للشئ باسم زمنه وحقوقها الواجبة عليك فيها هى المعاملات الباطنية التى تقتضيها تلك الاحوال فحقه عليك فى النعمة الحمد والشكر وفى البلية الصبر والرضا وفى الطاعة شهود المنة وفى المعصية الاستغفار والتوبة ولذا يقولون الفقير ابن وقته أى يتأدب معه ويعطيه حقه كما يتأدب الولد مع أبيه وتلك الحقوق (لا يمكن قضاؤها) اذا فاتت (اذ ما من وقت) أى حال (يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد) هو بمعنى ما قبله أى فلا يسعك الآن توفى حقه فيمنعك اشتغالك بحقه عن اشتغالك بحق ما فاتك ولذا قال (فكيف تقضى فيه حق غيره) مما فاتك (وأنت لم تقض حق الله فيه) وهو الحق المتعلق بذلك الوقت ولو قال وانت لم تقض حق ذلك الوقت لكان أوضح وحينئذ يجب عليك أن تكون مراقبا لقلبك حتى تقوم بمراعاة تلك الحقوق التى لا يمكنك قضاؤها ان فاتت ولا تشغل اوقاتك بشهوات نفسك ورعونات بشريتك حتى تضيع حقوق الله الواجبة عليك التى ليس لها خلف يقوم مقامها واذا فاتت لا يمكن قضاؤها ولذا قال

الآخرة وهم المهتدون في الدنيا ﴿ (مافات من عمرك لاعوض له وماحصل لك منه لاقيمة له) عمر العبد ميدان لاعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة وهذه هي السعادة التي لها يكدح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها الا ماسعى كما قال تعالى وأن ليس للانسان الاماسعى فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولاعوض له منه قال الجنيد رضي الله عنه الوقت اذا فات لايستدرك وليس شئ أعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك كبير لايفنى ولاقيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم الا بالجد والتشمير وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقية عمر المرء مالها ثمن يدرك فيها مافات ويحيي ماأمات وقد نظم بعض الشعراء في المعنى رحمه الله وأرضاه فقال

بقية العمر عندي مالها ثمن * وان غدا غير محبوب من الزمن
يستدرك المرء فيها كل فائتة * من الزمان ويمحو السوء بالحسن

وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضي الله عنه وهو يريد الجمعة قف حتى أكلمك فقال له لولا اني أبادر لوقفت لك قال له وما تبادر قال أبادر خروج روحي * وقال الحسن البصري رضي الله عنه أدركت أقواما كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لايخرج أحدكم دينارا ولادرهما الا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لايحبون أن تخرج ساعة من أعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه * وقال السري السقطي رضي الله عنه جزت من بغداد أريد الرباط الى عبادان لاصوم بها رجب وشعبان فاتفق لي في طريقي علي الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت افطاري وكان معي ملح مدقوق وأقراص فقال ملحك مدقوق ومعك ألوان من الطعام لن تفلح ولن تدخل في سنن المحبين فنظرت الى مزود كان معه فيه سويق الشعير فسف منه فقلت ماد عاك الى هذا قال اني حسبت مابين المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وفي الخبر مامن ساعة تأتي على العبد لايذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزانته من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به في الدنيا ساعاته التي لم يذكر الله فيها رآها في الآخرة خزائن فارغة لاعطاء فيها ولاجزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر عليه كيف فاته حيث لم يدخر فيها شيأ فيرى جزاءه مدخورا ثم يلقي في نفسه الرضا والسكون وجاء في الخبر أن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوق اضاءت

(مافات من عمرك لاعوض له) أي لاعودة ولارجوع له فاذا خلا منه من العمل الصالح الذي هو وظيفة ذلك الوقت فاتك من السعادة بقدره ولايمكنك تداركه (وماحصل لك منه لاقيمة له) اي لايمكن أن يقاوم بشئ لعظم قدره لانك تتوصل به اذا اشتغلت بحق الله فيه الى ملك كبير في الآخرة وشرف عظيم كثير لايفنى واذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من أنفسهم لمولاهم الابالجد والتشمير وفي الحديث مامن ساعة تأتي على العبد لايذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة وندامة ويقال ان العبد يوم القيامة تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة جزاء لما كان أودعه في تلك الخزانة من الاعمال الصالحة والتي لم يعمل فيها شيأ يراها فارغة فيتحسر ويندم حيث لاينفعه الندم ثم يلقي عليه الرضا والسكون

منه منازلهم كما يضيء الشمس والقمر لاهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرون الكوكب الدرّى فى أفق السماء وقد فضلوا عليهم فى الانوار والجمال والنعيم المقيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم فى الهواء يزورون ذا الجلال والاكرام فينادونهم هؤلاء يا اخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذى فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال أبو على الدقاق رضى الله عنه روى بعضهم مجتهدا فقيل له فى ذلك فقال ومن أولى منى بالجهد وأنا أطمع أن ألحق الابرار والكبار من السلف قال الله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وفى معناه أنشدوا

السباق السباق قولا وفعلا * حذر النفس حسرة المسبوق

(ما أحببت شيأ الا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا) المحبة للشئ تقتضى الانقياد له وشدة العلاقة به وأن لا يبغى به بدلا كما قيل حبك للشئ يعمى ويصم وذلك معنى استعباده للمحب له فمن أحب غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كائنا ما كان والله لا يحب أن تكون لغيره عبدا ولا يرضى بذلك تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة والزوجة وقال محمد بن السماك كتب الىّ أخ ان استطعت أن لا تكون لغير الله عبدا ما وجدت للعبودية بدا فافعل وقال الجنيد رضى الله عنه انك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشئ مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديتك بقية وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم * ومن الحكايات فى هذا المعنى ما ذكر عن أبى عبد الله الرازى نزيل نيسابور قال كسانى ابن الانبارى صوفا ورأيت على رأس الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت فى نفسى أن يكونا جميعا لى فلما قام الشبلى من مجلسه التفت الىّ فتبعته وكان من عادته اذا أراد أن أتبعه أن يلتفت الىّ فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح عليه القلنسوة ودعا بنار فأحرقهما ومثل هذا مما كان ينكره عليه من لم يعرف مقصوده وفى ذلك شئ كثير ورد عنه

(لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك) الحق تعالى غنى عن أعمال العاملين لانه منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع فى الدارين لا غير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل قال فى لطائف المنن اعلم رحمك الله

(ما أحببت شيأ) من امور الدنيا (الا كنت له عبدا) لان محبتك للشئ تقتضى انقيادك له وشدة علاقتك به وأن لا تبغى به بدلا كما قيل حبك للشئ يعمى ويصم وهذا معنى استعباده لك فان احببت غير الله فقد استعبدك ذلك الغير كائنا ما كان (وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا) اى لا يرضى بذلك وفى الحديث تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والزوجة والخميصة تعس وانتكس وقال الجنيد انك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشئ مما دونه لك مسترق وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية المكاتب عبد ما بقى عليه درهم (لا تنفعه طاعتك) لانه غنى عن العالمين واعمالهم (ولا تضره معصيتك) لتنزهه تعالى عن ان يصل اليه مكروه من خلقه (وانما امرك بهذه) اى الطاعة (ونهاك عن هذه) اى المعصية (لما يعود عليك) من المنافع والمصالح فى الدارين وذلك على سبيل التفضل منه لا على وجه الايجاب عليه

(لايزيد فى عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه) لان عزه صفة من صفاته الجامعة كالالوهية والكبرياء والعظمة وصفاته تعالى فى غاية الكمال والتمام فهى منزهة عن الزيادة والنقصان وهذا تعليل لما قبله من كونه لايعود عليه نفع من عبيده ولا يلحقه ضرر منهم (وصولك الى الله) الذى يشير اليه اهل هذه الطريقة هو (وصولك الى العلم به) اى الى مشاهدته بعين بصيرتك مشاهدة تغنيك عن الدليل والبرهان ويعبر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتجلى وبالفيض الرحمانى والتعرف العيانى (٤٨) والذوق الوجدانى واهل الشهود متفاوتون فمنهم من يحصل له تجلى الافعال وهو اول التجليات عندهم فيفنى فعله وفعل غيره فى فعل الله تعالى فلا يرى فاعلا الا هو ويخرج فى هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه اول مراتب الوصول ومنهم من يحصل له تجلى الصفات فيقف فى مقام الهيبة والانس بما يشاهده قلبه من الجلال والجمال وهذه رتبة ثانية من رتب الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة فيغيب فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين وهو ايضا رتبة فى الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهو من أعلى رتب الوصول قال فى عوارف المعارف فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه فى اول المنزل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لاتنقطع ابد الآباد فى عمر الآخرة الابدى فكيف فى العمر القصير الدنيوى اه (والا) نرد بالوصول ماذكر وهو العلم الحقيقى بالله تعالى بطريق الذوق والوجدان بان اردنا به الوصول المتعارف وهو وصول الذوات والاجسام فلا يصح (جل) اى لانه تعالى (ربنا أن يتصل به شئ او يتصل هو بشئ) لاحسا وهو ظاهر ولامعنى اذ كيف يتصل من لاشبيه له ولانظير له بمن له شبيه ونظير وشرط الاتصال المداناة فى الوصف ولانسبة بين كامل على الاطلاق وناقص على الاطلاق

ان الله لم يأمر العباد بشئ وجوبا أو يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم فى فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شئ تحريما أو كراهة الا والمصلحة لهم فى ترك ما أمرهم بتركه وجوبا أو ندبا واستنانا ولا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق وشرعته المستمر فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعرى اذا قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه ثم انا نظرنا فرأينا كل ما هو واجب أو مندوب اليه يستلزم الجمع على الله وكل منهى عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هى أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها والمعصية هى أسباب التفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها انتهى ۞ (لايزيد فى عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من أدبر عنه) عزة الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته فى غاية الكمال والتمام فهى منزهة عن الزيادة والنقصان وسبقية العلل وقال رضى الله عنه ۞ (وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا أن يتصل به شئ أو يتصل هو بشئ) الوصول الى الله تعالى الذى يشير اليه أهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقى بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السائرين وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه وقال الجنيد رضى الله عنه متى يتصل من لاشبيه له ولانظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لادرك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى صاحب كتاب عوارف المعارف رحمه الله واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليهما الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبة فى الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الافعال وهو رتبة فى التجلى فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج فى هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه رتبة فى الوصول ومنهم من يوقف فى مقام الهيبة والانس بما يكاشفه قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجل بطريق الصفات وهو رتبة فى الوصول ومنهم من يرتقى الى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين وهذه رتبة فى الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى

تخطى

(قربك منه) الذى تشير اليه أهل هذه الطريقة هو (أن تكون مشاهد القربه) منك قربا معنويا فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة فى التأدب بآداب الحضرة (والا) نقل ذلك بل أردنا القرب الذى هو من صفات الاجسام (فمن أين أنت ووجود قربه) قربا حسيا فهذا الابعد (الحقائق) اى العلوم اللدنية التى يقذفها

الله تعالى فى أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحريرهم من رق الاغيار وتعرضهم بسرهم الى نفحات الحق (ترد فى حال التجلى) اى تجلى الله على قلوبهم (مجملة) لاتتبين لهم معانيها ولايدركون جهات حقيقتها لعظم التجلى على قلوبهم (وبعد الوعى) بزوال ذلك التجلى (يكون البيان) أى تتصرف فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل فيتبين لهم معناها ويظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية حتى انه ربما يجرى على لسان بعضهم كلام كثير لايلقى له بالا فاذا فرغ من ذكره وتأمله وجده صحيحا مثال ذلك ماوقع من الحلاج من قوله مافى الجبة الا الله فان هذا قاله لعظم التجلى عليه فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا لأن معناه انه لاقائم بالاشياء الا هو سبحانه وهذا معنى صحيح يوافق الشريعة وكذا قول بعضهم أنا اللوح أنا القلم قال ذلك لعظم التجلى عليه وغيبته عن حسه يرى أن نفسه عين تلك الاشياء فاذا زال وتأمل فيه وجد معناه صحيحا اى ان المتجلى على وهو الله سار سره فى اللوح والقلم

۷ عبا نى وغيرهما وأشار بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة حيث قالوا حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة * ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (فاذا قرأناه) اى أقرأناه لك على لسان جبريل (فاتبع قرآنه) اى فاستمع لقراءته ثم اقرأه بعد ذلك (ثم ان علينا بيانه) اى بيان معانيه لك فقد جعل بيان المعنى بعد قراءته المقارنة للتجلى الالهى

تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلى مراتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه فى أول المنزل فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لاتنقطع أبد الآباد فى عمر الآخرة الأبدى فكيف بالعمر القصير الدنيوى

۞ (قربك منه ان تكون مشاهدا القربه والا فمن اين أنت ووجود قربه) القرب الحقيق قرب الله منك قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وقال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون وقال عز من قائل ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة وأما انت فلا يليق بك الا وصف البعد وشهوده من نفسك كما يقول المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا الهى ما أقربك منى وما أبعدنى عنك

۞ (الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة وبعد الوعى يكون البيان فاذا قرآناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) حقائق العلوم اللدنية التى يقذفها الحق تعالى فى أسرار العارفين عند براءتهم من الدعوى وتحررهم من رق الاشياء وتعرضهم باللجا والافتقار لما يفتح عليهم المولى يكرمهم الحق تعالى بها تحقيقا لوعده لهم من غير تعلم ولادراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون مجملة لاتتبين لهم معانيها ولايدركون جهات حقيقتها فاذا وعوها وتصرفت فيها أذهانهم بالاعتبار والتأمل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بأيديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجرى على لسانه وبنانه كلام كثير من غير أن يلقى له بالا فاذا فرغ من ذكره أو رسمه يتصفحه ويتأمله فيجده صحيحا مستقيما وقد أخبرنى بنحو ذلك من له قدم صدق فى هذا الطريق عن نفسه قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه وأصحاب الحقائق يجرى بحكم التصرف عليهم شئ لاعلم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجرى على لسانهم شئ لايدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ماقالوه من شواهد العلم اذ تحقيق ذلك بجريان الحال فى ثانى الوقت انتهى كلام الامام أبى القاسم وهو موافق لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم وكأنهما أشارا بذلك الى المسئلة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل عبد الله بن طاهر الابهرى رضى الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسئل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال الشبلى رضى الله عنه الالسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ماتأدى الينا بالوسايط ولسان الحقيقة ما أوصله الله الى الاسرار

(متى وردت الواردات) وهى التجليات (الالهية) ويعبر عنها بالاحوال ايضا وقوله (اليك) متعلق بوردت اى وردت على قلبك من قبل الحق فأحدثت فيه أحوالا سنية (هدمت) اى أزالت (العوائد عليك) اى الامور التى كنت معتادا لها وهى رعونات نفسك لان لها سلطنة عظيمة فاذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك وأثبتت عوضا منه أحوالا علية واوصافا مرضية (ان) اى لان (الملوك) اى جنودهم (اذا دخلوا قرية أفسدوها) اى ازالوا ما تلبس به اهلها من النعيم وكذلك الواردات الالهية شبيهة بجنود الملك اذا حلت قلبا قهرت ما فيه وازالته وهذا جواب عما يقال ان العوائد مما جبلت عليه الطبائع فكيف تزيلها الواردات وحاصل الجواب أن الوارد له القهر كجند الملك ووضح ذلك بقوله (الوارد يأتى من حضرة قهار) اى ان له القهر والغلبة لوروده من حضرة اسمه القهار والقهار هو الغالب الذى لا يغلب (لاجل ذلك لا يصادمه شئ) من رعونات البشرية (الا دمغه) اى ازاله ومعناه فى الاصل اصاب دماغه بالضرب ويلزم منه اتلافه واذهابه وهو ايضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كيف يحتجب الحق) اى الله (بشئ) من الموجودات العلوية والسفلية (والذى) اى والحال ان الذى (يحتجب) الله تعالى (به هو) اى الله (فيه ظاهر) اى ظاهر فيه تشاهده ارباب البصائر (وموجود حاضر) مدرك لهم فكيف يكون ما هو ظاهر فيه حجابا له حتى يستدل عليه به هل ذلك الا من عمى البصائر وعدم رؤيته فى كل شئ كما تقدم (لاتيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور) بقلبك مع الله حال فعله بان تكون ملاحظا أنك حاضر بين يديه غير غائب عنه كانك تراه كما فى الحديث فان ذلك دليل على قبوله ولا يلزم من فقد الدليل فقد المدلول ولذلك قال (فربما قبل من العمل مالم تدرك ثمرته) اى ثمرة قبوله اى علامته (عاجلا) اى حال فعله ومن علامة قبوله أيضا وجدان حلاوته واستلذاذ قلبه به حال فعله كما مر وقوله كيف يحتجب الحق الى هنا معترض بين الكلام على الوارد ثم تممه بقوله

بلا واسطة وان الحق ليس اليه طريق وقال رويم رضى الله عنه أصح الحقائق ما قارن العلم وقال أبو بكر الوراق رضى الله عنه كنت فى تيه بنى اسرائيل فوقع فى قلبى ان علم الحقيقة بخلاف علم الشريعة فاذا شخص تحت شجرة أم غيلان صاح بى وقال يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهى كفر * واشارة المؤلف رحمه الله بالآية التى ذكرها الى هذا المعنى بينة ۞ (متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) الواردات الالهية على العبد تمحو عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا وردت على قلب مشحون بانواع الخبائث والرذائل أزالت ذلك عنه بمرة وأثبتت عوضا عن ذلك أحوالا عليه وأوصافا مرضية أنشدنى سيدى ابو العباس المرسى رضى الله عنه فى هذا المعنى

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت * أرض النفوس ودكت الاجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها * حين التزلزل والرجال رجال

الارض ارض النفوس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة بالآية الى هذا المعنى بينة ۞ (الوارد يأتى من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شئ الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار الغالب على أمره لاجل ذلك لا يصادمه شئ من رعونات البشرية الا دمغه وأزاله وهو أيضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق والاشارة بالآية الى هذا المعنى بينة ۞ (كيف يحتجب الحق بشئ والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) قد أشبع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام على هذا المعنى فى أول الكتاب وأتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه هنالك ۞ (لاتيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل مالم تدرك ثمرته عاجلا) العمل الذى لا يجد صاحبه حضورا فيه ينبغى له أن لا ييأس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل مالم تدرك

(لاتركين واردا) اى لاتفرح به وتمدحه فى سرك (لاتعلم ثمرته) فاذا اورد عليك وارد الهى اى تجلى الهى ملأ قلبك وبعبرعنه بالحال لكن لم يتأثر قلبك به بحيث تحب الاقبال على المولى وتنهض لطاعته وتقوم بحقوق ربوبيته فلاتفرح بذلك

ثمرته عاجلا من وجدان حضور أو حلاوة أوغيرذلك ولولم يكن الاقصد التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لاعمل أرجى للقلوب

❁(لاتركين واردا لاتعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار) الوارد مراد لثمرته لا لوجدان حظ نفسك منه كما ان السحابة مرادة لوجدان الاثمار الذى اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وثمرة الوارد انما هى تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تركن الى الوارد ولاتفرح به فان فى ذلك نوعا من الاغترار والانخداع بلبسة الاظهار فكن على حذر منه ❁(لاتطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) أنوار الواردات المنبسطة على العبد هى تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية وأسرارها المودعة فيه بما لاح له من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلاتطلبن بقاءه فى حال كونه ولاتأس على فقده اذا فقدته فان لك فى الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى فى شئ من الاشياء كما قال الشاعر

لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

قال أبو عبد الله بن عطاء الله رضى الله عنه اياك أن تلاحظ مخلوقا وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل فى هذا المعنى الذى ذكره ابن عطاء الله رضى الله عنه جميع الاغيار والانوار والمقامات والاحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة فلاتلاحظ شيأ من ذلك ولاتركن اليه ولاتعتمد عليه بقى اوذهب فان ذلك قادح فى اخلاص التوحيد قال فى التنوير واعلم أن البارى سبحانه انما يدخلك فى الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك وانما جاءت تحمل هدية التعريف من الله اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدئ فأبدأها وأبقاها حتى اذا أوصلت اليك ما كان لك فيها فلما أدت الامانة توجه اليها باسمه المعيد فأرجعها وتوفاها فلا تطلبن بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا امين بعد أن ابلغ أمانته وانما يفتضح المدعون بزوال الاحوال وبعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتنهتك الاستار فكم من مدع الغنى بالله وانما غناه بطاعته او بنوره او فتحه وكم من مدع العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان الله لك ربا ولا علة فكن عبد اله ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى * وقال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه عبد هو فى الحال بالحال وعبد هو فى الحال بالمحول فالذى هو فى الحال بالحال عبد الحال والذى هو فى الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو فى الحال بالحال أن يأسى عليها اذا فقدها

الوارد لان ثمرته انما هى تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما مر فان لم يوجد هذا عندك فلاتفرح به فان فى ذلك نوعا من الاغترار (فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار) اى انها مرادة لوجود الاثمار الذى اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وكذلك الوارد مراد لثمرته لا لوجود حظ نفسك فيه فان كثيرا ممن يحصل عندهم تلك الاحوال القلبية يغترون بها وربما تركوا الاعمال الظاهرة مع وجود عقلهم (لاتطلبن بقاء الواردات) اى التجليات والاحوال القلبية (بعد أن بسطت أنوارها) عليك وأنوارها هى تكيف ظاهرك وباطنك بكيفيات العبودية (وأودعت) فيك (اسرارها) وهى مالاح فى قلبك من عظمة الربوبية فاذا أفادك الوارد هذه الفوائد فلاتطلبن بقاء حال وجودها ولاتحزن على فقده اذا فقدته (فلك فى الله غنى عن كل شئ وليس يغنيك عنه شئ) كما قيل

لكل شئ اذا فارقته عوض
وليس لله ان فارقت من عوض

فالله تعالى انما أدخلك فى الحال لتأخذ منها لا لتأخذ منك لانها جاءت حاملة هدية التعريف من الله اليك فاذا أوصلت اليك ما كان فيها فلا تطلب بقاءها اذ لا يطلب بقاء رسول بعد ان بلغ رسالته ولا أمين بعد أن أدى أمانته فان طلبت بقاءها كنت عبد الحال لا عبد المحول * ثم اقام دليلا على ذلك بقوله

ويفرح بها اذا وجدها والذى هو فى الحال بالحول لايفرح بها اذا وجدت ولايحزن عليها اذا فقدت وفى الاشارات عن الله سبحانه لاتركنن الى شئ دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه عليك وان أويت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان أنست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك واى قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا ❁ (تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ماسواه دليل على عدم وصلتك به) وجدان العبد لربه ووصوله اليه هو غاية مطالبه ومنتهى آماله ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به ومرغوب وهذه هى صفة اهل التفريد الذين استتروا فى ذكر الله المجيد كما روى عن ابى عبد الله البسرى رضى الله عنه قال سألت رجلا بالمكام ما الذى أجلسك فى هذا الموضع فقال لى وما سؤالك عن شئ ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرنى ماهو قال على بأن مجالسة الله تستغرق نعيم الجنان ثم قال آواه قد كنت اظن أن نفسى ظفرت ومن الخلق هربت فاذا انا كذاب فى مقالتى لو كنت محبا لله صادقا ما اطلع على احد فقلت أما علمت أن المحبين خلفاء الله فى ارضه مستأنسين بخلقه يعنونهم على طاعته فصاح صيحة وقال لى يامخدوع لو شممت رائحة الحب وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت أن ترى فوق ما رأيت ثم قال ياسماء ويا ارض اشهدا أنى ما خطر على قلبى ذكر الجنة والنار قط ان كنت صادقا فأمتنى فوالله ما سمعت له كلاما بعدها وخفت أن يسىء الى الظن من الناس من قتله فتركته ومضيت فبينما أنا على ذلك واذا أنا بجماعة فقالوا مافعل الفتى فكنيت عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن انتم قالوا ويحك هذا رجل به كان قد يعطر المطر قلبه على قلب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أما رأيته يخبر عن نفسه ان ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان احد كذا الا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقلت من أنتم قالوا نحن السبعة المخصوصون من الابدال قلت علمونى شيأ قالوا الا تحب أن تعرف ولا تحب أن يعرف أنك ممن يحب أن لايعرف وفى مثل هذا الحال انشدوا

كانت لقلبى أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يادينى ودنيائى

وقد سئل أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه عن أقرب مايتقرب به العبد الى الله تبارك وتعالى فقال أقرب مايتقرب به اليه أن يطلع الله على قلبه وهو لايريد من الدنيا والآخرة غيره فهذه هى العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقق بهذا المقام العظيم فان كان له شعور بشئ من الاغيار المحبوبة فتطلع الى بقائها واستوحش لفقدانها فذلك

(تطلعك الى بقاء غيره) من الواردات المذكورة وغيرها كالانوار والمقامات والنعم الباطنة والظاهرة (دليل على عدم وجدانك له) اذ لو وجدته فى قلبك واجتمع عليه سرك لم تطلب بقاء غيره (واستيحاشك لفقدان) كالواردات المذكورة (ماسواه) اى (دليل على عدم وصلتك به) وصولك اليه اذ لو وصلت اليه لنسيت كل محبوب ولم تستوحش عند فقد شئ سواه فالسالك اذا وردت على قلبه واردات الهيبة وبسطت فيه أنوارها وأودعت فيه أسرارها وحدثته نفسه بأنه من الواصلين فان كان يتطلع ويتشوف الى شئ من الاغيار المحبوبة أو يستوحش لفقدانه فذلك دليل على عدم تحققه بهذا المقام الشبريف قال الجنيد قدس سره انك ان تكون له على الحقيقة عبدا وشئ مما سواه لك مسترق وانك ان تصل الى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية

(النعيم) اى نعيم الدنيا والآخرة اى التنعم والتلذذ بما فيهما من الملابس والمطاعم والحور والولدان والقصور (وان تنوعت مظاهره) اى مواضع ظهوره وهى الامور المذكورة التى يتنعم بها ظاهرا (فانما هو) اى النعيم بمعنى التنعم والتلذذ (بشهوده) تعالى (واقترابه) اى انما يكون نعيما حقيقيا اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء مشاهدا له وحاضرا معه فان لم تكن بتلك الحالة فليس ذلك بنعيم حقيقة بل هو عذاب (والعذاب) اى التألم (وان تنوعت مظاهره) من الضرب والجحيم والسلاسل وغيرها (انما هو) اى العذاب بمعنى التألم (بوجود حجابه) تعالى اى انما يكون تألما حقيقة اذا كنت حال ملابستك لتلك الاشياء محجوبا عنه وكان غائبا عنك فان كنت مشاهدا له فليس ما انت فيه عذابا حقيقة بل هو نعيم (فسبب العذاب) اى التألم (وجود الحجاب واتمام النعيم) اى النعيم التام اى التلذذ (والتنعم) بالنظر الى وجهه الكريم) اى مشاهدته بعين البصيرة فى الدنيا وبالبصر فى الآخرة وحاصله ان النعيم محصور فى شهود الرب والتألم فى الحجاب عنه وأما ما يتنعم به ظاهرا او يعذب به ظاهرا فليس بنعيم ولا عذاب بالنظر الى ذاته (ما تجده القلوب من الهموم والاحزان) الدنيوية (فلاجل ما منعت من وجود العيان) أى معاينة الرب ومشاهدته بعين البصيرة والا لم يحصل عنده هم ولا حزن على فوات شئ من الدنيا فوجدانهما من نتائج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها فلو غاب الشخص عن رؤية نفسه بمعاينة سيده لكان دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فمن استنار قلبه بنور المعرفة لا يكون عنده غم أبدا لكن فى وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عنه فوائد جليلة لانها توجب خمود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا والهم ما يتعلق بما يكون فى المستقبل والحزن ما يتعلق بما يكون فى الماضى ويصح أن يكون هذا شاملا للامور الاخروية ايضا فأهل النار لا يحصل للواحد منهم هم ولا حزن الا اذا لم يشاهد مولاه فان شاهده لم يحصل عنده ذلك بل يكون العذاب فى حقه عذوبة

٥٣

دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل فى تصحيح هذا المقام بجهده

وقال رضى الله عنه ۞ (النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم) مظاهر النعيم المتنوعة هى ما ورد من انواع الثواب فى الدار الآخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هى ما ورد من انواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الآلام والعقوبات وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود هذه الاشياء ومباشرتها للمنعم والمعذب وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم او وجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران بهما يقع النعيم والعذاب على التحقيق ۞ (ما تجد القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان) وجود الهموم والاحزان الدنيوية والاخروية من نتائج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها وهو الذى منع العبد من وجود العيان فلو قد فنى عن رؤية نفسه وذهب عن مراعاة حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة بل يكون متصل الحبور دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن ان الله معنا فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهم وهى ما قلناه من وجود العيان والعيان والله اعلم درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر

كبر العيان على حتى انه * صار اليقين من العيان توهما

(قال) الشبلى رضى الله عنه من عرف الله لا يكون له غم أبدا وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يا داود ان محبتى فى خلقى أن يكونوا روحانيين والروحانية علامتها أن لا يغتموا وأنا مصباح قلوبهم يا داود ولا يعزج الهم قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين وسيأتى فى كلام المؤلف رحمه الله اوحى الله الى داود عليه السلام بى فافرح وبذكرى فتنعم فباستنارة القلب بنور المعرفة واحتظائه بوجود العيان والرؤية

يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية على آن في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوائد جزيلة لاينبغي أن تستحقر من قبل انها موجبة لجود النفس وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هي كفارات ان كانت في الامور الدنيوية ودرجات ان كانت في الامور الاخروية والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق بما يكون في الماضي ﴿(من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك) وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما له في ذلك من حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية أما مصالح الدين في عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجد شيئا ما اوجب له ذلك طغيانا كما قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فالاستغناء هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله مالا وما آل اليه امره امر مشهور وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما طلعت شمس ولا غربت الا بجنبها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى أو كما قال صلى الله عليه وسلم وأما مصالح الدنيا في ذلك فسيأتي التنبيه عليها في قول المؤلف رحمه الله تعالى ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه واما مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن أجل توصله بذلك الى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى ولاجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اى لا تنس نصيبك في الآخرة أن تتوصل اليه بما آتاك الله من الدنيا وأما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى التنبيه عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسئلة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ويقنع بما أباح له من هذه المنة الجسيمة فيستعمل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن بني جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك (قال) بعض العارفين كل من لا يعرف قدر ما زوى عنه من الدنيا ابتلى بأحد وجهين اما بحرص مع فقر يتقطع به حسرات او رغبة في غنى تنسيه شكر ما أنعم به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا شرف الاولياء المختارين وعز أهل التقوى من المؤمنين المحسنين ولقد صدق الشاعر في قوله

(من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك) من غير زيادة ولا نقصان (ويمنعك ما يطغيك) اى يوقعك في الطغيان وهو كثرة المال قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وفي الحديث ما قل وكفى خير مما كثر وألهى أما ما نقص عن الكفاية فقد يكون معه اشتغال عن طاعة الرب فليس ذلك من تمام النعمة ولما كان ذلك هو المناسب لحال المريد الصادق لم يقل ويمنعك ما يطغيك أو يقال رزقك عن كفايتك

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة * فان زدت شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

(يحكى) عن بنان الحمال رضى الله عنه أنه قال كنت مطروحا طاويا على باب بنى شيبة سبعة ايام لم أذق شيأ فنوديت فى سرّى أن من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عينى قلبه وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه ذكر لى ان فى خراب أيلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتها فى خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهى محلوقة الرأس فلما نظرت الىّ قالت لى من غير ان أكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد قال فقلت لها رحمك الله بك وعجبت من معرفتها ابى ولم ترنى قبل ذلك فقالت ما الذى جاء بك ههنا فقلت جئت لتعظينى قالت واعجبا الواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم أن العبد اذا كان فى كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله سبحانه وتعالى حلاوة الزهد فيظل حيران والهافان كان له عند الله نصيب عاتبه وحيا فى سره فقال عبدى اردت أن أرفع قدرك عند ملائكتى وحملة عرشى واجعلك دليلا لاوليائى واهل طاعتى فى ارضى فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتنى فورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدى ارجع الى ما كنت عليه أرجع اليك ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتنى وولت عنى فانصرفت وبقلبى حسرة منها * وفى بعض الكتب ان أهون ما أصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان أسلبه حلاوة مناجاتى * وذكر ابو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبى القرطبى المالكى رحمه الله فى كتاب النصائح له عن ابى عبد ربه الشامى ثم الدمشقى انه كان من أكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فأمسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تعالى فى ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا فى حصير فسلمت عليه فقلت من أنت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت فما حالك هذه قال حال نعمة يجب على حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما أنت فى حصير قال ومالى لا أحمد الله تعالى وقد خلقنى فأحسن خلقى وجعل منشئى ومولدى فى الاسلام وألبسنى العافية فى أركانى وستر على ما أكره ذكره ونشره فمن أعظم نعمة ممن أمسى فى مثل ما أنا فيه فقلت له ان رأيت رحمك الله أن تقوم معى الى المنزل فانا نزول على النهر هنالك قال ولم قلت لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال مالى فيه من حاجة فراودته على أن يتبعنى فأبى فانصرفت وقد تقاصرت فى نفسى ومقتها اذ لم أخلف بدمشق رجلا يكاثرنى فى غنى وأنا ألتمس الزيادة فقلت اللهم انى أتوب اليك من سوء ما انا فيه فبت لا يعلم اخوانى ما أجمعت عليه فلما كان من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى وقدموا الى دابتى فصرفتها الى دمشق فقلت ما أنا بصادق فى التوبة ان مضيت الى متجرى فسألنى القوم فأخبرتهم وعاتبونى على المضى فأبيت فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال يفرّقه فى سبل الخيرات حتى احتضر فما وجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن زاد غير أبى ابراهيم وكان يقول يعنى ابا عبد ربه المذكور والله لو ان نهركم يعنى نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت

اليه ولا أخذت شيأ منه ولو قيل لى من مس هذا الممدودات لقمت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله ﷺ (ليقل ماتفرح به يقل ماتحزن عليه) درء المفاسد عند العقلاء أهم من جلب المصالح فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضى بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه ولم ينظر الى حصول مصلحة الفرح الذى يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لانى لا أقتنى ما يغمنى فقده فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما قيل

على قدر ما أولعت بالشئ حزنه * ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

يحكى أن رجلا حمل الى بعض الملوك قدحا من فيروزج مرصعا بالجوهر لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة وفقرا قال وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وأمثال هذه المصيبة وأعظم منها نازلة بكل من له علاقة بشئ من أسباب الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب أو سرقة او جائحة نازلة فلا بد أن يؤخذ هو عنها بالموت الهادم للذات المنغص للشهوات فان كان له ألف محبوب مثلا نزل به عند الموت ألف مصيبة فى وقت واحد لانه كان يحبها كلها وقد سلبت منه فى كرة واحدة ولذلك كان الزهد فى الدنيا من قضايا العقل * قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم منها ألف اسم وأول كل اسم منها ترك الدنيا وقال الحسن رضى الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسى ويصبح فى الدنيا ومباهاة اهلها فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون وأولئك هم الغافلون وأولئك هم الجاهلون وانشدوا

أيها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيها مبين * وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقال أبو على الثقفى رضى الله عنه أف من اشغال الدنيا اذا أقبلت وأف من حسراتها اذا أدبرت والعاقل من لا يركن الى شئ اذا أقبل كان شغلا واذا أدبر كان حسرة وقد قيل فى معناه

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(ليقل ماتفرح به) من المال وغيره (يقل ماتحزن عليه) فمن زوى الله عنه فضول الدنيا فرضى بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عنها مفسدة وجود الحزن بتركه ولم ينظر الى حصول مصلحة الفرح بوجود الذى يزول عن قريب ودرء المفاسد مقدم عند العقلاء على جلب المصالح فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير

وقيل

وقيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل فقال اذا كان للامور مميزا ولها متصفحا وعما يوجبه عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي هو أولى ليعمل به ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد احكام العمل بما فرض الله عليه وليس من صفة العقلاء اغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما يجب عليه من عمله وترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة لكل ما حوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل بقاؤها وذلك أن الدين يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك ومفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه كذلك صفة العاقل اتصفحه الامور بعقله والاخذ منها بأوفرها قال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب بذلك وصفهم الله تعالى وذووا الالباب هم ذووا العقول وانما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للاخذ باحسن الامور عند استماعها وأحسن الامور هو أفضلها وابقاها على اهلها نفعا في العاجل والآجل والى ذلك ندب الله عز وجل من عقل في كتابه انتهى كلام الجنيد رضي الله عنه وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده من التنبيه على كلام المؤلف رحمه الله تعالى فرأيت ذكره هنا للاتفاق والله تعالى الموفق للعمل عنه وكرمه ❁(ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من امثلة ما تقدم لان الولاية ما لها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها التي يقع في العزل المحزون به ❁(ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن) بدايات الامور ظواهرها ترغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رائقة الحسن مليحة الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهايات الامور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما اشهدته من سماجتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها ويسلم من شرها وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب بن منبه رضي الله عنه صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيأ فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت في اليوم السابع فقال ياهذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير والتوفيق فيها نجاح كل بر فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع الى ربك أن يهب لك نجاح كل بر قال وكيف أعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أشياء شبهها بالماء المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق الخلب يضر ولا ينفع وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام

(ان أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك) هذه من افراد ما قبلها لان الولاية مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها بموت أو غيره ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفروح بها التي لا تقع في العزل عنها فيحصل عندك غاية الهم والحزن (ان رغبتك) في الولاية (البدايات) أي بداياتها من كونها رائقة الحسن مليحة الظاهر وان كل من تلبس بها حسن حاله ومنظره بين الناس وتيسر معاشه (زهدتك) فيها (النهايات) فان نهايتها مفارقتها بعزل أو موت فيحصل لك مزيد الضرر دنيا وأخرى لان الولايات قل من يسلم فيها بدينه وذلك مما يحمل العاقل على الزهد فيها والهروب منها (ان دعاك اليها ظاهر) اى ظاهر حالها من تيسر الملابس والمآكل عند التلبس بها (نهاك عنها باطن) أى باطن حالها من كونها شاغلة عن الله ومن حصول الضرر لكل من تلبس بها وهذا في المعنى يرجع لما قبله فالظاهر يرجع للبدايات والباطن للنهايات

النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد فى يده شيأ الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا تشبيهها بالغول التى تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها فرأيت جدى فى النوم فقال لى يابنى أنت منى وانا منك قال فبأى شئ يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين بالله بر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها ولا أراك تلقى الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به * وقال محمد بن على الترمذى رضى الله عنه لم تزل الدنيا مذمومة فى الامم السالفة عند العقلاء منهم وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضين وما قام داع فى أمة الا وقد حذر من متابعة الدنيا وجمعها والحب لها ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد وقال انما هذه الحياة الدنيا متاع أى لن تصل الى سبيل الرشاد وفى قلبك محبة الدنيا وطالب لها والحكايات والآثار فى أحوال الدنيا وغرورها وشرورها اكثر من أن تحصى ولا شئ أبين فى ذلك من قول الله تعالى فى صفتها اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ۞ (انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا للاكدار تزهيدا لك فيها) وورود الاغيار والاكدار الدنيوية على العبد نعم من الله تعالى عليه لان ذلك لامحالة يدعوه الى الزهادة فى الدنيا والتجافى عنها ويصرف عنه وجود الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما يتضرر به فى الحال والمآل لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء على حسب ما يحبه ويهواه كان ينبغى له أن يرغب عنها ويعرض عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل أمرها الى الفناء والزوال والافتقار والانقضاء والارتحال وقد قالوا شر لا يدوم خير من خير لا يدوم وقال الشاعر

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه ارتحالا
أرى الدنيا على من كان فيها * تدور فلا تديم عليه حالا

ثم هى مانعة لهم من سعادة الآخرة والقرب من الله عز وجل الذى هو غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها الانواع المصائب والفجائع ووقوع الاغيار والاكدار فما من أحد فيها الا وهو فى كل حال ووقت غرض لأسهم ثلاثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلبت الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شأن الدنيا أبدا فلا يفى مرجوها بمخوفها ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر فى قوله

ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان

(انما جعلها) اى الدنيا (محلا للاغيار) كالامراض والمحن والبلايا وقوله (ومعدنا للاكدار) بمعنى ما قبله (تزهيدا لك فيها) لان الموجب لرغبتك فيها انما هو ما تتوهم من حصول أغراضك ومطلوباتك فيها من غير تكدير ولا تنغيص وهو لا يكون أبدا حتى لو فرض ذلك لكان اللائق بك الزهد فيها والرغبة عنها لان مآل أمرها الى الفناء والزوال واشغالها اياك غالبا عن الله تعالى لا يقال الزهد فيها يحصل بنصح الواعظ وتذكيره لانا نقول

وصدق ايضا من قال

ماقام خيرك يازمان بشدة * الا ولى بنا ماقل منك وما كفى
زمن اذا اعطى استردعطاءه * واذا استقام بداله متحرفا

وقد كتب على بن أبى طالب الى سلمان رضى الله عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة مايصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون فيها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور أشخص منها الى مكروه * وقال بعض البلغاء دار الدنيا كاحلام المنام وسرورها كظل الغمام وأحداثها كصوائب السهام وشهواتها كشؤم السمام وفتنتها كالامواج الطوام وقال أبو العتاهية

هى الدار دار الاذى والقذى * ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول البقا * وطول البقاء عليه ضرر
اذا ما كبرت وفات الشباب * فلا خير فى العيش بعد الكبر

وانشد أبو منصور الثعالبى رحمه الله فى ذم الدنيا

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها * ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوها بمخوفها * ومكروهها ان ما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا * وعندى لها وصف لعمرى صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب * شهى اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤنس الناس حسنه * ولكن له أسرار سوء قبائح

فاذا علم العبد هذا كله علم اليقين وتمكن من قلبه غاية التمكين لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لانه اذذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين ويأتيه الموت وهو صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين * قال أبو هاشم الزاهد رضى الله عنه ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها وأهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة مشتاقون وقيل أوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقى وتشددى على أوليائى وترفهى وتوسعى على أعدائى تضيق على أوليائى حتى لا يتعززوا بك عنى وتوسعى على أعدائى حتى يشتغلوا بك عنى فلا يتفرغوا لذكرى

(علم) الله (أنك لاتقبل النصح المجرد) عن الامراض والبلايا والمحن لان النصح المجرد لايقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية أما من كان كذلك فلا بد فى قصد هدايته من زيادة على النصح والوعظ (فذوقك من ذواقها) أى مما شأنه ان يذاق فيها وهو تلك الامراض والبلايا والمحن (مايسهل عليك فراقها) فان العبد اذا نزل به شئ من ذلك يتمنى الموت ومفارقته الدنيا فهو نعمة من الله عليه وان لم يعرف ذلك لغلبة طبعه عليه وقد تقدم مثل هذا عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان

(علم أنك لاتقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها مايسهل عليك وجود فراقها) النصح المجرد لايقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية وكان كريم الطبع سهل القياد وأما من رسخت فيه تلك الخباثث وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب المقادة فلا بد فى قصد هدايته وارشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو وجود مايقهره ويجبره وليس ذلك الامانذكرناه فاعرف قدر النعمة

عليك بذلك واعمل بمقتضاها وسلم لربك في حكمته وقدرته وحسن ظنك به وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على الله بملاطفة الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان

﴿ (العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه) العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فينفسح وينشرح للاسلام ويكشف عن القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام العلم في الصدر كالمصباح في البيت وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه العلم النافع هو الذي قد تمكن في الصدور وتصور وذلك ان النور اذا أشرق في الصدور وتصورت الامور حسنها وسيئها وقع بذلك ظل في الصدور فهو صورة الامور فيأتي حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك العلائم الى الصدور وهي علامات الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك علم اللسان انما هو شيء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه قد احاطت به وأذهبت بظلمتها ضوأه وقال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه والعلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان المنقول والمعقول وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى وانما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها رحمه الله مقصود علم الصوفية وهي معرفة الله تعالى وحسن الادب بين يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للانسان أن يستغرق فيها عمره الطويل ولا يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج اليها وربما اضر بصاحبها مداومته عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور منه من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى عبارة أخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال

﴿ (خير العلم ما كانت الخشية معه) خير العلوم ما يلزم وجود الخشية لله تعالى لان الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه فلا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع بن أنس رحمه الله في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء من لم يخش الله فليس بعالم ألا ترى ان داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يؤمن بك قال في لطائف المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله تعالى وشاهد الخشية

(العلم النافع) وهو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية التعبد له والتأدب بين يديه فهذا هو العلم (الذي ينبسط في الصدر شعاعه) فينفسح وينشرح للاسلام (ويكشف به عن القلب قناعه) اي غطاؤه وغشاوته فتزول عنه الشكوك والاوهام قال مالك ابن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب وانما منفعة العلم أن يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته وقال المهدوي قدس سره العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما يقرب الى الجنة ويبعد عن النار والخوف من الله والرجاء فيه وآفات النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان والمعقول والمنقول اه وجمع ذلك الجنيد قدس سره في قوله العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك أي هو معرفة الله وحسن الادب بين يديه ثم ذكر المصنف عبارة أخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال (خير العلم ما كانت الخشية معه)

موافقة الامر انما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الامل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه وسبباً فى تكثير العقوبة لديه انتهى وكان سهل ابن عبد الله رضى الله عنه يقول لاتقطعوا أمراً من أمور الدنيا والدين الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله تعالى قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وصيته وشاور فى أمرك الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطى رضى الله عنه ارحم الناس العلماء لخشيتهم من الله تعالى واشفاقهم مما علمهم الله عز وجل وقال فى التنوير فى قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله له برزقه اعلم أن العلم حيثما تكرر فى الكتاب العزيز أو فى السنة انما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والراسخون فى العلم وقل رب زدنى علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء ورثة الانبياء وقوله هنا طالب العلم تكفل الله له برزقه انما المراد بالعلم فى هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس وذلك يتعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك فى غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما أمر الله به اذا كان تعلمه لله تعالى انتهى وقد تقدم المعيار الصادق على صحة دعوى التعلم والتعليم لله عند قوله اذا التبس عليك أمران وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله تعالى ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوارح وأداء الامانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذى لا ينفع وهو الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بك من علم لا ينفع ووصف الله تعالى العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رجل للشعبى أيها العالم فقال انما العالم من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما فليزدد خشوعا وقال رجل للجنيد اى العلم أنفع قال ما دلك على الله تعالى وأبعدك عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة

والخشية الخوف مع الاجلال وقيل هى الاجلال مع التعظيم وقيل الخوف مع العمل أى خير العلوم ما تلزمه خشية الله تعالى وتصاحبه وهو العلم المتقدم لان الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه لا خير فيه ولا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة ويلزم من مصاحبة الخشية له الوقوف على حدود الله وملازمة طاعته والوثوق به والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقليل منها ومجانبة أبواب اربابها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم والتواضع ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى بخلاف العلم الذى لا تصاحبه الخشية فانه يكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الامل ونسيان الآخرة فان العالم اذا أحب الدنيا وأهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك ثم ذكر عبارة أخرى من معنى ما تقدم فقال

الظاهر والخوف من الله والاعراض عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة أبواب اربابها وترك مافيها على من فيهما من اهلها والنصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم أولياء الله تعالى والاقبال على مايعنيه فان العالم اذا أحب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله تعالى بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن احب آخرته أضر بدنياه ألا فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال فضيل بن عياض العالم طبيب الدين وداء الدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فتى يبرئ غيره فاذا وفق الله العالم من العلماء للاقبال على الله وعلى أوامره والاعراض عن الدنيا ومافيها ومن فيها فأول ما يلزمه أن يعرف نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا ويعلم أنه محمول على ذلك وأن ذلك بتوفيق من الله تعالى لا بمجاهدة منه فان مجاهدته أيضا ومعرفته نعم الله عليه بزيادة توفيق الله فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما يقتدى به في احكام الظاهر وأحوال الباطن يهتدي بنوره كل من صحبه ويستضيء بعلمه كل من اتبعه ويكون حجة لله على عباده وبركة في بلاده ومن قاده علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب اتباع الرياسة واستتباع الخلق فهو العلم الذي هو غير نافع وهو العلم المغتر به ولا حسرة أعظم من أن يهلك العالم بما يرجو به نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان انتهى ثم عبر المؤلف رحمه الله تعالى بعبارة اخرى من معنى ماتقدم فقال ﴿(العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك) العلم الذي تلازمه الخشية لك لانك تنتفع به في دنياك وآخرتك وليس ذلك الا ماذكرناه والعلم الذي لاخشية فيه عليك لانك تستضر به فيهما وهذا هو الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا من حيث ان علماء الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موسومون بالامن والعزة وقد بين علماؤنا رضي الله عنهم حال الفريقين وأوضحوا أمرهم بالنعوت والعلامات وأطالوا في ذلك النفس لما شاهدوا من انتشار الفساد في الارض بسبب جهل الناس بالعلم النافع أي شيء هو فمن أراد الشفاء في ذلك واستيفاء الكلام عليه ومافي ذلك من الاخبار والآثار فعليه بالنظر في كتاب العلم من كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي رضي الله عنه ولباب ذلك ماذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود أن يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا في زمانه الصالح فكيف لو أدرك زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم أنه قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى حصول ذلك الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته في ذلك أن يكون غرضه فيه طلب مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وايثاره الخروج عن

(العلم ان قارنته الخشية فلك) (والا منفعته في الدنيا والآخرة (والا فعليك) مضرته فيهما قال سفيان الثوري انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا القصد وفسدت نية طالبه بان استشعر به التوصل الى منال دنيوي من مال أوجاه فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية اهـ

ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هى النية الصحيحة التى تحمد عاقبتها آجلا وتجتنى ثمرتها في طاعة الله عاجلا وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل يوم لا أزداد فيه علما يقربنى من الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن رضى الله تعالى عنه كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك فى تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له ليضعها فى الآخرة وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك لم ينفع فيه الادعاء كدعاء الغريق * وقال سفيان الثورى رضى الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى الله به فان اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بان يستشعر به التوصل الى منال دنيوى من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله عنه من تعلم علما لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها وكان الحسن رضى الله عنه يقول والله ما طلب هذا العلم أحد الا كان حظه منه ما أراده به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب فقيل له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة فاذا انضاف الى هذا الغرض أن يتصدى به الى تولى الاعمال السلطانية كائنة ما كانت أو يتوصل به الى اكتساب مال من حرام أو شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى وسخطه وباء باثمه وآثام المقتدين به وكان الجهل اذذاك خيرا له من العلم وأحمد عاقبة وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى ورويناعن الاوزاعى رضى الله عنه قال شكت النواويس الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله تعالى اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه قال وروينا عن الفضيل ابن عياض وأسد بن الفرات قال بلغنى ان الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان قال فضيل بن عياض رضى الله عنه لان من علم ليس كمن لم يعلم قلت والغالب على طلبة العلم فى هذه الاعصار هذا الوصف المذموم لان حب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم والترؤس قد ملكهم فأصمهم وأعماهم ولذلك امارات وعلامات لا تحصى ولا تخفى وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج فى آخر الزمان رجال يختلسون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تبارك وتعالى أبى تغترون أم على تجترئون فبى حلفت لابعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انزل الله تعالى فى بعض الكتب أو أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء

عليهم الصلاة والسلام قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكبوش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم احلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر اياى يخادعون وبي يستهزؤن لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفى بعض الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبقى من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة من أبدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخالف انما هو العلم الذى يؤدى صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان وتوافق الاسرار والاعلان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايثار الآخرة عليها والموالاة فى الله والمعاداة فيه والحرص على التفطن للاسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الادب بين يدى الله تعالى فيراعيها حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب المضادة له عن ذلك فيرفضها رفضا وهربا الى غير ذلك من الصفات العلية والمناحى السنية فهذا كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والاخروية فاذا خلا طالب العلم عنها أو عن بعضها فان كان ما يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وان كان رسميا كان وبالا وانصلالا اليه والعياذ بالله من ذلك * قال فى لطائف المنن وماغر الغافل من طلبة العلم من قال طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله وليس فى قول هذا القائل ما يستروح اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة به وانما أخبر هذا القائل عن أمر منّ به عليه وفتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن فى المعى أعيا علاجه الاطباء وضاق عليه خلقه فأخذ خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم الى التهلكة * ليس المخاطر محمودا وان سلما * وقال فى مواضع أخر ولا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادى والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما أخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات فى طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة فلم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصرى رضى الله عنه عن مسئلة فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فزجره الحسن وقال ويحك وهل رأيت فقيها انما الفقيه الذى فقه عن الله أمره ونهيه قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الفقيه من انفتق الحجاب عن

عن قلبه والرجل الذى سأل الحسن البصرى هو فرقد السبخى والله أعلم وقد روى عنه فى صفة الفقهاء كلام أتم مما ذكره صاحب كتاب لطائف المنن * قال فرقد السبخى سألت الحسن عن مسئلة فاجابنى عنها فقلت له ان الفقهاء يخالفونك فقال لى ثكلتك امك فرقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد فى العبادة المقيم على سنة المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينبذ من هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا يأخذ على علم علمه الله له حطاما قلت وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح اذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التى ذكرناها ولا يبذل لمن سوى هذا ممن علم حاله أو جهله قال رجل لسفيان الثورى رضى الله عنه انك ان نشرت ما معك من العلم رجوت أن ينفع الله به بعض عباده وتؤجر على ذلك فقال سفيان الثورى والله لو أعلم بالذى يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت أنا الذى آتيه فى منزله فأحدثه بما عندى ممن أرجو أن ينفعه الله به وقد سئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب فقال له السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من النار فقال له اترك اللجام واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمنى به وفى قوله عز من قائل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويستضر به أولى كما قيل

ومن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد حكى عن بعض الامم السالفة أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة فى أخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديا منعوه من العلم أشد المنع وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردىء فيصير العلم آلة شر فى حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم فى الرجل السوء كزيادة الماء فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح مجرب فينبغى اذا للعالم أن لا يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار بما يتوهمه فى تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول توفيق الله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح ان كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك فان المفاسد التى تقع بسبب ذلك لهم فى خاصة أنفسهم والمفاسد التى تتعدى منهم الى غيرهم أكثر ودرء المفاسد أهم عند العقلاء من جلب المصالح أما المفاسد التى تختص بهم فهى تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام فاذا استشعروا بذلك توجهوا بهممهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فاذا حصلوا على شئ من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم الى أغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا علما ازدادوا

فرحاواغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط فى غاية الذم منهم لان ذلك متعلق بأسباب الدنيا وهى بمنزلة السم القاتل الذى يوجب موت قلوبهم وقسوتها او بعدها عن التأثر بالمواعظ والحكم كما قيل

اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة * كالارض ان سبخت لم ينفع المطر

وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها وتظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هى عنده من أبنائها المترفين وليس لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيحتالون على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف وجوههم اليهم بالتقرب عندهم بأنواع من الحيل ولا يسلمون فى ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والدهان و يجرهم ذلك الى أنواع من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحصل بهم فى ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك أو بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فخرجوا من الحرية الى استعباد الاغيار واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام وأهله ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذ سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما فى أيدى الناس فذلوا وهانوا على الناس انتهى ولله در الشاعر رحمه الله حيث يقول

يقولون لى فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت الا لاخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقال وهب بن منبه رضى الله عنه لعطاء الخراسانى كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى علمهم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة فى دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله على علمه و يكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة فى باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد فى الباطن والظاهر فانظر رحمك الله الى ما ذكره هؤلاء الفضلاء تجده لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم بها فى سوء أدبهم

يتعذر عليهم بعد ذلك سلوك طريق الحق لما استحكم في قلوبهم من علامات سوء الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع عنه فكل ما كان بعد المسافة من الحق أتم كان اليأس من الرجعة أوجب وأعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم لسيئ أعمالهم واعتقادهم أنهم سالكون سبيل النجاة في الدار الآخرة ونيل الثواب فيها وانهم هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بنيلها العلماء الذين هم ورثة الانبياء وليس عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم لم يسلكوا طريق ذلك ولم يهتدوا المناهج تلك فهذا هو الفساد الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه وأما الفساد الذي يتعدى الى غيرهم فأظهر من كل ظاهر وناهيك بمن ملكته نفسه أشد ملك واستعبدته أشد استعباد هل يبقى عليه شيء من الشر أو نوع من أنواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن دقيق ما يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة والاغمار بمشاهدة حالهم فانهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما أرادوه ويتوهمون أنهم نالوا اشرف الآخرة بما أفادوه واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم ان كانوا ممن فيه قابلية لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك أو يؤديهم ذلك الى محبتهم وموالاتهم واتخاذهم أربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في أوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسان حالهم الى الداء الدفين وهو مسارقة طباعهم الدنيئة وأخلاقهم الرديئة فان نفوس العامة قابلة لذلك ومهيئة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه أخلاق آبائه ومنازعهم ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود من بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الايمان والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والآثام ثم يؤول ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي ثم يحيق بهم المكر السيئ والعياذ بالله تعالى ويكون وبال جميع ذلك راجعا الى العالم لتيسير أسباب ذلك على يديه ولقد صدق ابن المبارك رحمه الله حيث يقول

وهل أفسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها
فباعوا النفوس ولم يربحوا * ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة * يبين لذي العقل انتانها

وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد استضاء اضاءة هذه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون العلم هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القدم بالقدم والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها وانكساف أنوار الايمان فيها وافلاسهم من حقائق ذلك وعدم اختصاصهم بشيء منه فصاروا بذلك

مأسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم وآرائهم ففسدت بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها آثار الصلاح وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد أخلاق يؤذن ذلك بوجود القرب من الله ونيل درجة الحب منه فاذا كانت النيات فاسدة كانت الاعمال أيضا فاسدة وترتب عليها آثار فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة تقتضي البعد من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معرض للصحة والاعتلال وليت شعري هؤلاء الذين استغرقوا أعمارهم في طلب العلم والاثر واتعبوا أنفسهم بالدراسة والنظر وقطعوا أيامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت نفوسهم بفراق ملذوذاتها والبعد عن جميع مألوفاتها هل بعثهم على ذلك باعث الدين أو باعث الهوى ولاشك ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخلصهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وان ادعوا أنهم على أحوال لا يجب عليهم فيها حكم يحتاجون الى تعرفه والقيام به فهم مخدوعون ومن أين لهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة فلابد لهم من استفادته ولا عناية لهم بهذا أيضا وانما كان يتصور منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم بسبب تام من أسباب الدنيا ثم يصرفون ما فضل من أوقاتهم عن محاولة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من أشغال دنياه الى قطع ذلك الوقت بلهو ولعب أو ارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي يكون فيها استراحة لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذه الحال قد يصح باعث الدين من أمثال هؤلاء وأما الحال التي وصفناها فلا يتصور عليها باعث الا الدنيا المجردة المجاوزة لحد في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا والحصول على غاية ملاذها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجوب البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يامله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الاعلى سد الرمق والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم لو لم يتصور والى خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد ولا اقتصروا على بعضه وهذه كلها أمور بينة لا اشكال فيها عند من له أدنى تمييز وفهم وليس المانع لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاءه عليهم كيف وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عندما ينجلي عن قلوبهم بعض ظلماتها وتتزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير مذكر من الخلق أو وعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم يرجعون في سائر أوقاتهم الى

ما ألوفاتهم ومعتاداتهم وانما المانع لهم من ذلك انفراد الله تعالى بالمشيئة والقدرة واستئثاره بالخذلان والنصرة فاذا أراد الله تعالى أن يضل عبدا من عباده لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله عز وجل "ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ" وفي مثل هذا الموطن تبطل أحكام الاسباب ويتحقق أرباب الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر بما ذكرناه أرباب الابصار وليسلموا أحكام الواحد القهار لعلمهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن سواء الطريق

مصائب قوم عند قوم فوائد * وليقل العبد المؤمن اذا نظر اليهم واعتبر بما جرى من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به هذا وفضلني عليه وعلى كثير من خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في عقله وحدسه العامل على تصحيح أعماله وهمه المشفق على دينه الذي هو مسوط بلحمه ودمه أن يتأمل هذه المفاسد ويقيس بها ما توهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما يدققه في أكثر المسائل التي لا يحتاج اليها ولا يقدم على التعليم في هذه الازمنة ذوات العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع خطأ في نظر ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته عن ذلك فقال وهو ندم ماصرنا الا متجر الابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف به وجلس عنا وجعل عاملا أو حاجبا أو قهرمانا أو جابيا يقول حدثنا سفيان الثوري وعليه أيضا أن يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعوه اليه من التعليم لان كل ما تستحليه النفس ويوافق غرضها محجوب بالآفات والعلل التي تقدح في اخلاص الاعمال واخلاص الاعمال شرط في وجود القبول وعند ذلك يذهب عمله باطلا ولا ينال بسعيه طائلا وقد تقدم من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم للعمل عند قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وتقدم أيضا الكلام على اتهام النفس في دعائها الى ما ظاهره خير عند قوله اذا التبس عليك أمران وليتعلم الحزم في ذلك من بشر بن الحرث الحافي رضي الله عنه كان يقول أنا اشتهي أن أحدث ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث انه سمع أبا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه كان يقول الاكثار من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فلما سمعه منه قال انتم بنا انتهينا ثم ترك الرحلة في طلب الحديث وأقبل على العبادة وروى أيضا مثل هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من طلب الحديث بهذه المثابة عند امام المحدثين في زمانيهما مع ما فيه من الفوائد الاخروية فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله

(متى آلمك) اى اوجد عندك الالم والغم (عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله) اى اقنع بعلمه (فيك) واكتف به عن علمهم بحالك المقتضى لاقبالهم عليك وعدم ذمهم لك فان كنت عند الله مخلصا فى أعمالك مقبولا فأى شئ يضرك من كونك عند الخلق ليس على ذلك الوصف حتى يتوجهوا اليك بالذم والاذى وان كنت حقيرا ممقوتا لعدم اخلاصك فأى شئ ينفعك من اقبالهم عليك ورضاهم عنك وثنائهم عليك (فان كان لا يقنعك علمه) بأن أحببت ان تدخل مع علمه علم غيره حتى يطلع على اخلاصك وأعمالك فيعظمك ويقبل عليك (فمصيبتك) الحاصلة لك (بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك) الحاصلة (بوجود الاذى منهم) بذمك والاعراض عنك لان عدم القناعة بعلمه تعالى يردك اليهم فهو مصيبة ولا بد واذاهم يردك اليه فهو فائدة فى الواقع ونعمة وان كان مصيبة فى الظاهر فلا ينبغى للمريد أن يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا باعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين فى اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيأ فمن آلمه عدم اقبالهم عليه أو توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه وليكتف بعلمه بحاله ولا يحب أن يدخل مع علمه علم المخلوقين حتى يعظموه قال ابراهيم التيمى لبعض أصحابه ما يقول الناس فى قال يقولون انك مراء فقال الآن طاب العمل قال بشر اكتفى والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافى سكون القلب الى قبول المدح له أشد عليه من المعاصى

باسناده الى عبد الله بن مسلمة القعنبى رحمه الله قال دخلت على مالك بن أنس رضى الله عنه فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد على السلام ثم سكت عنى يبكى فقلت له يا أبا عبد الله ما الذى ابكاك فقال لى يا ابن قعنب أبكى لله على ما فرط منى ليتنى جلدت بكل كلمة تكلمت بها فى هذا الامر بسوط ولم يكن فرط منى ما فرط من هذا الرأى وهذه المسائل ولقد كان لى سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان آخذا فيه من المسائل المحققة المبنية على أصول صحيحة غير ملفقة فما الظن بما انتشر بعده من الهذيان الذى صار بحكم العادة واقتضاء العصبية وتمالى الناس على الضلال وتقليد رؤساء الجهال دينا قويما وصراطا مستقيما وعلى كل واحد من العالم والمتعلم أن يشتغل بما هو أهم عليه مما هو مأمور به ومسؤل عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فلى فى ذلك شغل شاغل عما يفرق همه ويقسى قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل قال وهب بن منبه ذكر طلب العلم عند مالك بن أنس فقال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى ومن حين تمسى الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيأ وكان سفيان الثورى يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل به الرجل وكان يقول لولا أن للشيطان فيه حظا ما ازدحم عليه يعنى العلم فهذه نبذة قصدت الى بثها فى الموضع اللائق بها من هذا التنبيه لينتبه بها من سبق له من الله زوال العمى عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين وليتبين بها كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين وبالله الذى لا اله سواه نستعين (متى آلمك عدم اقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم) العبد لا ينبغى أن يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا لاعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين فى اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيأ وقد تقدم هذا المعنى فى قوله رحمه الله غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمن آلمه عدم اقبالهم عليه أو توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا بعلمه راضيا بقسمته كان له فى ذلك اعظم سلوان عما يفوته من جهة المخلوقين بل لا يجد وقعا فى قلبه لما عسى أن يكون منهم من اقبال أو اعراض وان لم يكن راضيا ولا قانعا فمصيبته بذلك اعظم من مصيبته بأذى الناس له بل لا مصيبة له فى أذى الناس البتة عند من عرف سر ذلك على ما يذكره المؤلف الآن رحمه الله تعالى قال ابراهيم التيمى رضى الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس فى فقال يقولون انك مراء فقال الآن طاب العمل فقال بشر رضى الله عنه اكتفى والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم الله علم غيره وقال بشر الحافى سكون النفس الى قبول المدح لها أشد عليها من المعاصى

(انما أجرى الأذى على أيديهم كى لاتكون ساكنا اليهم أراد أن يزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلك عنه شئ) وجود أذى الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لاسيما من اعتاد منه الملاطفة والاكرام والمبرة والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانس بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه آذانى انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لى من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالى بهم وقال بعض العارفين الصيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ولولا ذلك لرقد العبد فى ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدى أبو محمد عبد السلام شيخ سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما فى دعائه اللهم ان قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم انى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ الا اليك وقال أبو الحسن الوراق النيسابورى رضى الله عنه الانس بالخلق وحشة والطمأنينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع واذا أراد الله بعبد خيرا جعل انسه به وبذكره وتوكله عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد قالوا الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقربا الى الله تعالى وأهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل قال فى لطائف المنن اعلم ان أولياء الله تعالى حكمهم فى بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا وكى لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا اليهم باستناد ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا الله له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله ومن اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا ألا تراهم اذا أقبلوا افتتنوا قال وتسليط الخلق على أولياء الله فى مبدا طرقهم سنة الله فى أحبابه وأصفيائه قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك قال ومما يدلك على ان ذلك سنة الله فى أحبابه وأصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الآية وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل الآية وقوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا الآيتين وقوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى انتهى وكذلك من استحلى حالا أو ساكن مقاما فمن سنة الله تعالى مع أوليائه تشويش ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تستأنس بغيره ولئلا تتعبد بسواه قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن المقاطع المشكلة السكون الى استحلاء

(انما أجرى الأذى على أيديهم) (كى لاتكون اليك أيها المريد (كى لا تكون ساكنا اليهم) أى معتمدا عليهم فى تحصيل نفع او دفع ضر تاركا لجناب مولاك وقوله (أراد أن يزعجك عن كل شئ) بتوجه الخلق اليك بالأذى (حتى لا يشغلك عنه شئ) هو بمعنى ماقبله قال فى لطائف المنن اعلم ان أولياء الله حكمهم فى بداياتهم أن تسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا ولئلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ثم قال وتسليط الخلق على أولياء الله فى مبدا ظهورهم سنة الله فى أحبابه وأصفيائه اه وقال الاستاذ أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره آذانى انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لى من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالى بهم اه

مايلائقيك به من فنون تقريبك وكأنه فى خلال ما يناجيك يناغيك فانه بكل لطيفة يصغيك ويطر بك وتحتها خدع خافية ومن أدركته السعادة كاشفه بشهود جلاله وجماله لاباثباته فى لطيف أحواله وما يخصه به من افضاله واقباله وأداء الطاعات على وجه الاستحلاء معدود عندهم من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه لما دخل على شيخه أبى محمد عبد السلام فى أول ما لقيه وسأله عن حاله قال له أشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ ابو الحسن أما شكواى من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه فقال أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله سبحانه (وقال) سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه اللطاف حجاب عن اللطيف يعنى السكون اليه والوقوف عنده وشدة الفرح به ولذلك قال سرى السقطى رضى الله عنه لو أن رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله من الاطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان فى أيديها أسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفى صوفيا حتى لا تقله أرض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون مرجعه فى جميع أموره الى الحق وقيل الفقير من لا دنيا له ولا آخرة فان عرض على مالك قال ليس من رجالى وان سلم الى رضوان قال لا أهتدى اليه وليس من رجالى وان قلت من هو وما الذى يدعى به قال ليس ممن يدعى بشئ وقال محمد بن الحسن رضى الله تعالى عنه بينا أنا أدور فى جبل لبنان اذ خرج شاب قد أحرقه السموم والرياح فلما نظر الى ولى هاربا فاتبعته وقلت له عظنى بكلمة فقال احذره فانه غيور ولا يحب أن يرى فى قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضى الله عنه الى بعض اخوانه من أشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما أشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه وألبس لباس الطمع فتزداد رغبته فيهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير حياته عجزا وموته كدا ومعاده أسفا ونحن نعوذ بالله من السكون لغيره ۞ (اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) الشيطان عدو مسلط على الانسان ومقتضى ذلك ان لا يوجد منه غفلة لافترة عن التزيين والاغواء والاضلال قيل لبعضهم أينام ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت أنه لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك عليه وافتقارك فى كل أحوالك اليه واستعاذتك به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته وتنجو من غائلته قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله

(اذا علمت) أيها المريد (أن الشيطان لا يغفل عنك) أى عن اضلالك واغوائك ومحاربتك لقوله تعالى لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقد ورد أن لكل احد من الناس شيطانا واضعا خرطومه على قلبه فاذا غفل عن ذكر الله تعالى وسوس له واذا ذكر خنس أى تأخر واستتر (فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) وهو الله تعالى أى عن الاعتصام والاحتماء به سبحانه وتعالى فانه يكفيك همه لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة به كيف لا ينصره على عدوه قال ذو النون المصرى ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت الارواح فيهم فقال له الله عز وجل وعزتى وجلالى لا أبرح اغفر لهم ما استغفرونى

حبيبه وولى حفظه ونصره ولولا ما أمرهم الله تعالى بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه * قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فقوم فهموا من هذا الخطاب انهم أمروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو أى وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه وقال أبو حازم رضى الله عنه ومن الشيطان حتى يهاب والله لقد أطيع فما نفع ولقد عصى فما ضر وقال بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يعنى يمسح به أقذار النسب وهى نسبة الشرور وأنواع المعاصى والفساد اليه أدبا مع الله عز وجل وهذا سر ايجاده كما قال الله تعالى وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقوله تعالى هذا من عمل الشيطان وأما ان له حولا وقوة يضر بها أو ينفع فلا * قال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا أهون عليه من ابليس ولولا ان الله أمرنى أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك للشيطان فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا همنا اليه فكفانا من دونه وسئل بعضهم بم تدفع ابليس فقال لا أدفع من لا أعرف فأما ان أهملت ذلك وغفلت عنه ولم تعلم أنه غلبك لا محالة لثبوت سلطنته عليك ووصوله بالوسوسة اليك قال أهل العلم ان لكل أحد من الناس وسواسا موكلا به مستبطنا قلبه وأضعار أسه أو قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر الله خنس أى تأخر واستتر وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه الشيطان قديم وأنت حديث والشيطان كبير وأنت سليم الناحية والشيطان لا ينساك وأنت لا تزال تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل صدر ابن آدم مسكن له ومجراه من ابن آدم مجرى الدم وأنت لا تناومه الا بعون الله تعالى وقال مالك بن دينار رضى الله عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله وفيه يقول القائل

أشكو عدوا كيده برانى * ولا أراه حيثما يرانى
وعندما أنساه لا ينسانى * ياسيدى ان لم تغث سبانى

وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم مادامت الارواح فيهم قال له ربه وعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى ﴿(جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه)﴾ عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك اذ من مقتضاها كما قلناه ان لا يغفل عنك وان يبذل جهده فى محاربتك ومقاتلتك بنفسه وبجنده وبخيله وبرجله ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك فى غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوى المتين فيوجد منك حينئذ الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه فى دفعه عنك فعداوة الشيطان هى التى ردتك الحق تعالى بها اليه وجعلتك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك حركة

(جعله) الله (لك عدوا) قال تعالى ان الشيطان لكم عدو الآية (ليحوشك به اليه) لانك اذا عرفت أنه لا طاقة لك على مقابلته بنفسك لما أنت عليه من غاية الضعف والعجز اضطررت لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك القوى المتين ووجد منك الالتجاء اليه والانتصار به والتوكل عليه فى دفعه عنك فعداوة الشيطان هى التى ردتك الله بها اليه وجعلتك بها عليه وهذا هو غاية المقصود وهذا فى حق غير المحبوبين الذين صرفوا هممهم الى جناب الحق اماهم فلا يحتاجون الى عدو يحوشهم لان تعلقهم به كالطبيعى فيهم فلا يلتفتون الى ابليس ولولا أمر الله تعالى لهم بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه (وحرك عليك النفس) بطلب متابعة الهوى والشهوة (ليدوم اقبالك عليه) لانك لا تقدر أيضا على مجاهدتها وقمع هواها الممتزج بلحمك ودمك الا بعون هو أقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بالهم عليه لا سيما وهى أعدى أعدائك اذ بواسطتها يتوصل اليك ولانها عدو من داخل البيت وعداوة العدو الذى من داخل البيت أشد ولذا سمى صلى الله عليه وسلم جهادها بالجهاد الاكبر

(فأنت المتكبر حقا) ولا ينتفى عنك التكبر الا بوجود الضعة حقيقة بان لاترى لنفسك مرتبة ولائقة ثم قال (ليس المتواضع الذى اذا تواضع) أى فعل افعال المتواضعين بأن جلس فى أسفل المجلس مثلا (رأى أنه فوق ماصنع) أى انه يستحق الجلوس فى صدر المجلس مثلا (ولكن المتواضع) هو (الذى اذا تواضع) أى فعل افعال المتواضعين بأن جلس قريبا من صدر المجلس مثلا (رأى أنه دون ماصنع) وانه يستحق ان يجلس فى أسفل المجلس مثلا والحاصل ان المتواضع حقيقة هو الذى لايثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد بين ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ماينعه من ذلك ومن كان متصفا بهذه الصفة لوفعل من أفعال المتواضعين ماشاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ماصنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود عليه فان أثبته لنفسه ورأى نفسه فوق ماصنع مما يقتضى وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذا قال الشبلى من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال ذلى عطل ذل اليهود ومن علامة التحقق بهذا الخلق ان لايغضب اذا عوتب أو انتقص ولايكره أن يذم أو يقذف بالكبائر ولايحرص على ان يكون له عندهم قدر وجاه ولا يرى لنفسه موضعا فى قلوب الناس

النفس بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جعل فيها من الطبع والجبلة نعمة عظيمة أيضا وان كانت أعدى الاعداء لك اذ بواسطتها تتوصل الى الله وبامرها يعملون فيما يعود بالضرر عليك من قبل انك لاتقدر على مجاهدتها وقمع هواها المتزج بلحمك ودمك الابمن هو أقوى منك وليس ذلك الامولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال عليه والعكوف بابه عليه وكان المؤلف رحمه الله تعالى قصد فى هذه الكلمات الى ذكر الاعداء الاربعة المذكورين فى قول الشاعر

انى بليت باربع يرميننى * بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى * يارب أنت على الخلاص قدير

وبين فى كلامه وجود عداوتهم ووجوه الاحتراز منها وتمم ذلك ببيان أن تلك العداوة وان عظمت من أعظم الوسائل الى أسنى المطالب لمن أريد بذلك ووفق له وأتى بجميع ذلك فى ألفاظ بديعة مختصرة وجيزة محررة فاعرف قدر هذا الفصل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل وقال رضى الله عنه ﴿من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فتى اثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر﴾ اثبات التواضع يقتضى وجود الرفعة لامحالة اذلو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا ينتفى عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لايحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت فى نفسه فالتواضع الذى أثبته العبد لنفسه لاينتفى عنه وجود التكبر بالضرورة وأيضا فان لفظة التواضع تؤذن بذلك فان التواضع تفاعل من الضعة وأكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست كذلك كالتناوم والتناكر والتفارج والتماوت وغير ذلك فصيغة التواضع لاتقتضى حقيقة الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب من العبد انما هو أن يتصف بذلك حقيقة لا اظهارا فقط بان ينتفى عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرأ العبد من التكبر ولا يكون له وجود البتة ﴿ليس المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه فوق ماصنع ولكن المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه دون ماصنع﴾ هذا بيان آخر لما ذكر من ان العبد المتواضع حقيقة لايثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ماينعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقى وهو شهوده لذلك ووجده به وظهور آثاره على ظاهره بل شهوده لذلك ووجده به مما يقدح فى حقيقة تواضعه كما قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه من وجد ذوق ذله فى ذله فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتصف بهذه الصفة لوفعل من أفعال المتواضعين ماشاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعا لانه يرى نفسه دون ماصنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود والوجد عليه فان أثبته لنفسه ورأى ان نفسه فوق ماصنع مما يقتضى وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلى رضى الله عنه يوما فى بعض كلامه ذلى عطل ذل اليهود وقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع

نصيب وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لا يتواضع العبد لله حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد رضي الله عنه مادام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ويتواضع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه * وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ماقدروا عليه وقال أبو يونس بن عبيد الله رضي الله عنه وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل ادع الله لنا فبكى وقال ياليتني لم أكن أنا سبب هلاككم ومن علامات المتحقق بهذا الخلق أن لا يغضب اذا عيب أو تنقص ولا يكره ان يذم ويقذف بالكبائر ومن علامات تحققه به أيضا ان يشتد حرصه على أن لا يكون له جاه وقدر عند الناس ويلتزم الصدق في حاله بان لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه وحكى عن أبي الحسين بن الكرنبي أستاذ الجنيد رضي الله عنهما ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده ثم يرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله داره في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وحدثت عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل وهو يأكل فمد يده وقال ان كان ثم شئ لله تعالى فقال اجلس فكل فقال أعطني في كفي فأعطاه في كفه فقعد في مكانه يأكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله تعالى الذل فكرهت أن أفارق حالي قال وكان هذا ربما مد يده الى الهراس فيجعل فيها هريسة ومن أغرب مارأيت في التواضع ماذكره صاحب كتاب عوارف المعارف قال رأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم وأكل وأكلوا وظهر لنا على وجهه مانازل باطنه من التواضع لله تعالى والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله * وأغرب من هذا ماذكره صاحب كتاب بغية الطالب ومنية الراغب أبو الحسن على بن عتيق بن يوسف القرطبي رحمه الله عن أبيه انه رأى الشيخ الفقيه أبا محمد بن عبد الله عبد الرحمن بن مقيد وكان من الفقهاء العلماء وهو يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها قال فرأيته قد الصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز وحينئذ يمشي هو فلما قرب منه الكلب قال فرأيته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي

التواضع الحقيقي هو ما) أي انكسار وانهضام (كان ناشئا عن شهود عظمته تعالى وتجلي صفته) يعني ان شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفاته على العبد هو الذي يوجب له وجود التواضع الحقيقي لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذهبها ويبطل امانيها فاذا تجلى الله تعالى لشيء الا خضع له فلا ينقطع من القلب شجرة الكبر وحب الرياسة الا به وخرج بالحقيقي التواضع المتقدم وهو الذي ينشأ من النظر لنقص النفس وعيوبها فانه ليس حقيقيا لانه قد يكون مشوبا بشيء من الكبر والعجب ولذا قال الجنيد قدس الله سره التواضع عند اهل التوحيد تكبر

قال الغزالي ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها اه فهو غائب عن نفسه وحسه بما يشاهده من عظمة ربه قال في عوارف المعارف لا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وعند ذوبانها صفاؤها عن غش الكبر والعجب اه ثم علل ما تقدم بقوله (لا يخرجك عن الوصف) أي عن أوصاف نفسك كالكبر والعجب (الا شهود الوصف) أي شهود صفات ربك كعظمته فالوصف المذكور أولا هو وصف العبد والمذكور ثانيا هو وصف الرب وهذه قاعدة كلية شاملة لما تقدم ولغيره فلا خروج للعبد عن صفات نفسه الا بشهوده لصفات ربه فمن شهد كبرياء الحق لم يبق به كبر ومن شهد غناه لم يبق له غنى ومن شهد قدرته لم تبق له قدرة فيبقى بربه لا بنفسه فان من شهد أوصاف ربه لم يبق له خبر عن نفسه (المؤمن) الكامل (يشغله الثناء على الله) أي وصفه بالاوصاف الجميلة ونسبة الاوصاف الحميدة اليه (عن ان يكون لنفسه شاكرا) اى معظما لها بنسبة الافعال الجميلة وهو والاحوال الحميدة اليها فاذا قال انا صليت او صمت ونسب الافعال الجميلة اليه لم يكن مؤمنا كاملا لان ذلك فعل الله تعالى والعبد مظهر لذلك فقط ظهر فيه الفعل فلا معنى للاشتغال بالثناء على المظهر عن الثناء على الفاعل المعطي المنان فالمؤمن الكامل لا ينسب الافعال الحسنة والاحوال السنية الى نفسه ولا يلتفت اليها فيكون لها شاكرا اى معظما بل يغيب عن ذلك بنسبتها الى موجدها ومنشئها وهو الله تعالى (وتشغله حقوق الله) اى الحرص على توفية حقوقه تعالى (عن ان يكون لحظوظه ذاكرا) اى ملتفتا لها بأن يعبد الله تعالى لذاته لا لطمع في جنته او هرب من ناره فانه

فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت له يا سيدي اني رأيتك صنعت الآن شيأ استغربته كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تحقق تفكرت فقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي أرفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الآن اخاف المقت من الله الا ان يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني ۞ (التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته) شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذيبها ويبطل امنيتها فاذا تجلى الله تعالى لشيء الا خضع له فلا تنقلع من القلب شجرة الرياسة والكبر الا به لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال قال الجنيد رضي الله عنه التواضع عند اهل التوحيد تكبر وقال الشيخ ابو حامد رضي الله عنه ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها او يرفعها وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه دون الله تعالى وفي كتاب عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغليانها ۞ (لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف) هذه عبارة مليحة موافقة لمعنى ما تقدم الآن والوصف المذكور اولا وصف العبد والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تبارك وتعالى ۞ (المؤمن يشغله الثناء على الله تعالى عن ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا) شكر النفس رؤية نسبة الافعال الجميلة والاحوال الجيدة اليها وذلك ثناء عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظها من اعتقد ان لها حقا على ما يفعله من الطاعات

وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى فالمؤمن الحقيق لا يلتفت الى نفسه فى نسبة شئ من المحاسن اليها او فى طلب حظ عليها بل يشغله الثناء على الله تعالى والحرص على توفية جميع حقوقه عن جميع ذلك ﴿(ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا ولا يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له) المحبة تقتضى من المحب بذل كلياته وجزئياته فى مرضاة محبوبه من غير طلب حظ يناله منه فهذا مما يلزم وجود المحبة كما قيل

ان المحب اذا أحب حبيبه * تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل

بل يرى ما فعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضا محبوبه نهاية السعادة والبخت كما قال أبو حفص عمر بن الفارض رحمه الله تعالى

مالى سوى روحى وباذل روحه * فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتنى * يا خيبة المسعى اذا لم تسعف

ولذلك قيل المحبة الايثار وهوان لا يدع لمحبوبه ميسورا الا بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقى لنفسه ولا لحظه نفسا ولا سكنة ولا يستثنى من كل ما لا بد منه سمسمة وأنشدوا

لئن بقيت فى العين منى قطرة * فانى اذن فى العاشقين ذليل

وقال أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منك شئ وقال أبو يعقوب السوسى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله تعالى وينسى حوائجه اليه وقيل لبعض المحبين وكان قد بلغ المجهود فى بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه بقية ما كان سبب حالك هذه فى المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت فى هذا البلاء قيل وما هى قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبى كله وأنت تعرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبنى فأى شئ تنفق على فقال يا سيدى املكك ما أملك ثم أنفق عليك روحى حتى أهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخالق لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذى ذكرناه من لوازم المحبة الحقيقية وأما رجاء العوض وطلب الغرض فهذا حال من مقامه الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة فى شئ قال الشاعر

من لم يكن بك فانيا عن حظه * وعن الهوى والانس بالاحباب
فلانه بين المراتب واقف * لمنال حظ أو لحسن مآب

وقال آخر وما أنا بالباغى عن الحب رشوة * ضعيف هوى يرجو عليه ثوابا

(قال) أبو محمد رويم من أحب العوض بغض العوض اليه محبوبه وقيل أوحى الله عز وجل الى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انى اذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وقال بعض المحبين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخشن ويتثنين

(ليس المحب) الحقيقى (الذى يرجو من محبوبه عوضا) على عمل يعمله فلا يقصد بأعماله الصالحة جنة ولا نجاة من نار (أو يطلب منه غرضا) من الاغراض الدنيوية والاخروية (فان المحب) أى الحقيقى (من يبذل لك) أى يعطيك (ليس المحب) الحقيقى (من تبذل له) لان المحبة الحقيقية أخذ خصال المحبوب لمحبة القلب فلا يصير عند المحب التفات لغير محبوبه فمن عبده تعالى لجنته فليس محباله بل للجنة

فنظرت الى من نظرة فمكثت أربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن فلم أزل أتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عني وذكر الشيخ الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه قال ميسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع بالحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها وعلى الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم أنشد يقول

أحسن بمولاك سعيد ظننا * هذا الذي كنت له تمنى

تنحي يا حور الجنان عنا * مالك قاتلنا ولا قتلنا

لكن الى سيدكن اشتقنا * قد علم السر وما أعلنا

قال فحمل فقاتل حتى قتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو قد حمل على الناس وأنشأ يقول

قد كنت أرجو ورجائي لم يخب * أن لا يضيع اليوم كدي والطلب

يا من ملا تلك القصور باللعب * لولاك ما طابت ولا طاب الطرب

فحمل وقاتل فقتل منهم عددا كثيرا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة على الناس ثم أنشأ يقول

يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي * مالك قاتلنا فكفي وارجعي

ثم ارجعي الى الجنان واسرعي * لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ولاجل ما ذكرناه من اقتضاء مقام المحبة بذل كلية البذل من المحب لزم وقوع الابتلاآت والمطالبات به حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم أول ما يقول الله عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال لا ما أريد الا أنت قال له من دخل معي في هذا فانما يدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحدوث وثبوت القدم وذلك يوجب له العدم وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه طولعت بشيء من المحبة فقال له يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرته عليه فقال لا قال لا تطمع نفسك في المحبة فانه لا يعطيها أحدا حتى يبلوه وقال بعض علمائنا رضي الله تعالى عنهم كل أهل المقامات يرجون أن يعفو عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله وقال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه وكان له مقامات في المحبة رفيعة قلت ذات يوم رب ان كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرأيت في النوم انه أوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسألني ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه أم هل يستريح المحب الى غير معشوقه قال

فقلت يارب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني كيف أقول فقال قل اللهم رضني
بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك انتهى فللمحبين دقائق خطرات
ولطائف ملاحظات يظهر لهم بذلك الشوق في صفاء سرهم والبعد في مواطن قربهم فهم
يفزعون منها و يخرجون عنها المخافة ان تسترق بشيء من ذلك قلوبهم بأدنى ميل أومساكنة
فيوجب لهم ذلك السقوط من مقامهم الرفيع الذي أهل لهم وأهلوا له ولذلك قال
محمد بن سهل بن عبد الله رضي الله عنه جناية المحب عند الله تعالى أشد من معصية العامة
وهو أن يسكن الى غير الله أو يستأنس بسواه وقيل أوحى الله تعالى الى داود على نبينا
وعليه الصلاة والسلام ياداود اني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي مع حب غيري
ويحكى ان الله تعالى قال لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نعم العبد برخ هولي
الا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن أحبني
لم يسكن الى شيء (ويروى) ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر قد
عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة
فكنت آنس بصوت ذلك الطائر قال ففعل فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد
استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لاتنالها بشيء من عملك أبدا ﴿لولا ميادين النفوس

ماتحقق سير السائرين اذلا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه
حتى تمحوها وصلتك﴾ السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو آثارها ودواعيها
وغلبة أحكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك وتحصل لها أهلية القرب من الله تعالى
وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك كيف والحق
تعالى أقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي وهو المسافة التي تطويها رحلته والبعد
المعنوي وهي القطعة التي تمحوها وصلته محالان في حقه تعالى لنفي المثلية في الاول
وعدم العندية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر عنها المؤلف رحمه الله تعالى من السير
والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات
استعملتها الصوفية في أمور معنوية تجوزوا بها عن امور حسية ومرجع جميع
ذلك كله الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لاغير وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف
ههنا وماتقدم له ولسائر مامر من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد عن الله تعالى
وان بمجاهدتها وقمعها وموتها تنال سعادة لقاء الله تعالى صحيح المعنى (قال) بعضهم
ما الحياة الا في الموت اي ما حياة القلب الا في اماتة النفس وقيل النعمة العظمى الخروج
عن النفس لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله تعالى وقال سيدي ابو مدين رضي الله
عنه من لم يمت لم ير الحق وقال سيدي ابو العباس رضي الله عنه لاتدخل على الله الامن
بابين من باب الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة
وعن حاتم الاصم رضي الله عنه انه قال من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع

(لولا ميادين النفوس) أي
شهواتها وعاداتها ومألوفاتها
الشبيهة بالميادين أي مواضع
مرتكض الخيل بجامع الجولان
في كل فكما ان الخيول تجول في
الميادين كذلك النفوس تجول
في مشتهياتها والمعنى لولا هذه
الشهوات التي تخوض فيها
النفوس وتتعشقها (ماتحقق سير
السائرين) أي ماتصور سير ولا
سلوك الى حضرة ملك الملوك لانه
تعالى أقرب لكل أحد من نفسه
قال تعالى ونحن أقرب اليه من
حبل الوريد فالبعد الذي يوجب
السير الى المحبوب وسلوك الطريق
للوصول اليه قائم بك أيها العبد
وهو شهواتك ولو عدمت منك لم
تحتج الى سير ولا سلوك لان البعد
الذي يحتاج الى ذلك منفي عنه
سبحانه وتعالى حسيا كان
أو معنويا كما أشار الى ذلك بقوله
(اذلا مسافة) حسية (بينك وبينه
حتى تطويها رحلتك) أي ارتحالك
لان المسافة الحسية لاتكون الا
بين متماثلين يصل أحدهما الى
صاحبه (ولا قطعة) بضم القاف
أي انقطاعا وعداوة (بينك وبينه
حتى تمحوها وصلتك) لان الانقطاع
والعداوة لايكونان الا بين
متضادين متعاديين فيحتاج
أحدهما الى الوصلة والمودة وأين
أنت من الله حتى تعاديه والحاصل
أنك عند انتفاء الشهوات منك
لاتحتاج الى سير لان السير الى الله
تعالى هو

خصال من الموت موت أحمر وموت أسود وموت أبيض وموت أخضر فالموت الابيض
الجوع والموت الاسود احتمال أذى الناس والموت الاحمر مخالفة النفس والموت
الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للنفس سر
ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه الا على فرعون فقال أنا ربكم الاعلى ولها سبعة حجب
سماوية وسبعة حجب أرضية فكلما يدفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا
دفنت النفس تحت الثرى وصل بالقلب الى العرش يعني اذا خالفتها وفارقتها وسبيل المريد
الى الوصول الى موت النفس انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه في
ان يعينه ويقويه على أمر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه ويستعمل هذا في كل حال
ووقت وليجعله عمدته فيما هو سبيله وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله ما توقفه طالب
أنت طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون
الخروج من النفس بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة في ظاهره وباطنه
والتزام آدابهما ولكل عبد عمل مخصوص يقتضي لا محالة حكما مخصوصا يقوم
بحقه وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس فحركات العبد وسكناته هي أعماله الظاهرة
ومقصوده وهمه وارادته هي أعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغي أن يأخذ فيه
بعزائم الامور ويجتنب الرخص التي هي من شأن العامة والجمهور حسبما تقدم عند قوله
من جهل المريد أن يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان كان واجبا فليبادر
الى فعله ولا يتوان عنه وليقم بجميع آدابه اللازمة له ويلحق بذلك ما كان مندوبا اليه
اذا علم في أي مرتبة هو وانما اشترطنا هذا الشرط لان المندوبات التي تعترضه يحتاج
فيها الى تقديم الاولى فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم ما ليس بأهم
كان متبعا للهوى لا موجب العلم وليأخذ في ذلك بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا
غلو ولا تقصير ففي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا وان أفضل العمل ادومه
وان قل وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن
يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا وان كان حراما فليبادر الى تركه
واجتنابه وليقطع عن نفسه جميع أسبابه ويلحق بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا
فهذا هو محل نظر المريد فعليه أن يأخذ بالعزيمة فيه وليقف على حدود الضرورة منه
وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه ويعظم حرصها عليه أكثر من اجتنابه لما فقد
منه ذلك ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص تميل نفسه الى ما لا تميل اليه نفس
شخص آخر فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستمر
على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل الهوى
والشهوة ومما يشتد ميل نفوس اكثر الناس اليه ما يكون سبب تناوله واستعماله مراعاة

قطع عقبات النفس ومحو آثار
دواعيها وغلبة أحكام طبيعتها
وجبلتها حتى تطهر من ذلك وتحصل
لها أهلية القرب من الله تعالى
وتصل الى سعادة لقائه ولولا معاناة
هذه الاشياء لم يتحقق السير
والسلوك كيف والحق أقرب
اليك من نفسك فالبعد الحسي
وهي المسافة التي تطويها رحلتك
والبعد المعنوي وهي القطعة التي
تمحوها وصلتك محالان في حقه
تعالى لنفي المثلية في الاول وعدم
الضدية في الثاني فنفسك هي
الحجاب الاعظم عن الله وبمجاهدتها
وقمعها وموتها تصل الى الله * وقال
أبو مدين من لم يمت نفسه لم ير الحق
وقال الاستاذ أبو العباس لا يدخل
على الله الا من باب الفناء
الاكبر وهو الموت الطبيعي وباب
الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة
* وعن حاتم الاصم من دخل في
مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع
خصال من الموت موت أحمر وهو
مخالفة النفس وموت أسود وهو
احتمال أذى الناس وموت أبيض
وهو الجوع وموت أخضر وهو
طرح الرقاع بعضها على بعض
ولا بد للمريد في هذه الطريق من
صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ
من تأديب نفسه وتخلص من هواه
فيسلم نفسه اليه ويلزم طاعته
والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه
من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد
فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقد استوفينا آداب المريد مع الشيخ وبينا من يصلح للمشيخة في غير هذا الكتاب نظر

نظر الخلق والجرى على عوائدهم السيئة ومراسمهم المذمومة ومجاهدة النفس فى مثل هذا عسيرة جدا لاسيما من ابتلى بحب الجاه والرياسة وقبول الخلق فى ولاية حكم أو نشر علم أو غير ذلك فانها أشد الشهوات علاقة بالقلب وأضرها بالمريد فيجب عليه أن يحتفظ بذلك ويبالغ فى تطهير ظاهره وباطنه منه مما يتعاطاه من أعمال وأحوال وقد نبهنا على هذا المعنى فى اول الكتاب عند قول المؤلف رحمه الله تعالى ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويتعين على المريد فى رياضته ومجاهدته أن يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان فى مظان وجدان شهواته ومسى عاداته وأن لا يجامعها ولا يتفق معها فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وضر كما قيل

ان السلامة من سلمى وجارتها * ان لا تمر على حال بواديها

فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك مثلا فى طلب العلم والعمل من أعمال البر فيتفق أن يقع بصره على شئ له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه بالشره والمحبة فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه فى لحظة ما كابد أمره فى سنة مثلا وكذلك سائر حواسه وقد شبه العلماء رضى الله عنهم النفس فى مثل هذا بدابة استعارها رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها فى حاجاته وكانت دابة جموحة صعبة المراس فاذا بها المستعير فى بعض تصرفاته على دار مولاها فنزعت الى دار سيدها فانه لا محالة يحتاج الى صرف عنانها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك عما نزعت اليه وقد يكون عليه فى ذلك تعب ومؤنة وسبب ذلك اغماؤه وخطوره بها على دار مولاها الذى ألفته واعتادته ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة فان تغافل عنها حتى أدخلت يديها فى عتبة الباب واستمكنت منها ثم أراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار كرها وربما جرحت رأسه وآلمته وسبب ذلك اغماؤه وتمكينها من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال النفس قال

فالنفس ان أعطيتها هواها * فاغرة نحو هواها فاها

فلذلك كانت الخلوة والعزلة من أوجب الواجبات على المريد فان نفسه اذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد نسيت عوائدها وفترت دواعيها وبعدا ومته على ذلك يحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة والطمأنينة ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شئ مما ذكرناه اختل عليه حاله واحتاج من اجل ذلك الى المجاهدة الشاقة والرياضة الصعبة وأنى له مع ذلك تلافى مافاته وقد قالوا وقفة المريد شر من فترته (قال) الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه والفرق بين الوقفة والفترة ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة خروج عن السير باستيلاء حالات الكسل وكل مريد وقف فى ابتداء ارادته لا يجى منه شئ انتهى كلامه رحمه الله فبدايات الامور هى التى يجب ان يراعيها المريد والله ولى التوفيق والتسديد ولا غنى للمريد فى هذا القسم عن تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغى وعمل الباطن يرجع حاصله الى أمر واحد

وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد العبودية له وذلك بأن يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الذى ضمنه المؤلف رحمه الله كتابه التنوير فى اسقاط التدبير فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته التوصل الى شئ من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الاجابات فان ذلك فتنة وبلية قاطعة عليه طريق العبودية (قال) أبو عثمان المغربى رضى الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغى أن يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضا ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه فى فتنة أو بلية (وقال) الشيخ ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه من عمل ليجد أو يرى لم يفتح له بشئ حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية (قال) صاحب كتاب عوارف المعارف من دخل الخلوة معتلا فى دخوله دخل عليه الشيطان وسوّل له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال وظن انه حصل على حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار واجتمعوا انفسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة فى جميع الهمم لها تأثير فى صفاء الباطن مطلقا فكل ما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتج تنويرا القلب والزهد فى الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفنى صفاء فى النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتنى به الفلاسفة والدهريون وكلما أكثر من ذلك كثر البعد من الله تعالى ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست هى المقصودة من الخلوة اقول بعضهم الحق يطلب منك الاستقامة وأنت تطالبه بالكرامة وقد يفتح على الصادقين بشئ من خرق العادات وصدق الفراسة وتبين ما يستحدث فى المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح فى حالهم عدم ذلك وانما يقدح فى حالهم الانحراف عن حد الاستقامة وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سبب مزيد انتفاعهم والداعى لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد فى الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى التلحد

وتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقائع ويسمونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فبمداومة العبد على مثل هذه الاساليب التي ذكرناها مشاهد التوفيق ربه عز وجل وتأييده له يحصل له من الله مزيد كثير وعند ذلك يتطهر باطنه من جميع الآفات وخبائث الصفات وتستنير سريرته بأنوار المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها او شهود شيء منها ورد دواعيها اليه وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من اختيارها وارادتها وانمحاء آثار بشريتها فاما بقاء الرسوم والهيا كل فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذه هي السبيل الى موت النفس المفضي الى حضرة القدس لكونه جاريا على مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بأنوارهما يهتدي كل سالك ومريد ولابد للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تهذيب نفسه وتخلصه من هواه فليسلم نفسه اليه وليلزم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقد قال أبو علي الثقفي رضي الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب نفسه ورعونات أعماله لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات (وقال) سيدي ابومدين رضي الله عنه من لم يأخذ الادب من المتأدبين أفسد من يتبعه وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك في كائنها ودقائقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهروب عنها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتني على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما يعوزك وجودان الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه أمن يجيب المضطر اذا دعاه وقال سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لوجدت ذلك أقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى وفي كلامه رحمه الله تنبيه على أن الشيخ من

منح الله وهداياه للعبد المريد الصادق اذا صدق في ارادته وبذل في مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الآداب معه لما أشهده من عالي مرتبته ورفيع درجته (قال) سيدي أبو مدين الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك باخلاقه وأدبك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه وقال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذي أثرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في أنوار الحضرة وقال ها أنت وربك اه وآداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة في كتب الائمة الصوفية رضي الله عنهم ومن أبلغ ذلك وأوجز ما ذكره الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه قال فشروط المريد أن لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سرا أو جهرا فسوف يرى عنه من غير ما يحبه سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يسرونه منهم أشد مما يكابدونه بالجهد وأكثر لان هذا يلحق بالخيانة ومن خالف شيخه لم يشم رائحة الصدق فان برز منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوت أحوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم انتهى وقال الشيخ العارف محيي الدين أبو العباس البوني رحمه الله اياك أن تصغر فعلا يخطر لك أن لا تلقيه الى الشيخ طاعة كان أو معصية على أي نوع برز لك ولو اختلف عليك ألف مرة في ساعة واختلفت اليك ألف ساعة في الخاطر ليعلمك الدواء الذي تزيحه به أو يحمل عنك بهمته قال ولقد رأيت تلميذا من أصحاب شيخنا الامام تاج العارفين أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي رحمه الله تعالى وكنت جالسا عنده فدخل عليه فقير وفي يده باقلاة فقال له يا سيدي اني وجدت هذه الباقلاة فما أصنع بها فقال له اتركها حتى تفطر عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلاة يعلمه بها قال يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح أبدا فاذا اجتهدت النفس بهذه المجاهدات وقوتلت بهذه المقاتلات رجعت عن جميع مألوفاتها الدنية وعاداتها الرديئة وزال عنها النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار وتركت أعمالها وصفت أحوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما أفتت سوى هذه مرض أصابها من الركون الى هذا العالم الادنى

والانس بالشهوات التى تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها واقادتها فلما انعالجت بما ذكرناه عادت الى الصحة والى طبعها الاصلى فألفت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة لان يقال لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى * قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه النفس المطمئنة هى التى تخلصت من السوء ولم يبق بينها وبين السوء نسبة وكانت مباديها فى الاكتساب الايمان والرضا المكتسب فلما صفت وتطهرت من جميع المخلوقات وزال عنها الحجاب الذى هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فأجابت لعدم الحجاب فخرجت للمواهب والرضا الوضى الوهبى الذى قال الله فيه رضى الله عنهم ورضوا عنه فدخلت فى رضا الله المطلوب الموهوب وفى عباده وجنته لا فى جنتها بوصف كسبها وأعمالها اه وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الجيد أن تستوى عنده الاحوال ولا يتأثر باطنه بما يواجهه به من فتح الافعال والاقوال لاستغراق قلبه فى مطالعة حضرة الكمال * قال أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه فى أربعة أشياء فى المنع والعطاء والعز والذل * وقال محمد بن خفيف رضى الله عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وآخذ منه الطشت طول مرضه ففترت مرة فقال لى تمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال كقوله رحمك الله وحكى عن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قال ما سررت فى الاسلام الا مرات معدودات كنت فى مركب يوما وكان به رجل يحكى الحكايات المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتا فى معركة الترك علجا فقلت هكذا وكان يأخذ بلحيتى ويمر يده على حلقى هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن فى ذلك المركب عنده أحد أصغر منى ولا أحقر فسررت بذلك وكان يوم آخر كنت جالسا فجاء انسان وصفعنى من غير سبب ويوم آخر كنت جالسا فجاء انسان وبال على * وكان فى وقت حاتم الاصم رضى الله عنه رجل يسىء القول فيه وفى أصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع من السقف فى بعض الايام فى حال مواجهة القوم بالسب والشتم فات فقال الحمد لله فقيل له هذا خلاف ما أمرنا به فقال ما حمدت الله شماتة بموته بل حمدت الله اذلم أسر بنكبته * هذا وأشباهه من احوالهم معلوم ضرورة * وأبلغ من هذا كله محبة الموت وكراهية البقاء فى الدنيا شوقا الى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى فى كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات فى نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر

لك الدهر طوع والانام عبيد * فعش كل يوم من زمانك عيد

وكما قال سيدى أبو العباس بن العريف رضى الله عنه فى هذا المعنى

بدا لك سر طال عنك اكتتامه * ولاح صباح كنت أنت ظلامه

(جعلك) أيها الانسان (ق) زائدة (العالم المتوسط بين ملكه وملكوته) أى جعلك العالم المتوسط بين عالم الملك وهو عالم الشهادة وعالم الملكوت وهو عالم الغيب فالانسان ليس من عالم الملك محضا ولا من عالم الملكوت محضا بل هو متوسط بينهما حسا ومعنى أما حسا فلأن الله تعالى خلقه بين السماء والارض وغيره من الحيوانات وغيرها مخلوق لاجل انتفاعه به وأما معنى فلان الله تعالى خلقه فى أحسن تقويم وجعله متضمنا الاسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار بذلك روحانيا جسمانيا سماويا أرضيا ولذا يقال له العالم الاصغر (٨٦) ويقال انه نسخة من العوالم ففيه من صفات الملائكة العقل والمعرفة والعبادة ومن صفات الشياطين الاغواء والتمرد والطغيان ومن صفات الحيوانات انه فى حالة الغضب يكون أسدا وفى حالة غلبة الشهوة يكون خنزيرا لايبالى أين يلقى نفسه وفى حالة الحرص على الدنيا والشره يكون كلبا وفى حالة الاحتيال والخداع يكون ذئبا ومن صفات النبات والاشجار أنه يكون فى مبدئه غصنا طريا مترعرعا وفى آخره يابسا أسود ومن صفات السماء أنه محل الاسرار والانوار ومجمع الملائكة ومن صفات الارض انه محل لنبات الاخلاق والطباع ومنه اللين والخشن ومن صفات العرش أن قلبه محل التجلى واللوح انه خزانة العلوم والقلم انه ضابط لها والجنة انه اذا حسنت أخلاقه تنعم به جليسه والنار انه اذا قبحت أخلاقه احترق به جليسه وانما جعلك كذلك (ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته) وانما كلها مسخرة لك ومخلوقة لاجل انتفاعك بها فينبغى لك أن ترفع همتك عنها وتشتغل بمولاك قال أبو العباس المرسى الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة فهذا يتعلق بالتوسط الحسى على مامر وأشار الى مايتعلق بالتوسط المعنوى بقوله (وأنك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته) أى أصداف هى مكوناته أو مكوناته قدره الشبيهة بالاصداف جمع صدفة وهى مافيه الجوهرة وانطواؤها عليه من حيث ان صفات جميعها فيه على مامر ولم يخلق على هذه الصفة الا الانسان فلذا خلقه الله على صفاته وجعله خليفة فى تنفيذ أمره ونهيه وجعل له وجهتين وجهة الى الحق ووجهة الى الخلق وأما الملائكة ومن فى معناهم من الروحانيين فليس لهم الا الوجهة الاولى وهذا فى جبلة كل انسان لكن لايظهر له الا بعد الرياضة والمجاهدة ويسمى حينئذ الانسان الكامل وهذه أسرار لاتدرك الا بالذوق ولا تفشى لغير أربابها ثم أشار الى خاصية أخرى لذلك الانسان بقوله

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه * ولولاك لم يطبع عليه ختامه

فان غبت عنه حل فيه وطنبت * على مركب الكشف المصون خيامه

وجاء حديث لايمل سماعه * شهى الينا نثره ونظامه

اذا سمعته النفس طاب نعيمها * وزال عن القلب المعنى غرامه

وأنشدوا فى معناه أيضا رضى الله عنهم أجمعين

قولى لآمالى ألا فابعدى * قد أنجز الاحباب لى موعدى

قد كنت قبل اليوم مستأنسا * منك بظل مشفق مسعد

اذا نسيم الوصل من نحوهم * هب فلى عندك ظل ندى

وحيث لاحت لى اعلامهم * فليس لى فقر الى مرشدى

وان لم يجدها فى نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما قد يتراءى له من حسن حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد وليس طريق موت النفس بقطع جميع الارفاق عنها وردها الى الاجتزاء بالخشن والنخالة والمبالغة فى التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصور ارادته وترك الالتفات الى مايحمد منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط فى ذلك طوائف من الناس عملوا عليه فى رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فأداهم ذلك الى اختلال عقولهم واضمحلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة ۞ (جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وأنك جوهرة تنطوى عليك اصداف مكوناته) * خلق الله تعالى الانسان فى أحسن تقويم وأتم تسويه وتعديل وجعل بنيته متضمنة أسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار لذلك روحانيا جسمانيا أرضيا سماويا ولذلك يقال له العالم الاصغر وهذا هو الذى يظهر لى فى معنى جعله فى العالم المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلاجرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه نخبة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كان الاكوان كلها له باعتبار احاطتها وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذى يحفظ الشئ ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التى تحويها الصدفة والمقصود من هذا أن يعرف الانسان جلالة

(انما وسعك الكون) أي العالم السفلي وهو الارض (من حيث جسمانيتك) بضم الجيم أي جسمك لان جسمك بعض الكون ومحصور فيه ومصالحه غير خارجة عنه (ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) أي روحك لانها ليست من هذا العالم ولا مناسبة بينها وبينه فلا تصلح أن تتعلق بشيء منه بل لا تصلح أن تتعلق الا بالمولى سبحانه (٨٧) والحاصل أن الانسان مجموع شيئين جسم وروح وبين الجسم والكون مناسبة ومجانسة فهو متوقف على الكون فان تعاطى منه ما يقوم به بقي في هذا العالم والا هلك حسبما جرت به العادة الالهية وليس بين الروح والكون مجانسة ولا مناسبة فلا تصلح أن تكون متعلقة به بل بالمكون وهو المولى جلت قدرته وحينئذ فينبغي السعي في تكميلها بالاذكار والرياضات حتى تزول عنها الكدورات البشرية وتصلح لتعلقها بحضرة الرب الذي هو شأنها الاعظم وأما الجسم فلا ينبغي الاهتمام بما يصلحه فان الله متكفل به ولا بد وإذا قيل

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته
وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(الكائن في الكون) أي الموجود في الدنيا (ولم تفتح له ميادين الغيوب) أي لم ينفتح قلبه للعلوم والمعارف الشبيهة بالميادين (مسجون بمحيطاته) أي بشهواته ولذاته وعاداته المحيطة به من المآكل والملابس والمشارب (ومحصور في هيكل ذاته) أي هيكل هو ذاته النفسانية والمراد شهواته ولذاته فهو مرادف لما قبله (أنت مع الاكوان) أي واقف معها ومستند اليها وهي مستعبدة لك (ما لم تشهد المكون) فيها (فاذا شهدته) فيها (كانت الاكوان معك) أي كنت مستغنيا عنها ومالكا لها وهي محتاجة اليك وخادمة لك فاذا طلبت منها شيئا حصل واذا قلت للشيء كن كان باذن الله تعالى ولذا كان بعض الاولياء يقول للسماء أمطري فتمطر وللريح هبي فتهب وسبب ذلك غيبته عنها بشهود مكونها ومعلوم أن حالة الشهود يغيب فيها الولي عن حسه وعن بشريته

قدره وفخامة أمره فيعلو بهمته الى المراتب السامية اللائقة به وذلك باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه وينظر في هذا المعنى الى ما قال الشاعر

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة * ونارا وأفلاكا تدور وأملاكا
وكنت من السر المصون سريرة * وأدركت هذا بالحقيقة ادراكا
فهم التأني في المضيق تثبطا * مقيما مع الاسرى أما حان اسراكا

كان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وأنت عبد الحضرة * وقد ورد في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم أنا بدك اللازم فالزم بدك * وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الاشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له وقال الواسطي رضي الله عنه في معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم قال بأن سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في تسخير شيء ويتفرغوا الى عبادة ربهم ❁ (انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتفائك به وقضاء أوطارك منه ووقوف أملك في نيل حاجاتك عليه ولا خاصية لك في هذا أيها الانسان لان مرتبتك أجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون وهذه هي خاصيتك التي فيها علوك وعلاؤك ورفعة قدرك فلم تهملها وتنحط منها الى أسفل سافلين قال أبو عبد الله بن الجلاب رضي الله عنه من علت همته عن الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته على شيء من الخلق فاته الحق لانه أعز من ان يرضى معه شريكا وسئل احمد بن خضرويه رضي الله عنه أي الاعمال أفضل فقال رعاية السر عن الالتفات الى شيء سوى الله ❁ (الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته) فمن لازم الكون وبقي معه وقصر همته عليه ولم تفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص سيره الى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته وهذه هي صفات أصحاب النار كما قال الله تعالى أحاط بهم سرادقها وليس في جهنم عذاب أعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال الله تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو حال من بقي مع نفسه وعول على نيل حظه كائنا ما كان وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل عبدي اجعلني مكان همك أكفك كل هم ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت بي فأنت في محل القرب فاختر لنفسك ❁ (أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك)

فرق مابين كونك مع الأكوان وكون الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضى تقيدك بها وحاجتك اليها فأنت بذلك عبد لها ثم هى خاذلتك ومسلمتك أحوج ماتكون اليها وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان معك يقتضى ملككك لها واستغناءك عنها اذ أنت حينئذ حر عنها وهى محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك حتى الجمادات والحيوانات * قال الشبلى رضى الله عنه ليس يخطر الكون ببال من عرف المكون انتهى وهذه حالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضى الله عنهم أنا أدخل السوق والاشياء تشتاق الى وأنا عن جميعها حر وعن المزين الكبير رضى الله عنه قال كنت مع ابراهيم الخواص فى بعض اسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لاقتلها فمنعنى وقال دعها كل شئ مفتقر الينا ولسنا مفتقرين الى شئ وقال محمد بن المبارك الصوفى رحمه الله كنت مع ابراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا فى وقت القائلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعتين فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ ابراهيم رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيأ فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فقام فأخذ منها رمانتين فأكل واحدة وناولنى الاخرى فأكلتها وفى غير هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وأنها تطعم فى كل عام مرة فعلت وارتفعت وحلا رمانها وصارت تطعم فى كل عام مرتين وكانت السباع تجىء الى سهل بن عبد الله رضى الله عنه فيدخلهم بيتا عنده ويضيفهم ويطعمهم اللحم وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت فى البادية مرة فسرت فى وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ماء فنزلت فاذا أنا بسبع عظيم قد أقبل فلما قرب حتى اذا هو يعرج فحمحم وبرك بين يدى ووضع يده فى حجرى فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح ومسحته وشددت على يده خرقة فمضى فاذا أنا به بعد ساعة جاء ومعه شبلان يبصبصان لى وحملا الى رغيفا * وقال بعضهم أشرفت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان يحفظه وقد أخذه النوم واذا حية فى فيها طاقة نرجس تروحه بها * وحكى عن أبى اسحق الصعلوكى رحمه الله تعالى قال خرجت مرة الى الحج فبينا أنا فى البادية اذ تهت فلما جن على الليل وكانت ليلة قمراء فسمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما عرفته ومنها مالم أعرفه فقلت من أين أنت فقال من مدينة سمساط كنت فى عز وثروة فطالبتنى نفسى بالعزلة فخرجت وقد أشرفت على الموت فسألت الله تعالى أن يقيض لى وليا من أوليائه فارجو أنك هو قال فقلت له ألك ولدان قال نعم واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم والى ذكرهم فقال لا الا اليوم أردت ان أشم ريحهم فاحتوشتنى السباع والبهائم وبكين معى وحملن الى هذه الرياحين قال فبينا أنا فى تلك الحالة يرق له قلبى اذا بحية أقبلت فى فمها

ولا يلزم من ذلك فناؤها ولذا قال (لا يلزم من ثبوت الخصوصية) أي ما يخصك الله به من القوة والقدرة على التصريف في المكونات والكشف عن احوالها وغير ذلك (عدم وصف البشرية) كفقر وضعف وعجز وذل وجهل لان الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها ثم ضرب لذلك مثالا من المحسوسات بقوله (انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار) أي كشمس النهار المشرقة (ظهرت في الافق) أي نواحي السماء (وليست منه) أي ليست من ذاتياته وكما أن شمس النهار اذا ظهرت على الآفاق المظلمة استنارت

واذا غربت رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس ذاتيا لها بل هو عرض والامور العرضية لا تزيل الذاتيات كما مر كذا الاوصاف البشرية القائمة بذاتك كالفقر والعجز والضعف شبيهة بالليل فاذا ظهر عليها شمس التجلي بأن تجلى الله عليك بصفة الغنى والقدرة استنارت ذاتك أي حصل لها نور بالغنى والقدرة واذا قبض عنها ذلك رجعت الى حالها والى هذا أشار بقوله (تارة تشرق شموس أوصافه) تعالى الشبيهة بالشموس (على ليل وجودك) أي على أوصافك الذاتية الشبيهة بالليل فتظهر خصوصيتك فتكون قادرا بالله قويا به عالما به وهكذا فاذا تجلى عليك بصفة القدرة حدث فيك قوة غطت عجزك أو بصفة العلم حدث فيك علم غطى جهلك وهكذا (وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك) من العجز والضعف والجهل وغير ذلك فلا تظهر خصوصيتك ولذا كان عليه الصلاة والسلام تارة يظهر عليه وصف القوة والقدرة فيطعم ألفا من صاع وتارة يظهر عليه وصف العجز فيشد الحجر على بطنه من الجوع وكذا ورثته من الاولياء (فالنهار) وهو تلك الخصوصيات التي ظهرت عليك (ليس منك واليك) أي ليس من اوصافك الذاتية (ولكنه وارد عليك) من حضرة الحق سبحانه فان شاء الله أبقاه وان شاء الله أزاله ولذا ترى بعض الاولياء في بعض الاحيان عندهم قوة بطش وفي بعضها يكونون عاجزين ومع هذا شموس أنوار قلوبهم وهي المعارف والاسرار لا تغيب ولا تغرب كما مر وانما الذي يغيب هو الخصوصيات التي تظهر على ظواهرهم وهي الشموس المرادة هنا فلا تعارض

طاقة ترجمن فقالت دع شرك عنه فان الله تعالى يغار على أوليائه قال فغشي علي فما أفقت حتى خرجت نفسه رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ثم وقع على سبات فانتبهت وأنا على الجادة قال فدخلت مدينة مصيصة بعد ما حججت فاستقبلتني امرأة فما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتني قالت يا أبا اسحق كيف رأيت الشاب فاني أنتظرك منذ ثلاث فذكرت لها القصة الى ان قلت قال أردت ان أشم ريحهم فصاحت وقالت آه بلغ الشم الشم وخرجت نفسها فخرجت أتراب لها عليهن المرقعات والفوط فتكفلن أمرها وتولين شأنها رضي الله عنهم أجمعين فهكذا حال من يكون عظيم الهمة شريف الارادة والنية لا يساكن أحدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على شيء من المصنوعات فيتكفل الله تعالى بأمره ويجعل الكون خادما له بأسره رزقنا الله تعالى واياكم ما رزقهم ووفقنا كما وفقهم بجوده وكرمه

﴿لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت في الافق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار ليس منك واليك ولكنه وارد عليك﴾

ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام ذلك الوصف على العبد فقط لأجل الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في يديه أسيرا * ومثال ذلك من المحسوسات اشراق شمس النهار على الآفاق المظلمة لتزيل آثار ظلمانيتها فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمة لان النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هو ما يخص الحق تعالى به اولياءه من ظهور أوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم ليغطي بذلك أوصاف نفوسهم الدنيئة الرديئة عنهم لئلا تظهر آثار كدوراتها في صفاء أوقاتهم كما تقدم من قوله اذا أراد أن يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فاذا أشرقت انوار ذلك الوارد على ليل وجودهم ذهبت بظلمات نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك واليك وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى أصلهم ولزموا الوقوف على حدهم وكانوا في ليل القطيعة والخيبة كما كانوا قبل ذلك * والغرض

ثم قال (دل بوجود آثاره) أى مكوناته ومصنوعاته المتقنة المحكمة (على وجود أسمائه) اذ لا يصدر ذلك الا من قادر مريد عالم (وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه) من القدرة والارادة والعلم (وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه) وهذا حال السالكين فان أول ما يظهر لهم الآثار وهى الافعال فيستدلون بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات وهم الذين يقولون مارأينا شيأ الا رأينا الله بعده وأما المجذوبون فبالعكس كما أشار الى ذلك بقوله (فأرباب الجذب يكشف لهم) أولا (عن كمال ذاته) اى عن ذاته الكاملة فيدركون عيانا ادراك الذوق (ثم يردهم الى شهود صفاته) بأن يشاهدوا ارتباطها بالذات (ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه) بان يشاهدوا تعلقها بالآثار (ثم يردهم الى شهود آثاره) أى صدورها عن الاسماء فأول ما ظهر لهم عن حقيقة الذات المقدسة ثم رقوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ثم أنزلوا الى الشهود الآثار وهم الذين يقولون ٩٠ مارأينا شيأ الا رأينا الله قبله (والسالكون على عكس هذا) كما مر (فنهاية السالكين) وهى شهود الذات المقدسة والكشف عن كمالها (بداية المجذوبين وبداية السالكين) وهى التعلق بالآثار وشهود استنادها الى الله (نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد) اى ليسا متحدين من كل وجه فان نهاية السالكين وان كان فيها جذب لكنه مصحوب بالتمكن وعلم احوال الطريق ومعرفة عقبات النفوس فانهم لم يصلوا الى ذلك الا بعد معاناة وتعب ومشقة بخلاف بداية المجذوبين فانها ليست معها تمكن فلذا يحصل لهم الغيبة وتصدر منهم افعال لا يدرون ما هى ويتركون الفرائض ويفعلون أفعالا منكرة فى الشرع ولا يعاقبون على ذلك لتغطية عقولهم التى عليها مدار التكليف بالانوار وبداية السالكين ليس معها شهود لكمال الذات ولا الاسماء والصفات بخلاف نهاية المجذوبين فانهم لم يحصل لهم حالة المحو الا بعد مشاهدة ذلك فالسالكون عاملون فى ترقيهم على طريق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم فى تدليهم طريق البقاء والصحو واذا كان كذلك (فربما التقيا فى الطريق هذا) اى السالك (فى ترقيه) من الخلق الى الحق (وهذا) أى المجذوب (فى تدليه) من الحق الى الخلق فربما اجتمعا فى تجلى الاسماء أو الصفات بأن يكون كل منهما مشاهد الاسمائه تعالى مثلا لكن المجذوب اذا انتقل من ذلك ينتقل الى الآثار والسالك الى الصفات والسالك افضل من المجذوب للانتفاع به بخلاف المجذوب فاذا أراد الله تكميل حاله أصحاه وكل من علم السالك والمجذوب وهى ذوقى وان كان مبدأ علم الاول استدلاليا كما يؤخذ من قوله دل بوجود آثاره الخ فالمجذوب مادام فى جذبه لا يصلح للمشيخة لعدم مروره على المقامات ومعرفته بغوائل النفوس ولاشتغاله بحاله عن حال غيره كما ان السالك اذا لم يصل الى درجة المشاهدة والتجلى لا يصلح للمشيخة لنقصه وانما يصلح لها من جمع بينهما سواء تقدم سلوكه على جذبه أو بالعكس وتقديم المجذوب على المقامات بسرعة

من هذا الرد على طوائف غلطت فى هذا الامر وتغالت وزعمت أن القرب من الله تعالى والوصول اليه انما يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبر به المشايخ من الفناء والبقاء فوقعوا من ذلك فى ضلال وتزندق نعوذ بالله من ذلك والمعنى الصحيح من ذلك انما هو ماذكره المؤلف رحمه الله تعالى ورضى عنه ههنا ❁ (دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت اوصافه وبثبوت أوصافه على وجود ذاته اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه ثم يردهم الى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا فى الطريق هذا فى ترقيه وهذا فى تدليه) عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين الاستدلال بالاشياء عليه وهم الذين يقولون مارأينا شيأ الا ورأينا الله بعده وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشياء وهم الذين يقولون مارأينا شيأ الا رأينا الله قبله ولاشك أن الدليل أبدا اظهر من المدلول فأول ما ظهر للسالكين الآثار وهى الافعال فاستدلوا بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقى والصعود من أسفل الى أعلى وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسماء ثم انزلوا الى شهود الآثار فكان حالهم التدلى والتنزل من اعلى الى اسفل فما بدأ به السالكون من شهود الآثار اليه انتهاء المجذوبين وما بدأ به المجذوبون من

كشف

ويعرف غوائل النفوس كذلك فيصلح للمشيخة مع جذبه لكن هذا في بعض المجاذيب كالسيد أحمد البدوي نفعنا الله به لا في كل مجذوب (لا يعلم قدر أنوار القلوب والاسرار) أي السرائر أي الانوار المشرقة عليها وهي العلوم والمعارف اللدنية وما هو مودع فيهما من أنوار الحق (الا في غيب الملكوت) أي الملكوت الغائب عنا وهو عالم الآخرة فمن آمن بالغيب وسعى في تهذيب نفسه حتى حصلت عنده تلك الانوار شاهد الحظ الاوفر هنالك وان كان مهانا في الدنيا غير معتنى به فيها (كما لا تظهر أنوار السماء) وهي أنوار الكواكب (الا في شهادة الملك) أي الملك المشاهد وهو عالم الدنيا لحصول ٩١ المناسبة بين هذه الاشياء (وجدان ثمرات الطاعات) وهي الانوار التي تحصل في قلوبهم وتشرق على ظواهرهم والتلذذ بها في حال فعلها (عاجلا) أي في الدنيا (بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها عاجلا) أي بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة وانها مقبولة عند الله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ولما كان يفهم من هذا أن العمل قد يكون لقصد الجزاء وأنه ممدوح دفع ذلك بقوله (كيف تطلب العوض) أي الجزاء (على عمل هو متصدق به عليك) أي ان هذا غير لائق منك لان الانسان لا يطلب الجزاء من الغير الا اذا فعل معه فعلا يعود نفعه على ذلك الغير وذلك مفقود هنا لان نفع تلك الاعمال عائد عليك لا على الرب سبحانه لانه غني عنك وعن اعمالك وكما أن الجزاء يكون على العمل يكون أيضا على الصدق اي الاخلاص فيه وهو غير لائق أيضا ولذا قال (أم كيف تطلب الجزاء على صدق) أي اخلاص في العمل (هو مهديه اليك) وعبر بالتصدق والاهداء تنبيها على ما ذكر وهو ان ذلك العمل والاخلاص فيه لم يكن الا المنفعة لك فطلب العوض والجزاء اذن على ذلك في غاية القبح ولذا صدر الكلام بكيف المفيدة للاستفهام التعجبي تقبيحا لذلك الوصف واستعمل لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة والهدية في الصدق الذي هو من الاعمال الباطنة وعليه مدار قبول الاعمال الظاهرة اشعارا بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية فان الاولى يتصدق بها الفقراء والثانية الاغنياء فتدل على شرف المهدى اليه

كشف حقيقة الذات اليه انتهاء السالكين لكن لا يجمعهم واحد فان مراد السالكين شهود الاشياء لله ومراد المجذوبين شهود الاشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم التقاؤهما في طريق سفرهما السالك مترق والمجذوب متدل

* (لا يعلم قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر انوار السماء الا في شهادة الملك) أنوار القلوب والاسرار المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم الآخرة وهناك يحصل تمام هذه الانوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر كما أن انوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشياء * (وجدان ثمرات الطاعة عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها عاجلا) ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى في أعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة بأنها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول

* (كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك) العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه هو ما عاد لمنتفع به غيرك ولم يحصل لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرا وباطنا بخلاف هذا كله اذ هي مسلوبة عنك منسوبة الى ربك خلقها واختراعها عائد ثمرة ذلك ومنفعته عليك في ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهداء تنبيها على أن ذلك لم يكن الا المنفعة لك فطلب العوض والجزاء اذا على عمل هذه صفته في غاية القبح ولذلك صدر المؤلف رضي الله تعالى عنه كلامه بكيف ليعجبك من ذلك الوصف * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه مطالبة الاعواض على الطاعات من نسيان الفضل وسئل ابو العباس بن عطاء الله رضي الله عنه عن اقرب شيء الى مقت الله تعالى فقال رؤية النفس وأفعالها وأشد من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها واستعمال المؤلف رحمه الله تعالى لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة ولفظ الهدية في الصدق وعليه

مدار الاعمال الباطنة اشعار بتباينهما فى الشرف كتباين الصدقة والهدية ﴿(قوم تسبق

أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم

وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك ذاكر ذكر ليستنير به قلبه فكان ذاكرا وذاكر

استنار قلبه فكان ذاكرا والذى استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدى وبنوره يقتدى)

سبقية الاذكار للانوار هو حال المريدين السالكين وذلك لان شأنهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون بالاذكار فى حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك زوائد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار هو حال المريدين المجذوبين لانهم مقامون فى السهولة والخفة فهم لما وجهوا بالانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل قال فى لطائف المنن حاكيا عن شيخه أبى العباس المرسى وقال رضى الله تعالى عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه وتعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوى مهامه نفسه وبيداء طبعه الى أن وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء فالاول حال السالكين والثانى حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدؤه المواصلة رد الى وجود المعاملة ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا ما تسمع عند مراجعة المنتسبين للطريق أن السالك اتم من المجذوب لان السالك عرف طريقا بها توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على ان المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته متاعبها وطول أمدها والمجذوب كمن طويت له الطريق الى مكة والسالك كالسائر اليها على أكوار المطايا اه ما ذكره فى حال الجذب والسلوك وهو حسن

قل ان يوجد لغيره فلذلك أوردته ههنا بكماله ﴿(ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر)

اعمال الظاهر تكون تبعا لما يكون فى الباطن وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر الذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر

(قوم تسبق أنوارهم أذكارهم) وهم المجذوبون المرادون فلما واجههم الانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل بل بسهولة وخفة (وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم) وهم المريدون السالكون وذلك لان شأنهم المجاهدة والمكابدة فيأتون بالاذكار فى حال تكلف منهم وتعمل ليحصل بها الانوار فالاولون وصلوا بكرامة الله تعالى الى طاعة الله ويصدق عليهم قوله تعالى يختص برحمته من يشاء والآخرون وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله ويصدق عليهم قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية ثم ذكر عبارة أخرى لبيان حال الفريقين بقوله (ذاكر ذكر ليستنير قلبه) وهو السالك (وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا) وهو المجذوب فالذكر له كالنفس الطبيعى بل أسهل بخلاف الاول وتقدم ان السالك اتم من المجذوب لان الاول عرف طريقا توصل بها الى الله وناله فيها غاية التعب والمشقة والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على أن المجذوب لا طريق له وهو كذلك بالنسبة لاغلب المجاذيب والا فبعضهم له طريق طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله عاجلا كما مر فلم تفته الطريق وانما فاته متاعبها وطول أمدها ثم أشار الى ما يتعلق بالمجذوب والسالك جميعا بقوله (ما كان ظاهر ذكر) أى ذكر ظاهر (الا عن باطن شهود وفكر) اى الا عن شهود للمولى باطنا وفكر فيه فكل من المجذوب والسالك لم يذكر ظاهرا الا بعد مشاهدة الرب باطنا وفكر فيه وان كان المجذوب يدرك ذلك والسالك قد لا يدركه لغلظ بشريته فلم يفقد النور السابق بالكلية والا لما أمكن منه الذكر وقد تقدم قوله لولا وارد ما كان ورد فلولا التجلى لم يكن التحلى والمراد بالذكر هنا سائر الاعمال الظاهرة وعبر به عنها لانه روحها ولاشتمالها عليه فكل من الشهود والفكر يرجع للمجذوب والسالك ويحتمل رجوع الاول للاول والثانى للثانى ثم بين ذلك المعنى بقوله

(أشهدك) أى تجلى لقلبك فشهدته على حسب قدرك (من قبل ان يستشهدك) أى يطلب منك أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك
وعباداتك فان الذكر والعبادة شهادة منك بعظمة المذكور والمعبود واعتراف بوحدانيته (فنطقت بالهيته) أى بما يدل على
ألوهيته (الظواهر) أى الجوارح الظاهرة وهذا راجع للثانى وهو الاستشهاد وقوله (وتحققت بأحديته القلوب والسرائر)
راجع للاول وهو الاشهاد ويحتمل أن معنى ذلك ان الله تعالى كشف للارواح فى عالم الغيب عن ألوهيته وأحديته ذاته واحاطة
قيوميته ثم لما أظهرها فى عالم الشهادة بأن ركبها فى الاجسام طلب منها على لسان الانبياء الشهادة له بالالوهية فشهدت بلسان
حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعا الشهودها لما أشهدت فقوله أشهدك أى فى عالم الارواح وقوله من قبل ان
يستشهدك أى يطلب منك الشهادة بعد أن ركبها فى الاجسام فنطقت بالوهيته الظواهر أى الجوارح الظاهرة نطقا حقيقيا فى
اللسان وحاليا فى غيره وقوله فنطقت مفرع على محذوف اى فلما طلب منها الشهادة 93 على لسان الانبياء نطقت وتحققت
بأحديته أى جزمت بكونه واحدا
لاشريك له القلوب والسرائر
جمع سريرة كالضمائر (أكرمك)
أيها العبد الذى أشهدك ولاك
ثم استشهدك فذكرته بلسانك
وعباداتك ووحدته بقلبك
وسرك (بكرامات ثلاث) جمع
لك بها كل المفاخر والمحامد
الاولى انه (جعلك ذاكراله)
بلسانك وعباداتك الظاهرية
والباطنية (ولولا فضله لم تكن
أهلا لجريان ذكره عليك) لانك
مجبول على النقص والكسل
والفتور فحصول ذلك منة وفضل
عليك ومن أين أنت حتى تكون
محلا لذكره وموضعا لطاعته
والتعلق به (و) الثانية انه
(جعلك مذكورا به) بأن يقال
هذا ولى الله وصفيه ومختاره
وذاكره (اذحقق) أى أثبت
(نسبته) أى خصوصيته (لديك) وهى ما أظهره عليك من أنوار الذكر التى استنار به ظاهرك وباطنك فتحقيق الخصوصية لديك
سبب فى ذكرك به اى انتسابك له ومن كانت له أدنى نسبة عند ملك من ملوك الدنيا تراه يصونها ويحفظها ويفرح بها ويجد فى
نفسه انبساطا عند تذكرها فكيف بهذه النسبة العظيمة التى صرت تذكر بها فى الملا الاعلى وعند المؤمنين الى آخر الدهر فان
من مات من العلماء والصالحين الذين كثر ذكرهم لله تعالى يبقى الثناء عليه ولا ينقطع ذكره والدعاء له ومن مات من غيرهم مات ذكره
معه ويحتمل أن قوله اذحقق فى قوة التفريع على ماقبله والمعنى جعلك مذكورا به فحقق نسبته لديك أى انتسابك له فيكون ذكرك
به تحقيقا لنسبتك له (و) الثالثة أنه (جعلك مذكورا عنده) لحديث من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاذكرته
فى ملاخير من ملئه (فتمم نعمته عليك) بذكرك عنده قال تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله

ثم بين هذا المعنى بقوله ﷺ (أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بالهيته الظواهر
وتحققت بأحديته القلوب والسرائر) كاشف الله تعالى القلوب والاسرار فى غيب
الغيب بحقائق وحدانيته واحاطة قيوميته فلما اشهدها ذلك اضمحلت وتدكدكت
وتلاشت فتحققت بذلك الاحدية فلما أظهرها فى عالم الشهادة ملتبسة بالاجسام والهيا كل
طلب منها الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها
لما استشهدت تبعا لشهودها لما أشهدت فالعبد من حيث سره وقلبه بوصف الجمع ومن
حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولابد فى هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد
قالوا كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رضى الله عنه فى
معنى الجمع والتفرقة

فتحققتك فى سرى فناجاك لسانى فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دانى

ذهب الجنيد رضى الله عنه الى أن قربه بالوجد جمع وغيبه فى البشرية تفرقة
ﷺ (اكرمك بكرامات ثلاث جعلك ذاكراله ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك
وجعلك مذكورا به اذحقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك)
أكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد أولها كونه
ذاكراله بأن أجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن أين له ذلك وبأى وسيلة ناله لولا فضل
الله تعالى وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره
وذلك بما أكرمه الله به من تحقيق النسبة اليه وهى اثبات الخصوصية له وقد تقدم معنى

الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه هي غاية الاكرام ومنتهى الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله أكبر قيل معناه ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد له وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ عليك القرآن قال قلت يارسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرأ على "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" وفي حديث أبي حبة البدري رضي الله عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الى آخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ان جبريل عليه السلام امرني ان اقرئك هذه السورة فقال أبي أوذكرت ثم يارسول الله قال نعم فبكى أبي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة وعن أبي هريرة وأبي سعيد يشهدان به على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يقول ياجهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا ﴿(رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده) الامداد الالهية التي يمد الحق تعالى بها عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم لا أثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا تنقص بذلك ولا تزيد به ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم ويختلف هذا باختلاف تراكيب خلقهم ومجبول فطرهم ولا مدخل للزمان في هذا الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة على سائر الامم على قصر أعمارهم وطول أعمار غيرهم * قال احمد بن أبي الحواري رضي الله عنه قلت لابي سليمان الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني اسرائيل قال بأي شيء قلت بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشيء لا والله ما يريد الله لنا ان تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فما عنده هذا اذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذلك في عمره ﴿(من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة) البركة في العمر أن يرزق العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته وانتهاز فرصة امكانه خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ في ذلك مجهوده بالكلية وفي أثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية وتشرق عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي الاشارة اليه وكل ذلك في زمن يسير وعمر قصير فيرتفع له في شهر مثلا ما لا يرتفع لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في

(رب عمر اتسعت آماده) اى غاياته وأزمنته (وقلت امداده) بفتح الهمزة اى فوائده وذلك كأعمال الغافلين عن الله المشتغلين بشهوات نفوسهم فانها وان كانت طويلة في الحس فهي قصيرة في المعنى لقلة أمدادها (ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده) وذلك كأعمار الذاكرين فانها وان كانت قصيرة حسا فهي طويلة معنى لكثرة أمدادها وذلك هو معنى البركة في العمر كما يأتي للمصنف فوائد العمر لا يلزم أن تكون على قدر آماده أي أزمنته وبحسبها بل قد يحصل لصاحب العمر القصير من الفوائد ما لا يحصل لمن هو اطول منه بأضعاف مضاعفة (من بورك له) أي من أراد الله أن ينزل البركة (في عمره) رزقه الاقبال على مولاه فأدرك في يسير من الزمن من منن الله ما لا يدخل تحت دوائر العبارة) أي تحت العبارة الشبيهة بالدوائر بجامع الاحاطة بما يحوى به (ولا تلحقه الاشارة) أي لا تصل اليه والمعنى اذا أراد الله تعالى أن يبارك في عمر ولي من أوليائه رزقه من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته فيبادر الى الاعمال الصالحة في جميع ساعاته فيدرك في يسير من الزمان مما يمن به المولى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة أي ما لا تحيط به العبارة لكثرته وشرفه فتعجز عنه العبارة ولا تلحقه الاشارة أي لا تصل اليه لرقته وغاية صفائه فيرتفع له في شهر مثلا ما لا يرتفع لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في ألف شهر قال بعضهم كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وكان ابو العباس المرسي قدس الله سره يقول أوقاتنا كلها ليلة قدر قيل وهذا معنى ما روى البر يزيد في العمر

ألف

(الخذلان) هو عدم التوفيق والمعونة (كل الخذلان) أي الخذلان التام (ان تتفرغ من الشواغل) الدنيوية بأن يكون عندك ما يكفيك من الدنيا (ثم لا تتوجه اليه) بالاشتغال بما يقرب من حضرته العلية (وتقل عوائقك) التي تمنعك من الاشتغال بما يقرب من مولاك بأن يكون عندك ما يكفيك من القوت ولو مع الضيق (ثم لا ترحل اليه) بالاشتغال بما يقرب منه فهو بمعنى ما قبله ومقتضاه ان من لم يكن عنده ما يكفيه من الدنيا وكان يحتاج الى التكسب فاشتغل به ولم يتوجه الى الله ولم يرحل اليه فليس عنده كل الخذلان بل بعضه وهو كذلك لان التوجه الى الله والرحلة اليه مطلوب من كافة الخلق وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالواجب على كل أحد أن يرمي بالعوائق والشواغل خلف ظهره ويقبل على مولاه وقد قيل سيروا الى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة وقال تعالى انفروا خفافا وثقالا (الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار) أي في الاغيار وهي مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته من السماء والارض وغيرهما الشبيهة بالميادين وفي نسخة ميادين الاعتبار أي جولان القلب في صنوف المخلوقات وأنواع المكونات لاستخراج ما فيها من العلوم وما انطوت عليه من العبر والآيات الموصلة الى العلم بالله تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجمال وغير ذلك فاذا تفكر في وجود المخلوقات هداه ذلك التفكر الى وجود موجدهم وهذا تفكر العامة واذا تفكر في الحسنات وما يترتب عليها من الثواب والقرب من المولى فعلها وازداد رغبة فيها أو في السيئات وما يترتب عليها من أنواع العذاب تركها ولم يقربها وهذا تفكر العابدين واذا تفكر في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها ازداد زهدا فيها وهذا تفكر الزاهدين واذا تفكر في الآلاء والنعماء ازداد محبة في المنعم بها جل جلاله وهذا تفكر العارفين وخرج بالتفكر في مصنوعات الله التفكر في ذاته فانه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلقه ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره (الفكرة سراج القلب) أي كالسراج الحسي اي المصباح الذي يضيء فيستنير به وبالنور تتجلى حقائق الامور فيظهر به الحق حقا والباطل باطلا فيعرف به عظمته تعالى وجلاله ويطلع على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويعرف وجوه الحيل في التحرز عنها

ألف شهر قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر كان سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا تطويله وزيادة مدته وقيل هذا المعنى في تأويل ما روي في الخبر البر يزيد في العمر ❁ (الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه) من الخذلان أن تصدك العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى ذلك وترمي بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله عز وجل عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل فهذا هو الخذلان كل الخذلان أعاذنا الله منه ❁ قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه فراغ القلب من الاشغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجده من صفاء لبه ❁ (الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار) الفكرة التي ألزمها العبد وحض عليها هي سير القلب في ميادين الاغيار فقط وهي مخلوقات الله ومصنوعاته وأما الفكرة في ذات الله تعالى فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون في آياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق قال تفكروا في خلقه ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره ❁ قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا فيها وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق سبحانه وقال الجنيد رضي الله عنه أشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وفي بعض النسخ الفكرة سير القلب في ميادين الاعتبار ومعناه ظاهر ❁ (الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له)

الى غير ذلك (فاذا ذهبت فلا اضاءة له) فالقلب الخالى عن الفكرة خال من النور كالبيت المظلم ولا يكون فى القلب المظلم الا الجهل والغرور (الفكرة) وهى السير فى ميادين الاغيار (فكرتان فكرة تصديق وايمان) أى فكرة ناشئة عن أصل التصديق الذى هو الايمان بأن يكون المتفكر عنده ذلك وقصده بالفكرة الترقى وزيادة اليقين ولذا تسمى فكرة الترقى وتكون للسالكين (وفكرة شهود وعيان) أى فكرة ناشئة عن ذلك وتسمى فكرة التدلى وتكون للمجذوبين (فالاولى لارباب الاعتبار) اى المستدلين بالآثار على المؤثر وهم السالكون ٩٦ فى حال ترقيهم فان فكرتهم ناشئة عن التصديق والايمان (والثانية لارباب الشهود والاستبصار) أى المستدلين بالمؤثر على الآثار وهم المجذوبون فى حال تدليهم فان فكرتهم ناشئة عن الشهود والعيان وهذا لمن أراد الله تكميل حاله منهم كما مر والا فبعضهم يدوم جذبه وعدم صحوه بل هو الاغلب فيهم وقد تقدم هذا عند ذكر المجذوب والسالك والنوعان المذكوران بالنسبة للمشتغلين بالله اما غيرهم وهم العامة ففكرتهم لتحصيل التصديق والايمان لا لزيادته (وقال رضى الله عنه مما كتبه لبعض اخوانه) وحاصل هذا الكتاب أنه يتضمن حال السالك فى أول ابتداء سيره الى انتهائه وحصوله فى مستقره وذكر آداب السلوك والوصول (أما بعد فان البدايات) أى بدايات الامور (مجلات النهايات) أى يظهر فيها حال النهايات والمجلات بفتح الميم والجيم وتشديد اللام جمع مجلاة كذلك أى محل التجلى والظهور كالمرآة والمجالى المظاهر التى تتجلى فيها الامور والمراد أن بداية المريد تعرف منها نهايته فاذا كان عنده فى بدايته قوة توجه واجتهاد فى العبادات والرياضات كان دليلا على أنه ينتهى الى فتح عظيم وأنه يصل الى مقصوده فى أقرب مدة ومن كان عنده ضعف فى ذلك كان فتحه ووصوله على حسب حاله (وان من كانت بالله بدايته) بأن تكون مجاهداته ومكابداته وأنواع رياضاته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه (كانت اليه نهايته) أى كانت نهايته الى الوصول الى الله تعالى بأن ينكشف له انفراد الله بالقيومية وتوحده بالديمومية وأنه هو الاول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدكدكه واضمحلاله وقد تقدم هذا المعنى فى قوله من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات

القلب الخالى من الفكرة خال من النور مظلم بوجود الجهل والغرور وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها فى ميادين فكرة ۞ (الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب الشهود والاستبصار) تقدم الآن أن الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار وهى فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو نعت المستدلين بالآثار على المؤثر والنزول لارباب الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشئة عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف المستدلين بالمؤثر على الآثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك (وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه) هذا كتاب يتضمن ذكر حال السالك من أول ابتداء سيره الى انتهائه وحصوله فى مستقره وذكر آداب السلوك والوصول وقد أتى رحمه الله تعالى فى ذلك بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة مليحة على طريقة وعظية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام بها عقله ولبه وما ذاك الا لما علق بها من أنوار قلب المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز ۞ (أما بعد فان البدايات مجلاة النهايات) المجلات محل التجلى والظهور فالسالك فى ابتداء سلوكه يتجلى له أمر نهايته ۞ (وان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته) هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان تكون مجاهداته ومكابداته وأنواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والانقطاع اليه فبذلك يصح له وينفذ فى توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ومعنى كون انتهائه الى الله أن يكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالديمومية وانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدكدكه واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى فى قوله من علامة النجح فى النهايات الرجوع الى الله تعالى فى البدايات ۞ (والمشتغل به هو ما أحببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه) المشتغل به أيها المريد السالك انما هو

(والمشتغل به هو الذى أسببته) أيها المريد الصادق (وسارعت اليه) وهو الاعمال الصالحة التى تقربك من مولاك وتوصلك الى معرفته اى فلا تحتقر ذلك الشغل بل كن قرير العين به فانه لا ينبغى الاشتغال الا به (والمشتغل عنه) أى الذى ينبغى الاشتغال عنه وعدم التوجه اليه (هو المؤثر عليه) أى هو حظوظك العاجلة وعراداتك الزائلة التى تركتها وآثرت عليها غيرها وهو اقبالك على مولاك واشتغالك بخدمته فينبغى لك ان تطيب نفسك عنه ولا تندم على مفارقته لانه لا ينبغى الاشتغال به فهذا الكلام القصد منه تهييج السالك وانهاض همته بمدح ما أقبل عليه وذم ما أعرض عنه (ومن أيقن ان الله يطلبه) للقيام بخدمته والاقبال على وظائف عبوديته (صدق الطلب) أى صدق فى الطلب (اليه) أى توجه اليه بصدق واجتهد فى الاقبال على ما يرضيه أتم اجتهاد لان ثمرة ذلك الطلب عائدة عليه لا على المولى سبحانه فلم لا يصدق (٩٧) فى طلبه واجتهاده ويترك حظوظ نفسه وعراداته ان كان من أهل العقل والمعرفة (ومن علم أن الامور بيد الله) ومنها ما يحاوله من القيام بخدمة المولى (انجمع) قلبه عليه (بالتوكل عليه) أى توكل عليه فى تيسير أمره وتسهيل ما يقربه الى حضرته فان ذلك لا يكون الا منه سبحانه لان الامور كلها بيده وليس للعبد مدخل فيها فالقسم الاول وهو قوله صدق الطلب اليه قيام بمقتضى الشريعة والثانى وهو كون الامور بيد الله وانه ينبغى التوكل عليه قيام بحق الحقيقة فقوله عليه تنازع فيه كل من الفعل والمصدر (وانه) بكسر الهمزة عطفا على ان البدايات وفتحها عطفا على أن الامور الخ (لا بد لبناء هذا الوجود) أى لمبنى هو هذا الوجود (ان تنهدم دعائمه) أى اركانه فشبه الوجود بقصر له اركان وهى تخييل (وان تسلب كرائمه) أى نفائسه وما يعز منه

والقصد بهذا تسليته عما يفوته فى حال سلوكه من حظوظه وشهوته لانه اذا علم ان الدنيا لا تدوم لاحد بل لا بد ان تزال عنه او يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه (فالعاقل من كان بما هو أبقى) وهو الدار الآخرة (افرح منه) أى اشد فرحا من نفسه (بما هو يفنى) وهو الدنيا فاذا كانت الدنيا فانية والآخرة هى الدائمة الباقية فلا ينبغى الفرح بالاولى لفنائها ومن فرح بالفانى فنى فرحه ولا عبرة بفرح يفنى ويزول ومن فرح بالباقى دام فرحه وذلك هو الفرح المعتبر وحاصله ان العاقل هو الزاهد واما الراغب فى الدنيا فليس بعاقل بل هو جاهل وفى قوله افرح اشعار بان المطلوب كون الفرح بهذا أشد لان الفرح بالآخرة منتف بالكلية لانه امر طبيعى ثم اشار الى ثمرة التحقق فى مقام الزهد بقوله

هو عملك على التقرب من ربك عز وجل والتوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذى أسببته وسارعت الى اجابة دعوته فيحق عليك ان لا تستقل ذلك الشغل بل تكون به قرير عين والمشتغل عنه انما هو متابعة حظوظك العاجلة وعراداتك الزائلة وهو الذى يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فلتطب عنه نفسا ولا تمل فيه عقلا ولا حسا وهذا الكلام تهييج للسالك وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلى رضى الله عنه سمعت عبد الله بن اسحق الغافقى يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالسحر فاذا رجل يسف التراب فقلت مجهودا ومجنون ثم قلت له يا هذا أتسف التراب قال فقال لى أو تراب هو ثم ناولنى قال فما شككت انه سويق او قند انا اشك أيهما قال فقلت ولى لله وجثوت على ركبتى وقلت ادع الله لى فقال لى عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك ﴿ وان من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم ان الامور بيد الله انجمع بالتوكل عليه ﴾ العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة وظائف العبودية له وذلك بما اختصه به عز وجل من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم لا يصدق العبد فى طلبه واجتهاده اذا أيقن بذلك والامور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه فى ذلك فيجتمع همه ويتيسر امره اذا علم بذلك فالقسم الاول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثانى وفاء بحق الحقيقة ﴿ وانه لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وان تسلب كرائمه ﴾ ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته فى حال سلوكه من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لا بد ان تزال عنه أو يزال عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل أمره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه وتهديم الدعائم وسلب الكرائم من الاستعارات البديعة ﴿ فالعاقل من كان بما هو أبقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره ﴾ فرح العبد بالاشياء الفانية هو

(قد أشرق نوره) أى اشرق نور زهد ذلك العاقل فى قلبه (وظهرت تباشيره) على وجهه فان النور اذا أشرق فى القلب ظهر على الجوارح وكان ذلك مبشرا لها بالقبول (فصرف) أى فبسبب ذلك النور الذى اشرق فى قلبه وتبين له به ما هو حق صرف اى اعرض (عن هذه الدار مغضيا) أى غير ملتفت اليها بقلبه وانى بذلك لان الاعراض قد يكون معه التفات وقوله (واعرض عنها موليا) تفسير لما قبله (فلم يتخذها وطنا) اى لم يستوطنها بظاهره على جهة التمتع والتلذذ (ولا جعلها سكنا) اى لم يسكنها باطنه على جهة المحبة لها ويحتمل ان يجعل الوطن والسكن بمعنى واحد (بل انهض الهمة فيها الى الله) اى اسرع

موجب للزيادة فى همه وغمه اذا فقدها قال سيدى سهل بن عبد الله رضى الله عنه من فرح بغير مفروح به استجلب حزنا لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه وانما يكون فرحه بالامور الباقية التى لا تفنى قد أشرق نوره ذلك فى قلبه وظهرت تباشيره على وجهه واشراق النور وظهور التباشير نتائج تحققه فى مقام الزهد ﴿فصرف عن هذه الدار مغضيا وأعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا﴾ فلما كان العبد على هذا الوصف صرف عن هذه الدار الدنيوية أى مال عنها مغضيا جفنه عن أقذائها من غير مبالاة بذلك معرضا عنها بوجه قلبه قد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا مبالغة فى نبذها واطراحها فلم يتوطنها بظاهره على سبيل التمتع بها والاستبشار ولم يسكنها باطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزلها منزلة السجن والمضيق ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد فى الامور الفانية التى هى بغيضة له فلما وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفائه ما حمله على التعلق بمولاه الباقى الدائم فجعل دنياه معبرا يعبره اليه كما سيقوله المؤلف الآن ﴿بل انهض الهمة فيها الى الله تعالى وسار فيها مستعينا به فى القدوم عليه﴾ هذا ابتداء سيره بقلبه الى الحضرة العلية وبدايته انهاض الهمة الى ربه والاستعانة به فى القدوم عليه وهو اساس أمره كما تقدم قال الشاعر

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك * ضللت ولو أن السماك دليل

قال أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من توهم أن عملا من أعماله يوصله الى مأموله الاعلى أو الادنى فقد ضل عن طريقه لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن ينجى أحدا منكم عمله فما لا ينجى من المخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذى يرجى له الوصول ﴿فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائما تسيارها الى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة

وحرك الهمة الى الوصول اليه (وسار فيها) اى فى الدنيا (مستعينا به) اى بالله لا بأعماله المدخولة (فى القدوم عليه) اى الاقبال عليه والوصول الى حضرته قال بعضهم من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى مأموله الاعلى او الادنى فقد ضل عن طريقه لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن ينجى احدا منكم عمله فما لا ينجى من المخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذى يرجى له الوصول اهـ (فما زالت مطية عزمه) اى عزمه الشبيه بالمطية (لا يقر قرارها) لعدم ما يعوقها وهو التعلق بغير الله سبحانه من الدنيا وكل ما يعوق السالك عن الوصول من الكرامات والمكاشفات والاحوال والمقامات فان ذلك يوقف مطيته عن السلوك والقرار موضع الاستقرار ومعنى كون قرارها لا يقر انها اذا نزلت فى موضع ترتحل عنه ولا تجعله وطنا فلا يسكن قلبه الى شئ من ذلك كما هو مقتضى التحقق فى مقام الزهد وقوله (دائما تسيارها) اى سيرها كالتفسير لما قبله (الى ان اناخت) أى حصلت واستقرت (بحضرة القدس) اى التنزيه وهى حضرة الرب سبحانه (وبساط الانس) أى البساط الذى كل من جلس عليه حصل له الانس وهو تلك الحضرة فشبهها بحضرة ملك عظيم يستريح الوفود اذا وصلوا اليه وجلسوا على بساطه ثم بين صفات تلك الحضرة بقوله (محل المفاتحة) أى الفتح عن القلوب (والمواجهة) أى الاقبال من الله سبحانه (والمجالسة) بأن يصير الله سبحانه حاضرا معه (والمحادثة) بأن يكلمه فى سره بالمعارف والاسرار (والمشاهدة) بان يشاهده بباطنه بعد غيبته عن حسه والمطالعة

(والمطالعة) اى بان يتمكن من المشاهدة ويطلع على علوم الغيب فان الشخص اذا دخل الى حضرة ملك عظيم من ملوك الدنيا يحصل له أولا المفاتحة بأن يفاتح ذلك الملك بالسلام ويفاتحه بالرد ثم المواجهة بأن يقبل عليه بوجهه فقد يكون حال السلام معرضا عنه ثم المجالسة بأن يجلسه بين يديه ثم المحادثة أى التكلم معه لان ذلك ثمرة المجالسة ثم المشاهدة وذلك أن الملك قد يكون صاحب جلال فلا يلزم من الجلوس بين يديه والمحادثة معه مشاهدته بل يطرق جليسه رأسه من هيبته ثم المطالعة التى هى تمكن المشاهدة أو يراد بالمشاهدة مشاهدة الاحوال الظاهرة وبالمطالعة مشاهدة الاحوال الباطنة فانه لا يعرف حال الملك باطنا الا بعد شدة التأمل فهذا حال من وصل الى حضرة ملك من ملوك الدنيا وكذلك السالك اذا وصل الى حضرة المولى سبحانه فانه يقابله بأنواع من الفتوحات والكرامات والتحف السنية والعلوم والمعارف الربانية التى لا يعرف تفاصيلها الا من وصل هنالك وذاق مذاق اهل القرب والتمكين جعلنا الله واياكم منهم بمنه وكرمه آمين (فصارت الحضرة) (٩٩) أى حضرة الرب سبحانه (معشش قلوبهم) أى الموضع الذى تسكن فيه قلوبهم كعش الطير (اليها يأوون) وقوله (وفيها يسكنون) كالتفسير لما قبله أى فصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فى ذهابهم وايابهم وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا مقام الجمع هذا هو انتهاء سفرهم وصعودهم ثم بعد ذلك يتحققون بمقام البقاء وهو مقام الفرق ويؤمرون بمخالطة الخلق وهو المراد بقوله (فاذا نزلوا الى سماء الحقوق) أى الحقوق الواجبة عليهم عند مخالطة الخلق الشبيهة بالسماء بجامع صعوبة الارتقاء الى كل (او ارض الحظوظ) اى حظوظ انفسهم التى تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها الشبيهة بالارض بجامع سهولة الاستقرار على كل (فبالاذن والتمكين) اى لا بشهوتهم ومرادهم والا فلو خيروا بين مقامهم فى تلك الحضرة والخروج منها الى مخالطة الخلق لم يختاروا الا بقاءهم فيها ولذا لما أمر الله أبا يزيد بالخروج الى ارشاد الناس صاح صيحة عظيمة فقال الله تعالى للملائكة ردوا على عبدى فانه لا طاقة له على مفارقتى قال بعضهم وكان فى ذلك الوقت لم يحصل له قوة ورسوخ فى مقام الفرق ثم بعد ذلك قواه واخرجه ولذا قال المصنف فبالاذن والتمكين اذ لا يلزم من مجرد الاذن التمكين أى التمكن فى مقام البقاء بأن يحصل لهم القوة على مخالطة الخلق وتحمل أذاهم (والرسوخ فى اليقين) أى وبعد رسوخهم فى اليقين بالله ومعرفتهم به معرفة ذوقية (فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة) اى فلم يخالطوا الخلق الا مع التأدب التام لانهم يرون الله فيهم ومع التيقظ وعدم الغفلة عن موجدهم فاذا آذاهم شخص تحملوه لله الذى اوجده ورأوا ان الذى سلطه عليهم هو ولاهم لذنب فعلوه لا يليق بمقامهم واذا أكرمهم شخص

والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون) هذه استعارات مليحة استعملها فى سفر القلب الى حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين وحضرة القدس وبساط الانس هما موضع حط الرحال وبلوغ الاوطار والآمال من قبل ان السالك تمحى عنه رسوم بشريته وتبطل أحكام آنيته وتنكشف له اذ ذاك أوصاف معروفه كرأى العين ويكون سره مع الله تعالى بلا أين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة السنية قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون من تحف السادات والاشراف وهى معانى هذه الالفاظ الستة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى ولا تعرف الا بالذوق وكذلك التفرقة بين معانيها الخ فانتهى السائرون بمسايرهم وحمدوا عاقبة أمرهم وصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فى ذهابهم وايابهم الى ظلها يأوون اذا صلى غيرهم بنيران هواه وفى دار المقامة فيها يسكنون حين يزعج سواهم عن متعة دنياه وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفناء والمحو وهذا هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقى

﴿(فاذا نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة

ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا فى ذلك بالله ولله ومن الله والى الله) هذا هو سفر التدلى والنزول وبه يتحققون بمقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من سدرة منتهاهم الى سماء الحقوق وهى حقوق الله عليهم مما امرهم به او نهاهم عنه ليقوموا بذلك فعلا وتركا والى أرض الحظوظ وهى حظوظ نفوسهم التى تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك بالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين ومعنى ذلك أن يدخلوا فى الاشياء بمراد

شكرهم ومعرفتهم ان الذي حرك قلبه للاكرام هو مولاهم فهذه وشبهها هي الحقوق الواجبة عليهم عند النزول ومخالطة الخلق (وا
الى) اى ولم ينزلوا الى (الحظوظ) ويتعاطوها (١٠٠) (بالشهوة والمتعة) بضم الميم اى على سبيل شهوة نفوسهم لها وتمتعهم بها (بل
دخلوا فى ذلك كله) من الحقوق والحظوظ (بالله) اى مستعينين به (ولله) أى لا لحظ انفسهم (ومن الله) اى من عنده لا من عند أنفسهم (والى الله) اى متوسلين اليه فى نيل مرادهم ثم السفر الاول وهو السير الى حضرة المولى يقال له سفر الترقى والثانى وهو النزول منها الى مخالطة الخلق يقال له سفر التدلى والى ذلك أشار المصنف بقوله (وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق) المدخل والمخرج فى الاصل بمعنى الادخال والاخراج وقد عبر بهما هنا عن السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقى لانه دخول على الله عز وجل فى حالة فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلى لانه خروج الى الخليقة لفائدتى الارشاد والهداية فى حال بقائه بربه وتحققه فى هذين المقامين أعنى مقام الفناء والبقاء هو معنى صدقية مدخله ومخرجه فالمدخل الصدق ان يشاهد حول الله وقوته فى سفر الترقى فتنتفى عنه بذلك نسبة الاعمال الى نفسه والمخرج الصدق أن يستسلم لربه وينقاد اليه فى سفر التدلى فيرضى بما نقله اليه ولا تتشوف نفسه الى البقاء مع ما نقل عنه ولذا قال (ليكون نظرى الى حولك وقوتك اذا أدخلتنى واستسلامى وانقيادى اليك اذا أخرجتنى) أى ليحصل ذهابى عن رؤية نفسى فى النسبة والوقوف مع الحظ ففى المدخل اشاهد حولك وقوتك ويفنينى فتنتفى عنى بذلك النسبة الى نفسى وفى المخرج استسلم اليك فينتفى عنى بذلك مراعاة حظى (واجعل لى من لدنك)

الله تعالى لا بمراد أنفسهم ويجدون الاذن من الله تعالى لهم بما يشرق فى قلوبهم من النور الذى يجعله الله علما على ذلك وقد ذكر سيدى ابو الحسن فى بعض كلامه قال رضى الله عنه ومعنى الاذن للولى نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعلامة تمد ذلك النور على الشئ الذى يريده فيدركه نورا مع نور أو ظلمة تحت ذلك النور ينبئك أن تأخذ ان شئت أو تترك اوتختارا وتدبرا وتعطى اوتمنع اوتقوم اوتجلس اوتسافر اوتقيم هذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير فاذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى فان قارنته نية صحيحة لفعل زال عنه حكم المباح وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا يخلو أن يلوح عليه لائح الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه المحظور او يكاد ولا تقطع ذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى أو سنة أو اجماع أو خلاف لمتابع قلدته كمالك والشافعى أو غيرهما من العلماء الراسخين فاحكم اذا على أصل صحيح وان تكن الظلمة شبه غيم لا يتصدع معه القلب ولا ينفزع به الذهن فتباعد عنه فانه يكاد أن يكون مكروها ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من ههنا خلق كثير ولا تفت أحدا وان استفتاك واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان تأدبت ههنا فعن قريب تأتيك البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام سيدى أبى الحسن وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى الا أن ما فيه من التفصيل لم يتعرض له المؤلف بل بقى الامر فى ذلك مجملا كما تراه وتقديره فاذا نزلوا الى الحقوق واستعملوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء دب ولا غفلة وهو أن لا يشهدوا قيامهم بها من أنفسهم أو يطلبوا ثوابا عليها من ربهم وان نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا منفعة يقصدون الى نيلها فى دنياهم بل دخلوا فى ذلك بالله مستعينين ولله عابدين ومن الله آخذين والى الله متوسلين قد تولى الله تعالى ادخالهم فى الاشياء واخراجهم منها وأوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكية نفوسهم لهم

وصاروا احرارا كراما ﴿وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ليكون نظرى الى حولك وقوتك اذا ادخلتنى واستسلامى وانقيادى اليك اذا أخرجتنى﴾ المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر بهاتين العبارتين عن السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقى لانه دخول على الله عز وجل فى حالة فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلى لانه خروج الى الخليقة لفائدتى الارشاد والهداية فى حال بقائه بربه وتحققه فى هذين المقامين أعنى مقام الفناء والبقاء هو معنى صدقية مدخله ومخرجه وانما طلب هذا ليحصل له بذهابه عن رؤية نفسه فى النسبة والوقوف مع الحظ ففى المدخل يشاهد حول الله تعالى وقوته فينتفى عنه بذلك النسبة الى نفسه وفى المخرج يستسلم لربه وينقاد اليه فينتفى عنه بذلك مراعاة حظه ﴿واجعل

لى من لدنك سلطانا نصيرا ينصرنى ولا ينصر علىّ ينصرنى على شهود نفسى

اى من عندك بلا واسطة ولا علة من نفسى (سلطانا) اى حجة قاهرة (نصيرا) اى مقويا ومعينا وهو مدد الهى يأتى من حضرة الحق سبحانه فلا يصادمه شئ الا دمغه وذهب به (ينصرلى) على نفسى (وينصربى) أحبابى ومن تعلق بأذيالى من الاخوان والرفقاء (ولا ينصر على) نفسى ولا احدا من اعدائى الباطنة والظاهرة ثم فسر النصرة المطلوبة فى حق نفسه بقوله (ينصرنى على شهود نفسى) بأن لا اشاهدلها فعلا ولا حركة ولا سكونا بل اشاهد ان المحرك المسكن هو أنت (١٠١) (ويغنينى عن دائرة حسى) اى عما يدركه حسى ويدركه وهو المكونات فلا اتعلق بها ولا أشاهد منها نفعا ولا ضرا بل اشاهد ان النافع الضار هو انت وهؤلاء الذين نصرهم الله تعالى ونصر بهم ولم ينصر عليهم هم الضنائن الذين اذا ظهر واحد منهم فى عصر حصل به النفع التام لاهله وامدهم الله بسببه وهم لا يشعرون ومما كتب به الى بعض الاخوان ايضا (ان كانت عين القلب) وهى البصيرة المشابهة للعين الباصرة (تنظر الى ان الله واحد فى منته) اى نعمته اى هو المعطى لها وحده (فالشريعة تقتضى انه لابد من شكر خليقته) فاذا اوصل الحق اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية كالعلوم والمعارف او دنيوية فعليك فى ذلك مراعاة الحقيقة بان ترى ان تلك النعمة من الله وحده وان من اجراها على يديه مقهور مجبور على ايصالها اليك فتحمد الله سبحانه على ذلك ومراعاة الشريعة بأن تشكر من وصلت اليك على يده فتدعو له وتثنى عليه امتثالا لامر الله وعملا بما جاءت به الشريعة ففى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر

١٣ عبادى الله ولان الله اختصه بان اقامه فى ذلك واهله (وان) آى واخبرك ان (الناس فى ذلك) اى فى حال ورود النعمه عليهم على يد احد (على ثلاثة اقسام غافل) عن الله (منهمك فى غفلته) اى متناه فيها (قويت دائرة حسه) يعنى ان حظه ومنظره المكونات فقط مع الغفلة عن الرب (وانطمست حضرة قدسه) أى حضرة التنزيه والمراد بها بصيرته التى هى منبع تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به (فنظر الاحسان) صادرا (من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا) بان يعتقد ان المؤثر والمعطى هو العبد حقيقة

ويغنينى عن دائرة حسى) طلب من الله تعالى النصرة له ليستقيم أمره وطلب منه النصرة به ليكمل حاله فالنصرة له هى ملاك أرباب البدايات من السالكين اذ بذلك يتيسر عليهم قطع عقبات النفس ومحو دواعى الهوى والحس والنصرة به هى مقتضى حال أرباب النهايات من المجتهدين لان بذلك يحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية وكل واحد من القسمين نصرة على شهود النفس وفناء عن دائرة الحس واخرج النصرة عليه من السؤال والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة أحكام نفسه وبقاؤه مع دائرة حسه وقال رضى الله تعالى عنه مما كتب به لبعض اخوانه ۞ (ان كانت عين القلب تنظر ان الله واحد فى منته فالشريعة تقتضى أنه لابد من شكر خليقته) اذا أوصل الحق تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية أو دنيوية فعليك فى ذلك وظيفتان احداهما ان تشهد انفراد الله تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه وحده وترى من سواه ممن أجراها على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعى والبواعث حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية أن تشكر من وصلت اليك على يده بان تدعو له وتثنى عليه امتثالا لامر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى أن اشكر لى ولوالديك وفى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفى حديث اسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله أشكرهم للناس ولان الله تعالى اختصه بأن أقامه فى ذلك وأهله ومن أسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو حق الشرع (وان الناس فى ذلك على ثلاثة اقسام غافل منهمك فى غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلى واما استنادا فشركه خفى) هذا هو بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية الوسايط والعبيد فبدأ بذكر عامة الناس وهم الغافلون المنهمكون فى غفلتهم أصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت دائرة حسهم فقيدتهم ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فابعدتهم ولم يصلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين فكفروا نعمته واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم فى ذلك على قسمين أحدهما ان يعتقدوا

(فشركه جلي) يخرجه عن دائرة الايمان الى دائرة الكفر (واما استنادا) بان يعتقد ان المعطي هو الله تعالى ولكن اسند ذلك الى
المخلوقات على جهة كونها أسبابا غير مؤثرة ولولاهم لم يحصل الاعطاء فاذا قيل له من الذي أعطاك مثلا قال الله ولكن لولا فلان
الذي جاء من قبله لم يحصل اعطاء اذ لولا الاسباب ما كانت المسببات (فشركه خفي) لانه أشرك مع الله غيره وهو المخلوق ولم يغب عن
الله تعالى فهو مؤمن لكن يخشى عليه (٢٠١) الكفر والعياذ بالله تعالى (وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق) فلم
يشعر بهم ولم يلتفت اليهم (وفني عن
الاسباب) وهم المخلوقات فلم يراهم
فعلا (بشهود مسبب الاسباب)
وهو الله تعالى (فهو عبد مواجه
بالحقيقة) وهي حضرة الرب سبحانه
لشهوده لها (ظاهر عليه سناها) اى
نورها وضياؤها (سالك للطريقة) اى
طريقة القوم وسلوكه لها باعتبار
الاصل والا فمواجهته بالحقيقة
لا تكون الا بعد سلوكها ولذا قال
(قد استولى على مداها) أى غايتها
ونهايتها ثم هذا المستغرق في
الحقيقة على الوجه المذكور وان
كان كاملا بالنسبة لاهل الغفلة
فهو ناقص بالنسبة لا كمل منه من
اهل المعرفة ولذا قال (غير انه غريق
الانوار) أى غريق في بحار
التوحيد (مطموس الآثار)
أى مطموسة بصيرته عن رؤية
الآثار والوسايط والعبيد أى
غائب عن رؤية ذلك والشعور به
(قد غلب سكره) وهو عدم احساسه
بالآثار (على صحوه) وهو وجود
احساسه بها (وجمعه) وهو رؤية
الحق وحده (على فرقه) وهو رؤية
الخلق مع الحق فهو في مقام الجمع
لا في مقام الفرق (وفناؤه) وهو استهلاكه في وجود الحق (على بقائه) وهو شعوره بالخلق فهو في مقام الفناء الذي هو واعطوها
مقام الجمع لا البقاء الذي هو مقام الفرق وقوله (وغيبته على حضوره) كالتفسير لما قبله (وأكمل منه عبد) جمع بين الامرين كالنبي
صلى الله عليه وسلم وكامل ورثته وسبب ذلك انه (شرب) من المدد الالهي ومن كؤس التوحيد (فازداد صحوا) بعد سكره (وغاب)
عن رؤية الاغيار (فازداد حضورا فلا جمعه) وهو رؤية الحق (يحجبه عن فرقه) وهو رؤية الخلق (ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه

ذلك بقلوبهم انه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذي يخرج صاحبه عن دائرة
الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني ان يحصل ذلك منهم استنادا اى اعتمادا على
غير الله وسكونا اليه سواء مع سلامة عقدهم وصدورهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج
صاحبه من حقائق الايمان ويدخله في ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه
(وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب
الاسباب فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك الطريقة قد استولى على
مداها غير انه غريق الانوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه
على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره) هذا هو حال الخاصة من ارباب الحقائق
وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يقع لهم شعور بهم ولا التفات اليهم
وفنوا عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا جعلا فهم مواجهون
بحقيقة الحق ظاهر عليهم سناها أى نورها وضياؤها سالكون طريقة الحق قد استولوا
على مداها أى وصلوا الى غايتها ومنتهاها الا انهم غرقوا في بحار أنوار التوحيد مطموس
عليهم آثار الوسايط والعبيد أى مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو
عدم احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت وجود
الحق فردا على فرقهم وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود الحق
على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب أحوال الخلق عن نظرهم على
حضورهم مع الخلق ومعاني هذه الالفاظ كما ترى متقاربة وهي ألفاظ تداولها الصوفية
المحققون بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها على معان اختصوا بفهمها ليتعرف بعضهم
من بعض ما يخاطبون به ولهم ألفاظ كثيرة غيرها وكأن المؤلف رحمه الله تعالى أراد ان
لا يخلو كتابه عن ذكر شئ منها (وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا
فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه
يصده عن فنائه يعطى كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه) هذا هو حال
خاصة الخاصة الذين حازوا رتب الاكملية وهم قوم شربوا كؤس التوحيد فازداد
صحوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم قد ملكوا الاحوال وتمكنوا في مقامات
الرجال فلم يغلبهم محو عن طي ولم يحجبهم شئ عن شئ بل وفوا حقوق جميع المراتب

يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطى كل ذى قسط قسطه) فيشكر الحق والخلق ولا يغيب عن الرب فى حال مخالطة الخلق وقوله (ويوفى كل ذى حق حقه) بمعنى ما قبله وهؤلاء هم خاصة الخلق الذين حازوا رتبة الاكملية تمكنوا فى المقامات وملكوا أحوالهم ومنهم ابو بكر رضى الله عنه ولذا قال المصنف (وقد قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت براءتها من الافك) أى الكذب (على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى القرآن العظيم (يا عائشة اشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان براءتك سببها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تحصل الا ببركته فيستحق الشكر منك (فقالت والله لا اشكر الا الله) لانها فى ذلك الوقت غائبة عن احساسها منغمسة فى الانوار لم تر غير الله (دلها ابو بكر رضى الله عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضى لاثبات الآثار) أى النظر للخلق ومن جملتهم (١٠٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى النظر اليهم شكرهم ثم استدل على انه ينبغى شكرهم بقوله (وقد قال تعالى ان اشكر لى ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله) بالنصب وفاعل الشكر هو العبد والرفع أى لا يثيب الله (من لا يشكر الناس) ولا يرضى له ذلك فينبغى شكر الله لانه الذى حرك قلب العبد وشكر العبد لانه واسطة والضار هو الوقوف معه والغيبة عن الرب (وكانت هى) اى عائشة (فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها) أى مأخوذة عن احساسها غائبة عن حكم بشريتها والاصطلام حالة تعترى العبد من تجلى الله عليه بصفة القهر فتغيبه عن احساسه (غائبة عن الآثار) وهم المخلوقات (فلم تشهد الا الواحد القهار) وفى قوله وكانت فى ذلك الوقت اشارة الى ان ذلك ليس حالا لازما لها فى جميع اوقاتها بل ترقت عنه الى مقام الفرق وهو رؤية الخلق مع الحق * وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة قرة العين كناية عن غاية الفرح والسرور واللذة فكأنه يقول وجعلت غاية فرحى وسرورى ولذتى فى الصلاة لمشاهدة الرب فيها هل ذلك خاص به أم لغيره من أمته منه شرب بكسر الشين وقوله ونصيب تفسير له فأجاب (ان) بكسر الهمزة ان كانت من كلام المصنف وفتحها ان كانت من كلام غيره (قرة العين) أى غاية الفرح والسرور (بالشهود) أى شهود جلال الحق سبحانه وجماله (على قدر المعرفة بالمشهود) وهو الحق سبحانه (فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة) أحد كذلك (كمعرفته فليس قرة عين كقرته) وحاصل الجواب ان قرة العين ليست خاصة به صلى الله عليه وسلم بل كما تكون له تكون لغيره لكن قرة عينه أعظم من قرة عين غيره ومعلوم ان قرة العين لا تحصل الا لمن ذهبت عنه الوساوس

واعطرها مالها من قسط واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم وهذه هى صفة الصديق رضى الله تعالى عنه فى القصة التى يذكرها الآن ﷺ (وقد قال ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أشكر الا الله دلها أبو بكر رضى الله تعالى عنه على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضى لاثبات الآثار وقد قال الله تعالى ان اشكر لى ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هى فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم تشهد الا الواحد القهار) هذا مثال هذين القسمين وقد أشبع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام فيه والمعنى فى ذلك بين لا حاجة بنا الى مزيد تنبيه الا قوله وكانت هى فى ذلك الوقت مصطلمة أى منقطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوفاة عن احساسها بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل القهر وصفة الدهشة وفى قوله وكانت هى فى ذلك الوقت اشعار بأن ذلك لم يكن حالا لازما لها فى جميع أوقاتها بل كان ذلك فى وقت مخصوص وواقعة مخصوصة وذلك صحيح اذ حالها رضى الله عنها هو حال الكمال فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته كحال أبيها رضى الله عنهما وذلك معلوم من اخبارها وسيرها رضى الله تعالى عنها * وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله عليه وسلامه وجعلت قرة عينى فى الصلاة هل ذلك خاص به ام لغيره منه شرب ونصيب فأجاب ﷺ (ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلوات الله عليه وسلامه ليس معرفة غيره كمعرفته فليس قرة عين كقرته وانما قلنا ان قرة عينه فى صلاته بشهوده جلال مشهوده

النفسانية والشيطانية اما من كان مغمورا بها فقليل ان تحصل له قرة عين او فرح ورقاب بين يدى الحق سبحانه وتعالى (وانما قالنا
ان قرة عينه) صلى الله عليه وسلم (فى صلاته بشهوده جلال مشهوده) وهو الحق (لانه قد اشار الى ذلك بقوله فى الصلاة ولم يقل
بالصلاة اذ هو صلى الله عليه وسلم لا تقر عينه بغير ربه) (١٠٤) ومن الغير الصلاة (وكيف) تقر عينه بغير ربه (وهو) أى والحال انه
(يدل على هذا المقام) وهى المرتبة الاولى من مراتب الاحسان (ويأمر به من سواه بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه ومحال ان يراه و يشهد معه سواه) ومن السوى صلاته فيغيب عن نفسه وحسه وعن أفعاله ولا يراها صادرة منه بل يرى الفاعل لها هو الله تعالى (فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من عين منة الله تعالى) اى لا اهله وجعلها بارزة من نفس المنة مبالغة والاظهر بارزة من الله بمنته لا اهله (فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال الله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) ففى ذلك اشارة الى انه لا مانع أن يفرح الانسان بالصلاة ويكون قرة عينه بها فالمانع من كون فرحه صلى الله عليه وسلم بها (فاعلم) مرتب على ما تقدم وهو قوله فان قال قائل وفى بعض النسخ حذف قوله فان قال قائل فيحتاج الى تقديرها وترتب الجواب عليها كأنه قال ان قيل ذلك فاعلم (أن الآية قد اومأت) أى اشارت اشارة خفية (الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب) وهو المعنى الذى يخفى على كثير من الناس (اذ قال) الله تعالى (فبذلك فليفرحوا) أى الامة (وما قال
فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل) وهو الله تعالى (كما قال الله الطراف
تعالى فى الآية الاخرى قل الله) معناه المطابقى قل الله أنزله أى القرآن ومعناه الاشارى المراد هنا قل الله أى افرح به لا بغيره

لانه قد اشار الى ذلك بقوله فى الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات الله عليه وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام و يأمر به من سواه بقوله صلوات الله عليه وسلامه اعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه و يشهد معه سواه فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الآية فاعلم أن الآية قد اومأت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل

كما قال فى الآية الاخرى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) الصلاة هى اجل ما تحف الله تعالى به عباده و يهديه اليهم وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما أوتى عبد فى الدنيا خيرا من ان يؤذن له فى ركعتين يصليهما فانها يحصل لهم الخلوة معه والانفراد بالمجالسة له والانقطاع اليه وفيها يرتفع عن قلوبهم الحجب والاستار و يتجلى فيها حقائق الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة والمصافاة كما تقدم وهى صلة بين العبد وبين ربه عز وجل قال محمد بن على الترمذى رحمه الله الصلاة عماد الدين واول شئ فرضه الله على المسلمين وفى الصلاة اقبال الله على العبد ليقبلوا اليه فى صورة العبيد تذللا وتسليما وتذللا وتخضعا وتخشعا وترغيبا فالقيام فى الوقوف تذلل والتكبير تسليم والثناء والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع والجلوس ترغب والتشهد تملق فأقبل العبد الى الله بهذه الصورة ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب فليس شئ من أمر الدين اعظم من هذه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال فى حديث آخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه مادام فى صلاته وان الله لينصب الى أحدكم وجهه مادام مقبلا عليه انتهى ولاجل هذه الفوائد كانت الصلاة مفزع ذوى الفاقات والضرورات من ارباب القلوب فيغنيهم وجودها عن كل مرغوب و يتسلون بها عن كل محبوب قال الله تعالى وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا الآية فواجب اذا أن تكون قرة اعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح والراحة وكمال النعيم واللذة التى تحصل من غاية الموافقة والملاءمة الا انها تختلف باختلاف أحوال الناس فى مراتبهم ومقاماتهم فمن عظمت منزلته وعلت مرتبته كانت ملاءمته وموافقته فى شهود التوحيد وكمال التجريد المشار اليه فى قوله صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه اذ محال ان يراه و يشهد معه سواه كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وفيما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى قوله لعروة بن الزبير رضى الله عنهما انا كنا نتراءى الله بين أعيننا وكان هذا المخاطب اليه عروة بن الزبير ابنته وهو فى

الطواف فلم يكلمه ابن عمر ولم يرجع اليه بشئ ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب
هذه الحال تكون قرة عينه فى الصلاة لا بما تتضمنه من التجلى التام والشهود الحقيقى
ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملايمته وموافقته فى شهود النعم ووجود الفضل والكرم
وكانت قرة عينه بها لانها الانها فضل من الله وبارزة من منة الله كما قال المؤلف رحمه الله
تعالى فلا شك أن معنى قرة العين فى الوجه الاول أحق وبه أنسب وأليق لان صاحبه فان
عن نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف فهو من المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو
اللعين ومن زالت سلطنته عنه فى صلاته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته وكانت صلاته
ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند فقدان العبد لحديث نفسه ووسوسة
عدوه يحصل له غاية النعيم واللذة ويتحقق فى حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الآخر
فان صاحبه لم يفن عن نفسه فضلا عن ان يرتقى الى درجة البقاء بربه فلم ينقطع عنه حديث
النفس ولا وسواس العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر
لذته فيضعف معنى قرة العين فى حقه قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوى
رضى الله عنه وقرة العين لا تكون لمجاهد ولا لمن يدفع الشيطان عنه بل هى لمن استراح
من المجاهدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل اشرف
المنازل ومرتبته فى المعرفة به أرفع الرتب بحيث لا يتصور أن يشاركه فى ذلك غيره او يحل به
سواء كانت قرة عينه فى صلاته على حسب ذلك فمن قال ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة
العليا والخاصية الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عينى فى الصلاة بعد قوله انما حبب الى من الدنيا الطيب والنساء ولا شك ان حبه لهذين
الامرين ليس على قياس حب غيره لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التى اقتضت منه ذلك ألا
ترى انه ابيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وأمن لاجل ذلك من وقوع مفسدة التباغض
والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر واستعماله صلى الله عليه وسلم الطيب وحبه له انما هو للقائه
الملائكة التى تناجيه والا فهو فى ذاته غنى عن الطيب واستعماله كما قال أنس بن مالك رضى
الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
شممت رائحة قط مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان
حاله فى هذين الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر فيهما سوى لفظ الحب وهما من لذات
الدنيا فكيف يكون حاله فى الامر الثالث مع انه عبر فيه بقرة العين وهى غاية المحبة وهو من
أعمال الآخرة وقيل معنى قوله من الدنيا أى فى الدنيا ومن قال ان لغيره منه شربا ونصيبا
على المعنى الذى يليق بهذا الغير فلقوله وجه وجواب المؤلف رحمه الله تعالى محتمل لهذين
الوجهين والله أعلم بما أراد منهما او من غيرهما وقال المؤلف رضى الله عنه فيما كتب به
لبعض اخوانه ﴿ (الناس فى ورود المنن على ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها
ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا

(ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) وهو
فرحهم بغير الله سبحانه ويؤخذ من
ذلك ان قرة العين قد تكون بنفس
الصلاة العلة السابقة لكن ذلك
لغيره صلى الله عليه وسلم لانه فان
قرة عينه انما تكون بمشاهدة
محبوبه وغيره يشاركه فى ذلك على
حسب مقامه كما مر وقال رضى
الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه
(الناس فى) حال (ورود المنن) أى
النعم عليهم من الله تعالى (على
ثلاثة أقسام فرح بالمنن لا من حيث
مهديها ومنشئها) وهو الله
(ولكن) فرحه (بوجود متعته
فيها) أى بسبب تمتعه وقضاء وطره
ونيل غرضه بها (فهذا من الغافلين)
شبيه بالبهائم الذين يأكلون
ويشربون غافلين عن مولاهم

بما أوتوا أخذناهم بغتة وفرح بالمنن من حيث انه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها
يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح
بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع عليه
فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) * تضمن هذا
الفصل بيان ما يحمد من أحوال الناس وما يذم عند ورود النعم عليهم وحصول الفرح
اذ ذاك لهم وينبنى عليه ما يكون من ذلك شكرا لها وما لا يكون وقد قسمهم المؤلف ثلاثة
أقسام وجعلهم طرفين وواسطة قسم فى غاية الدناءة والخسة وهم الذين فرحوا بالنعم من
حيث ان فيها اقتضاء أوطار نفوسهم ونيل أغراضهم والتمتع بشهواتهم ولذاتهم فأحوال
هؤلاء مذمومة جدا أشبه شئ بهم الانعام والبهائم وهذه أحوال أهل الطرد والبعد
والاستدراج والمكر حسبما أشار اليه فى الآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله فى
هذا القسم وهذه الاحوال بعيدة من الشكر منافية له وقسم فى غاية الشرف والجلالة
وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل ان فيها امتعتهم ولذتهم ولا الى
بواطنها من كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث من بها عليهم فأحوال هؤلاء محمودة
جدا لانهم غابوا عن الاغيار العدمية وتحققوا بحقائق الوحدانية كما أشار اليه فى الآية
الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله فى هذا القسم وحال هؤلاء هى الشكر الحقيقى
الخالص الخالى من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فان عن حظوظ نفسه فهو يرى
الاشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا يخاف عليه من
التغير والانقلاب لتغير الافعال والاسباب ما يخاف على غيره لبقاء حظه قال ابو محمد
الجريرى رضى الله عنه من رأى النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى المنعم بغيبة
النعم فقد شكر وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه كل من لم يشاهد المنعم
فى النعمة كانت النعمة فى حقه استدراجا لانه يؤديه الى ان يسكن اليها فاذا نزعت منه
لزمه ان يتغير عليها ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة وحظ من الدناءة والرذالة
وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم فمن حيث شهودهم للمنة من ربهم
شرفوا وجلت اقدارهم وكانت احوالهم محمودة وهى شكر منهم لائق بهم ومن حيث نظرهم
لانفسهم وبقاؤهم مع حظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة فانحطوا بهذا الوصف
عن مراتب الاعلين وارتقوا بالوصف الاول عن احوال الادنين فخوطبوا بما خوطب به
عامة المؤمنين واوساطهم فى الآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله فى هذا القسم
وقد ضرب الامام ابو حامد الغزالى رضى الله عنه فى كتاب الشكر لهذه الاقسام الثلاثة
مثلا فقال الملك الذى يريد الخروج الى سفر فأنعم بفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم
عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع
به وانه مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له فى الملك بل غرضه

(يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) يعنى انه ربما كان تواتر النعم استدراجا من الله تعالى كلما أعطى نعمة ازداد غفلة ولم يشكر المولى عليها حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر (وفرح بالمنن) أى النعم (من حيث انه شهدها منة من أرسلها ونعمة ممن أوصلها) وهو الله تعالى فيشكره سبحانه عليها ولم يغب عنه لكن حاله ناقص من حيث انه ملتفت الى النعمة وعنده فرح بها وان كان ذلك من حيث بروزها عن الحق (يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله) عز وجل (ما شغله) عنه (من المنن ظاهر متعتها) أى التمتع بها (ولا باطن منتها) أى لم يلتفتوا الى ظاهر النعم من أجل ان فيها لذتهم ولا الى باطنها من حيث كونها دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث من بها عليهم كما هو حال القسمين الاولين فان القسم الاول التفت الى ظاهر النعمة من أجل ان فيها لذتهم وغابوا عن المنعم بها والقسم الثانى التفت الى باطنها من حيث بروزها عن الله عز وجل وان فى حصولها لهم اعتناء منه تعالى بهم (بل شغله النظر الى الله) تعالى (عما سواه والجمع عليه) أى جمعية قلبه عليه (فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون

الفرس

الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحه بمثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من جهة ما يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا ولاستحقاره بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج به في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك محل من يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة نفسها بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي المرتبة العليا وأماراته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص رضي الله عنه شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض • يجد مرا به الماء الزلالا

فاذن هو شرط الفرح بنعمة الله عز وجل فان لم تكن له ابل فعز وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الامام أبي حامد الغزالي وهو في غاية البيان والوضوح وهو

وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود قل للصديقين) أى كثيرين الصدق فى اقوالهم وأفعالهم وأحوالهم (بى فليفرحوا) أى فليفرحوا بى لا بغيرى حيث كنت زادا وكانوا الى عبيدا خالصين من حكم بشريتهم ولذا قيل ان عتبة الغلام دخل يوما على رابعة العدوية وعليه قميص جديد وهو يتبختر فى مشيته على خلاف عادته فقالت له ياعتبة ماهذا التيه والعجب الذى لم اره فى شمائلك قبل هذا اليوم فقال يارابعة ومن أولى بهذا التيه منى وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبدا (وبذكرى فليتنعموا) أى لا يتنعمون الا بذكرى لا بلذات الدنيا وشهواتها فان المشتغل بذكر الله يحصل عنده من اللذة والانس بالله ما لا يوازيه لذة من لذات الدنيا (والله تعالى يجعل فرحنا واياكم) ايها الاحباب الناظرين فى هذا الكتاب (به) تعالى (وبالرضا منه) أى الانعام بدوام المشاهدة (وان يجعلنا من أهل الفهم ١٠٨ عنه) وهم الذين يفهمون عن الله مراده منهم وهو اقبالهم عليه واشتغالهم بخدمته ويفهمون عنه انه حاضر معهم فيراقبونه فى حركاتهم وسكناتهم ويفهمون عنه انه قائم بالاشياء وانها عدم محض فلا يلتفتون اليها فى جلب نفع ولا دفع ضرر ويفهمون عنه انه معهم بذاته لا بعلمه كما يفهمه المحجوبون اهل الدليل والبرهان الى غير ذلك مما هو مقرر عند أهل الشهود والعيان (وان لا يجعلنا من الغافلين) الذين اشتغلوا بالاكوان عن المكون ولم يفهموا مراد الله منهم فلم يقبلوا على طاعته وان اقبلوا عليها فبظاهرهم دون قلوبهم (وان يسلك بنا مسالك المتقين) الذين يتقون ماسواه سبحانه فلا يلتفتون الى غيره فى جلب ولا دفع ولا يغيبون عنه طرفة عين وهذه اعلى مراتب التقوى ودون ذلك اتقاء معاصى الجوارح وشهوات النفوس ودون ذلك اتقاء الشرك (بمنه وكرمه) اى لا بعمله فيحمله على ذلك كأعمالنا المدخولة (وقال رضى الله عنه) وفى بعض النسخ ومن مناجاته (الهى انا الفقير فى) حال (غناى والمنسوب فكيف لا أكون فقيرا فى) حال (فقرى) يعنى ان صفتى الذاتية هى الفقر والاحتياج والغنى امر عارض والعارض بصدد الزوال (الهى انا الجاهل فى) حال (علمى) لان ماعندى من العلم قليل فهو فى حكم العدم وأيضا فهو عارض عليها والعارض بصدد الزوال كما مر (فكيف لا أكون جهولا) أى كثير الجهل (فى) حال (جهلى) واتى بصيغة المبالغة لما فى ذلك من ضم جهل الى جهل وحاصله ان العبد صفته الذاتية هى النقص والكمال عارض له والعارض نقصان فى التحقيق وتقديمه هذا التضرع والافتقار بين يدى دعائه لكون ذلك ارجى للاجابة قال سهل بن عبد الله ما اظهر عبد فقره الى الله فى وقت الدعاء فى شئ يحل به الا قال الملائكة لولا أن لا يحتمل كلامى لاجبته لبيك اه

كالتفسير لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ولذلك أوردته ههنا بكماله * (وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود قل للصديقين بى فليفرحوا وبذكرى فليتنعموا) بهذا تحققت صديقيتهم وعلا ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل ان عتبة الغلام دخل فى بعض الايام على رابعة العدوية رضى الله عنها وعليه قميص جديد وهو يتبختر فى مشيته بخلاف ماسبق من عادته فقالت له ياعتبة ماهذا التيه والعجب الذى لم أره فى شمائلك قبل اليوم فقال يارابعة ومن أولى بهذا التيه منى وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبدا * وقال بعضهم كنت مسافرا الى مكة فبينما أنا أمشى اذ رأيت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت ياشيخ ماهذا الرقص قال دعنى عنك قلت فى نفسى عبد من أنا وكلام من أتلو وبيت من أنا قاصده فاستغرقنى الوجد فرقصت وأنشد فى هذا المعنى

قوم تخالهم زهوا بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له * ياحسن رؤيتهم فى حسن ماتاهوا

ويجوز أن يكون المراد بقوله وبذكرى فليتنعموا أى بذكرى اياهم فى الازل حيث لا وجود لهم والافالذكر المنسوب اليهم محل الآفات والعلل وهم أجل رتبة من أن يكون نعيمهم بشئ ملتبس بهم * (والله تعالى يجعل فرحنا واياكم به وبالرضا منه وان يجعلنا من أهل الفهم عنه وان لا يجعلنا من الغافلين وان يسلك بنا مسالك المتقين بمنه وكرمه) هذا دعاء حسن موافق لمعنى ماتقدم وهو بين لا يحتاج الى تبيين ولا تنبيه عليه فالله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله واحسانه انه أرحم الراحمين * (وقال رضى الله عنه الهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى الهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى) العبد موصوف بصفات النقص وهى ذاتية له والكمال العارض له

(الهى ان اختلاف تدبيرك) فقد يكون العبد فقيرا فيدبر الله له الغنى وبالعكس ويكون مريضا فيدبر الله له الصحة وبالعكس فالمراد بالتدبير المدبر أى المقدر ولذا عطف عليه للتفسير قوله (وسرعة حلول مقاديرك) اى المقدرة على العبد (منعا عبادك العارفين بك من السكون) منك (الى عطاء) اى عن سكونهم الى عطاء يصدر منك (١٠٩) فاذا افيضت عليهم العطايا الدنيوية كالاموال او الدينية كالمعارف والاسرار والمكاشفات لا يلتفتون اليها لانها بصدد الزوال يمكن زوالها واتيان ضدها كما وقع لكثير فى غابر الزمان بل لا يلتفتون الا الى المولى ولا يغيبون عنه ويكون بقاء ذلك وزواله عندهم على حد سواء (واليأس منك فى بلاء) فاذا قام بهم بلية بئيسة كمرض أو فقر او دنيئة كمعصية لا ييأسون من زوالها باتيان ضدها كما وقع لغيرهم (الهى منى) أى يصدر منى (ما يليق بلؤمى) الذى ركبت عليه وهو مبارزتى اياك بالمعاصى التى تليق بى فان شان الانسان عدم الوفاء بحقوق الرب (ومنك) أى ويصدر منك (ما يليق بكرمك) وهو التجاوز والعفو عنى وقبول أعذارى والتفضل والاحسان ودفع الآلام (الهى وصفت نفسك باللطف والرأفة) أى شدة الرحمة (بى قبل وجود ضعفى افتمنعنى منهما) أى من قيام اثرهما بى وحصوله لدى (بعد وجود ضعفى) فاللطف والرأفة صفتان لله عز وجل اتصف بهما فى الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود اثرهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهو اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما واللطف يرجع للعلم والرأفة للارادة (الهى ان ظهرت المحاسن منى) وهى أنواع الطاعات والصفات المحمودة (بفضلك) لا بحولى وقوتى (ولك المنة) أى الامتنان (على) لعدم
١٤ حبا نى استحقاقى لذلك والامتنان مذموم الا من الله أو الرسول او الوالد او الشيخ

والمنسوب اليه نقصان على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى من كونه فقيرا فى غناه وجاهلا فى علمه صحيحا متقيا وكأنه قصد رضى الله عنه بهذا الاعتراف بدوام الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه عز وجل ولا ينفك من الاحتياج اليه والتعلق به والسؤال والطلب منه فى كل حال من أحواله كما قال بعضهم

انى اليك مدا الانفاس محتاج * لو كان فى مفرقى الاكليل والتاج

وهذا منه دليل على تحققه فى مقام العبودية التى اقتضتها عظمة الربوبية وتقديمه لهذه المعانى بين يدى دعائه ومناجاته فى غاية الحسن * قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه ما طلبت من الله شيأ الا وقدمت اساءتى امامى يريد رضى الله عنه حتى لا يطلب من الله شيأ بوصف يستحق به العطاء بل لا يكون طلبه وجوده فضله الا بفضله وقال أبو عثمان رضى الله عنه فى قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية التضرع فى الدعاء أن لا تقدم اليه أفعالك وصلواتك وصيامك وقيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره انما التضرع أن تقدم اليه افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا علاقة ولا سبب فيرفع دعاءك * وقال الواسطى رضى الله عنه تضرعا بذل العبودية وخلع الاستطالة وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما أظهر عبد فقره الى الله تعالى فى وقت الدعاء فى شئ يحل به الا قال للملائكته لولا أنه لا يحتمل كلامى لاجبته لبيك ❁ (الهى ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك فى بلاء) تلوين الاحكام على العباد يقتضى أن لا يساكنوا حالا سارة يكونون عليها ولا ييأسوا فى حال ضارة تنزل بهم من وجود الراحة والفرح وهذا محض تعلق بالله عز وجل وهو نعت العارفين ❁ (الهى منى ما يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك) لؤم العبد الذى ركب عليه يقتضى منه مبارزة مولاه بالعظائم والكبائر وكرم المولى الذى هو متصف به يقتضى منه التجاوز والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من ألطف وجوه السؤال والرغبة وهو من آداب الدعاء * يحكى أن رجلا قال لبعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل له كم أخالفه وأعصيه وهو لا يعاقبنى فأوحى الله تعالى الى ذلك النبى قل له لانك لتعلم انى انا انا وأنت أنت ❁ (الهى وصفت نفسك باللطف والرأفة بى قبل وجود ضعفى أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى) اللطف والرأفة وصفان لله عز وجل اتصف بهما فى الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود آثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهى اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف يتصور اذ ذاك منعه اياهما ❁ (الهى ان ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على

(وان ظهرت المساوى منى) وهى ضروب المعاصى والصفات المذمومه (فبعدلك) لابطريق الظلم لان المالك يفعل فى ملكه مايشاء (ولك الحجة على) بان تقول لى لم فعلت ذلك ياعبدى وليس لى حجة أقيمها عليك كان أقول لك ان ذلك بتقديرك وحكمك لان ذلك شان الجاهل بك أما العالم بك فيقول المالك يفعل فى ملكه مايشاء ولا يسئل عما يفعل (الهى كيف تكلنى الى نفسى وقد توكلت لى) ومن كنت وكيله لا تحوجه الى غيرك (وكيف اضام) أى يحصل لى ضيم وذل (وأنت الناصر لى أم كيف أخيب) بعدم الظفر بآمالى (وانت الحفى بى) أى اللطيف (١١٠) ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفايات مآربه وايصال ذلك اليه برفق فالوكيل والناصر والحفى من اسماء الله تعالى وهى مقتضية لوجود آثارها من الكفاية والمنفعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم فى اللطف والرأفة (ها انا اتوسل اليك بفقرى اليك) اى اجعل فقرى اليك وسيلة اتشفع به عندك فى القبول لا باعمالى المدخولة واحوالى المعلولة ولذا سئل ابو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه سوى فقره وقال ابو يزيد نوديت فى سرى خزائننا مملوأة من الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار * ثم رجع عن جعل الفقر وسيلة يتشفع بها الى المولى فقال (وكيف اتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) وهو الفقر المذكور فكأنه يقول ان كان الفقر يتوسل به اليك فانا اتوسل به لكنه لا يتوسل به اليك لان المتوسل به يكون بينه وبين المتوسل اليه علاقة ومناسبة كالوزير والسلطان ولا مناسبة بين الفقر الذى هو نعت العبد وبين الرب الذى له الغنى الاكبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضى شهوده له واعتماده عليه فيكون حينئذ من الاحوال المعلولة وهى لا تصل الى الله بمعنى انه لا يرضاها ولا يقبلها ولذا قيل ان أبا الحسن الشاذلى قدس سره لما دخل على شيخه عبد السلام قال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله قال بفقرى فقال له والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم ولا تصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك اه فاذن لا وسيلة الى الله بسواه

وان ظهرت المساوى منى فبعدلك ولك الحجة على) ظهور المحاسن على العبد وهى أنواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات فضل من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور المساوى منه وهى ضروب المعاصى والسيآت والاوصاف المذمومات عدل من الله تعالى اذ له أن يفعل بعبده مايشاء والحجة له عليه لانه رب وهو عبد ومناجاة العبد لمولاه بهذا الكلام من أحسن المناجاة وهى مقتضية لوجود اسعافه وموالاة الطافه عليه لما فيها من الثناء على الله تعالى على بساط قربه وذكر صفاته العلية والتعلق بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة والباطنة ولما فيها أيضا من رؤية ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال الهى لا لك شريك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى ان أطعتك فبفضلك ولك المنة على وان عصيتك فبعدلك ولك الحجة على فباثبات حجتك على وانقطاع حجتى لديك الا ماغفرت لى فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار (الهى كيف تكلنى الى نفسى وقد توكلت لى وكيف اضام وانت الناصر لى أم كيف اخيب وأنت الحفى بى) الوكيل والناصر والحفى اسماء لله عز وجل وهى مقتضية لوجود آثارها من وجود الكفاية والمنفعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم فى اللطف والرأفة والضيم فى اللغة معناه انتقاص الحق والحفى هو اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده (ها أنا أتوسل اليك بفقرى اليك) التوسل التقرب والوسيلة ما يتقرب به وأعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما توجبه عبوديته وهو فقره اليه فى كل حال من احواله فلا يرى لنفسه حسنة يقتضى بها ثوابا ولا يدلى بحجة يستدفع بها عن نفسه عقابا قال ابو يزيد رضى الله عنه نوديت فى سرى فقيل لى خزائننا مملوأة من الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار وسئل ابو حفص رضى الله عنه بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره (وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان يصل اليك) بين المتوسل به والمتوسل اليه نسبة تامة ووصلة حقيقية وهى التى اقتضت له وجود التوسل

(ام كيف اشكو اليك حالى وهى لاتخفى عليك) وشكوى الحال لاتصح الا لمن لايعلمها والله تعالى لايخفى عليه شئ ولذا قال الخليل عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى وقولهم لاشكوى الا لله شأن الغافلين المحجوبين (ام كيف أترجم لك بمقالى) أى أعبر عما فى ضميرى بان أقول اعطنى كذا والترجمة فى الاصل التعبير باللسان عما فى الضمير لتفهيم المخاطب (وهو منك برز اليك) أى انت الذى انطقت اللسان وأطلقته بذلك فالترجمة برزت منك وترجع اليك (١١١) لانك المسؤل والعبد لامدخل له فى ذلك فكيف تنسب اليه الترجمة وايضا فهو تعالى عالم باحوال العبد والترجمة لاتكون الا لمن لايفهم حال المترجم والمراد بالترجمة هنا مطلق السؤال (أم كيف تخيب آمالى) أى ما أؤمله وارجوه (وهى قد وفدت اليك) اى توجهت بالسير اليك كما يتوجه الوافدون بالسير الى الكرام وفى بعض النسخ عليك ولاشك انه تعالى كريم جواد متفضل لايخيب من قصده فليكن العبد على يقين بحصول مطلوبه وان لم يسال ولم يطلب ❊ ولما كانت هذه التعجبات تقتضى نسبة النقص الى نفسه وذلك غير لائق بالعارفين المحققين لما فيه من رؤية النفس وملاحظة حالها والبقاء معها والمحقق لايرى غير الله والاحوال كلها حسنة من حيث نسبتها اليه أتى بقوله (ام كيف لاتحسن احوالى) الباطنية والظاهرية وهى الاعمال الصالحة (وبك قامت واليك) اى صدرت منك ورجعت اليك لان المقصود بها من تحقق فى مقام المعرفة رأى احواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع امرها اليه (الهى ما الطفك) اى ا كثر لطفك اى رفقك (بى مع عظيم جهلى) بعواقب الامور فقد يكون فى نزول الامراض والبلايا انواع من اللطف وانا جاهل بعاقبة ذلك فلذا أطلب الصحة والعافية (وما ارحمك بى) اى ا كثر احسانك لى (مع قبيح فعلى) اى مع افعالى القبيحة المقتضية عدم الاحسان فهذا امر يتعجب منه (الهى ما اقربك منى) بذاتك كما يقوله اهل المعرفة والشهود او بعلمك كما يقوله غيرهم من اهل الجحود (وما ابعدنى عنك) بصفاتى التى اقتضت عدم شهودى اياك وهذا تواضع منه قدس الله سره ❊ ثم ترقى فقال

التوسل ولا نسبة ولا وصلة بين الفقر الذى هو نعت العبد وبين الرب الذى له الغنى الا كبر وأيضا توسل العبد بفقره يقتضى شهوده له واعتداده به واعتماده عليه ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال المعلولة لاتليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله تعالى بمعنى انه لايرضاها ولا يقبلها فالفقر لايصح التوسل به من هذا الوجه أيضا والى هذا المعنى يشير ما يحكى عن سيدى أبى الحسن الشاذلى حين دخل على شيخه أبى محمد عبد السلام رضى الله عنهما فقال له يا أبا الحسن بماذا تلقى الله تعالى قال له بفقرى قال له الشيخ والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم ولا يصح حقيقة الفقر الا بالغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك اه فاذن لاوسيلة الى الله بسواه ❊(أم كيف أشكو اليك حالى وهى لاتخفى عليك) شكوى الحال لاتصح الا لمن هى غائبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لايخفى عليه شئ وقد قال ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام حسبى من سؤالى علمه بحالى ❊(أم كيف اترجم لك بمقالى وهو منك برز اليك) الترجمة بالمقال هى التعبير باللسان عما فى الضمير ليقع التفهيم بذلك للمترجم له والله تعالى هو الذى انطق اللسان وأطلقه بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت واليه مآل أمرها والعبد لامدخل له فى ذلك فكيف ينسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه باحوال العبد فكيف يصح فى حقه معنى الترجمة ❊(ام كيف تخيب آمالى وهى قد وفدت اليك) الآمال الوافدة الى الله تعالى لايخيبها من قبل انها فارة اليه ومتعلقة به ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك وليكن على يقين منه وان لم يسال ولم يطلب ❊(أم كيف لاتحسن احوالى وبك قامت واليك) من تحقق بالمعرفة رأى احواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع أمرها اليه وهذه كلها أنواع من التعجب تعجب بها المؤلف رحمه الله نفسه من نفسه فيما هو بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه فى المعرفة التى اوجبت له رؤية نفسه وقصوره فى احواله الاولى ❊(الهى ما ألطفك بى مع عظيم جهلى وما ارحمك بى مع قبيح فعلى) شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم يوجب له الحياء والانكسار فيستحسن منه حينئذ الاعتراف بالنعم فقط ❊(الهى ما اقربك منى وما ابعدنى عنك) شهود المؤلف رحمه الله تعالى شدة قرب الله تعالى منه لما راى من بعد

الاغيار عنه ودفعها له اليه كما سيأتى فى قوله قد دفعتنى العوالم اليك وشهود ابعده من الله عز وجل من حيث أقيم فى الطلب له والطلب للشئ دليل على فقد الطالب له وبعده عنه فالمشاهدة الاولى أوجبت له ملازمة باب مولاه وانقطاع طمعه عن كل ماسواه والمشاهدة الثانية أوجبت له التلطف فى سؤال التقريب والاستغناء عن طلب القرب ومن دعاء سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه ياقريب أنت القريب وأنا البعيد قربك آيسنى من غيرك وبعدى منك ردنى للطلب لك فكن لى بفضلك حتى تمحو طلبى بطلبك ياقوى ياعزيز (الهى ما ارافك بى فما الذى يحجبنى عنك) الرافة اشد من الرحمة ولما شاهد رافته به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه (الهى قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الاطوار أن مرادك منى أن تتعرف الى فى كل شئ حتى لا أجهلك فى شئ) فكأن المؤلف رحمه الله يقول اختلاف الآثار على وتنقلات الاطوار بى من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والقبض والبسط والطاعة والعصيان والفقد والوجد وغير ذلك من مختلفات أحوالى التى هى من شؤنك التى تنزلها بى علمت منها أن ارادتك بى ان تتعرف الى فى كل شئ تعرفا خاصا فى حالة خاصة حتى أشاهد وحدانيتك وعظمتك وجمالك وكمالك وجلالك بحيث لايتصور منى جهل بما أنا فيه قابل لمعرفته من جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا وألزمتنى حالة واحدة ارتضيها النفسى واختارها لكانت معرفتى ناقصة ومشاهدتى قاصرة فانا الآن أتقلب فى جنة معجلة اتبوأ منها حيث أشاء فقد استغرقنى ما أنا فيه من عظيم النوال وشغلنى ذلك عن الدعاء والسؤال وطلب السكون على ما ارتضيه من الاحوال فلك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة والخفية والجلية قال بعضهم فى الدنيا جنة معجلة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شئ ولم يستوحش من شئ قيل وماهى قال معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار رضى الله عنه خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب الاشياء قيل وماهو قال المعرفة ثم قال

ان عرفان ذى الجلال لعز * وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء * وعليهم من المحبة نور
فهنيأ لمن عرفك الهى * هو والله دهره مسرور

وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها مكتوب اذا أحسنت كل شئ فلا تظنن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله عز وجل وفى يد الآخر كنت قبل ان أعرف الله عز وجل اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب قال فى التنوير بعد كلام ذكره واعلم انا اذا قلنا ان الحالة زائلة عنك لا محالة فان مراده ان ينقلك فى الاطوار ويخالف عليك الآثار ليتعرف اليك فى كل حالة خاصة بتعرف خاص فاذا اردت ان يديمك على حالة واحدة فقد اردت ان يسلك بك غير السبيل فكأنه

يقول

(الهى ما ارأفك) اى اشد رأفتك أى رحمتك (بى فما الذى يحجبنى عنك) فان من شاهد رافته به غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه (الهى قد علمت باختلاف الآثار) وقوله (وتنقلات الاطوار) مرادف لما قبله اى قد علمت باختلاف الآثار على وهى تنقلات اطوارى من الصحة والمرض والغنى والفقر والعز والذل والبسط والقبض والوجد والفقد وغير ذلك من شؤنك التى تنزلها بى (ان مرادك منى بذلك (ان تتعرف الى) أى ان اعرفك (فى كل شئ) معرفة خاصة (حتى لا أجهلك فى شئ) ولو كان الامر على خلاف هذا والزمتنى حالة واحدة ارتضيها لنفسى واختارها لكانت معرفتى ناقصة ومشاهدتى قاصرة بيان ذلك ان الله تعالى اذا انزل بى مرضا اوفاقة عرفت فى ذلك الوقت أنه لا يقدر على دفعه الا هو وانه الذى امرضنى وافقرنى فاصبر على ذلك واذا انزل بى صحة اوغنى عرفت انه المنعم على والمعطى لى فاشكره وهكذا ولو فرض أنه ادام لى حالة واحدة كالصحة والغنى لم اعرف المولى فى حالة المرض او الفقر فكنت جاهلا به من حيث المرض او الفقر أى لم اعرف بطريق الذوق انه لا يقدر على كشف الكربة الا هو فتكون معرفتى ناقصة فينبغى للعبد ان لا يغفل عن مولاه فى عطاء ولا منع ولا عز ولا ذل ولا غنى ولا فقر ولا قبض ولا بسط ولا فقد ولا وجد الى غير ذلك

(إلهي كلما أخرسني لؤمي) أي مخالفتي وعصياني فإن ذلك يقتضي عدم انطلاق لساني بالطلب منك لأن الطلب لا يكون إلا بعد التودد والتودد إلى المولى بطاعته وذلك مفقود عندي لكن كلما خرست (أنطقني كرمك) فإني إذا لاحظت أنك كريم والكريم لا يتوقف إعطاؤه على التودد إليه انطلق لساني بالطلب منك (وكلما آيستني) أي أوقعتني في اليأس من الاستقامة (أوصافي) الذميمة التي اقتضتها الطبيعة والجبلة فإنها تقتضي اليأس من الاستقامة على طريق الحق ومن القيام بحقوق الربوبية (أطمعتني) أي جعلتني طامعا في ذلك (مننك) أي امتنانك وإحسانك الذي شمل (١١٣) البار والفاجر (إلهي من كانت محاسنه) أي أعماله الصالحة (مساوي) لعدم خلوها من دقائق العجب والرياء فهي محاسن بحسب الظاهر وعند الناس مساو في الواقع وعند الله (فكيف لا تكون مساويه) أي عيوبه وأعماله السيئة (مساوي) أي عيوبا تامة عظيمة فقد اختلف الخبر والمبتدأ بهذا الاعتبار ويحتمل أن المعنى فكيف لا تكون مساويه في الواقع ونفس الأمر مساوي عنده فهو لا يعتقد الكمال من نفسه ولا ينظر إلى عيوبه بعين الاحتقار فلا يعدها عيوبا كما هو حال الغافلين (ومن كانت حقائقه) أي علومه ومعارفه التي يعرفها الناس مني (دعاوي) عندي وفي اعتقادي (فكيف لا تكون دعاويه دعاوي) فيه ما تقدم وكأنه يقول أنا في جميع الأحوال معتقد للتقصير من نفسي ومترجي العفو من الله وليس لي حالة أعتقد بها الكمال وهذا مثل ما تقدم من أن الكمال المنسوب إلى العبد نقصان على

١٥ عيبا في التحقيق فما ظنك بنقصانه (إلهي حكمك) أي قضاؤك (النافذ) وقوله (ومشيئتك القاهرة) تفسير لما قبله ووصف المشيئة بذلك لأنها إن تعلقت بحصول نقمة وبلية كانت قاهرة أو بحصول نعمة وعطية كانت غير قاهرة (لم يتركا لذي مقال مقالا) فإذا كان ذا قول سديد بأن كان ينطق بالحقائق ويتكلم في العلوم العرفانية لم يغتر بذلك فقد حكم الله ونفذت مشيئته بسلب غيره كبلعام بن باعورا (ولا لذي حال حالا) فإذا كان ذا حال جيد بأن كان يحصل له كشف عن أمور تحصل في الكون أو تطيعه بعض الجمادات والعناصر لم يغتر بذلك فقد حكم الله ونفذت مشيئته بسلب غيره كما هو مشاهد كثيرا فهذا المعنى يوجب للعبد التحقق في مقام الخوف وعدم الاغترار بشيء من أقواله وأحواله لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته

يقول لك لا تطلب مني أن أقيمك في حالة واحدة فإني لا أفعل ذلك معك أتريد أن تبقى ربوبيتي معطلة الآثار ولكن سلني أن أشهدك لطفي حيثما أردتك وحيثما أقمتك حتى تكون بي ولي قال الله سبحانه وتعالى يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن أي يمنع ويعطي ويضع ويعلي ويقبض ويبسط ويعز ويذل إلى غير ذلك من مختلفات آثاره فكأنه سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدي لا تأس على شيء ما دمت لك ولا تفرح بشيء وأنا لست لك فأنا العوض لك عما سواي وما سواي لا يغنيك عني ولا تكن ممن يعبدني بالعلل فتكون من عبد الحروف بل اعبدني لي فإني بكمال الغنى موصوف وبدوام الإفضال معروف قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة لأن الذي طلبه عز لنا منه فما دام له وهو ما طلبنا حتى نكون له ومن عبد لما سواه فهو عبد ما سواه ومن عبده لأجل جوده ونعمائه فهو عبد جوده ونعمائه لأن من أحب شيئا فهو عبد ما أحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش فكن عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنى وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء وفناء وبقاء إلى غير ذلك من مختلفات الآثار وتنقلات الأغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد أحسن فيه غاية الإحسان كله فجزاه الله تعالى خيرا

(إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما آيستني أوصافي أطمعتني مننك) لؤم العبد ومخالفته وعصيانه يخرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله وإحسانه ينطقه بذلك وأوصاف العبد الذميمة التي اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه من حصول الاستقامة على طريق الحق ومنن الله تعالى التي شملت البر والفاجر تطمعه في ذلك

(إلهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي) هذا مثال ما تقدم من أن الكمال المنسوب إلى العبد نقصان على التحقيق فما ظنك بنقصانه (إلهي حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا) شهود هذا المعنى يوجب

(الهى كم من طاعة) ظاهرية (بنيتها) اى اقمتها على الوجه المامور به فى الظاهر بان وفيت بجميع شروطها واركانها وآدابها (وحالة شيدتها) اى زينتها وصنتها عما يكدر صفاءها بان اخلصت فيها اخلاصا تاما والحالة هى الطاعة فعطفها عليها من عطف المرادف اى ولما فعلت هذين الامرين من البناء والتشييد رايت انى تحصنت بحصن حصين وآويت الى ركن متين لكن (هدم اعتمادى عليها) فى النجاة من العذاب ودخول الجنة دار الثواب (عدلك) اى النظر الى عدلك فان مقتضاه انك تفعل ما تشاء ولا تبالى باعمال العاملين فمن الجائز انك تعاقبنى على تلك الطاعة (بل اقالنى منها) اى من الاعتماد عليها والتعلق بها (فضلك) اى النظر الى فضلك وكرمك واحسانك فصرت معتقدا (١١٤) عليه ومتعلقا به لا بطاعتى فصار التعلق والاعتماد على الاحسان والفضل لا على الطاعة ونعم البدل والعوض (الهى انت تعلم وان لم تدم الطاعة منى فعلا جزما) اى ان عدم دوامها فعلا مجزوم به لعجزى عن ذلك ومقتضى العبودية ان اداوم عليها فانا مقصر (فقد دامت محبة وعزما) أى انا مداوم عليها من حيث محبتى لها وعزمى عليها وأنت تعلم بذلك فلا تؤاخذنى بتقصيرى بل مداومتى على هذا الوجه فضل عظيم والا فكم من شخص محروم ليس عنده فعل ولا محبة ولا عزم قالوا والواو الداخلة على أداة الشرط زائدة ومتعلق العلم هو جواب الشرط كما تقرر ثم تردد فى وقوع العزم منه بقوله (الهى كيف أعزم) أى يقع منى عزم على فعل الطاعات وترك المنهيات (وأنت القاهر) فيمكن ان يقع منى عزم على ذلك ثم يصدنى عنه قهرك فيكون العزم لا فائدة فيه ولا يعتد به (وكيف لا اعزم وانت الآمر) لى بالعزم على ذلك ومقتضى الامر المبادرة الى العزم فانا متحير وعاجز عن تدبير أمرى ولا يسعنى الا التسليم مفوضة اليك والاعتماد عليك ولذا كان العارفون لا يجزمون بشئ من الاشياء بل يفوضون الامر الى الله تعالى فقد قالوا العارف لا قلب له (الهى ترددى فى الآثار) أى المكونات على سبيل التعلق بها والاستناد اليها او على سبيل الاستدلال بها على الله تعالى (يوجب بعد المزار) أى الوصول اليك ومشاهدتك (فاجمعنى عليك) أى اوقفنى بين يديك (بخدمة) أى طاعة من اذكار واوراد واضاد ومجاهدات (توصلنى اليك) وتقطع التعلق بالآثار عن قلبى فلا اتعلق بمكاشفات ولا أحوال ومقامات كما تقدم فى قوله لا ترحل من كون الى كون الخ ولا أستدل بها على موجدها كما قال (الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده) أى ثبوته وتحققه مفتقر

للعبد مقام الخوف والتحقق فيه فان كان ذا قول سديد وحال حميد لم يقطع ببقاء ذلك ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته ﴿(الهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل اقالنى منها فضلك) الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على الوجه المأمور به من الوفاء بجميع اركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق وآداب وتشييده للحالة هو تزيينها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاءها ويكسف ضياءها وكأنه لما فعل هذين الامرين رأى انه تحصن بحصن حصين واوى الى ركن متين لكن لما شاهد عدل الله تعالى هدم عليه ذلك لان مقتضاه ان يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ولا يبالى باعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه اقاله من ذلك بان جعل له من التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض فسبحان المتفضل المنان ﴿(الهى انت تعلم وان لم تدم الطاعة منى فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما) جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا احدى وسائله وذلك صحيح وكم من شخص قد طرد وأبعد فلم يكن عنده عزم ولا فعل جزم ﴿(الهى كيف اعزم وانت القاهر وكيف لا أعزم وانت الآمر) استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود القهر لان من شهد قهره بطل عزمه لانه الغالب واستبعد أيضا عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الامر لان من شهد امره بادر الى امتثاله وتحرز من اغفاله واهماله ﴿(الهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى اليك) شكا الى مولاه عز وجل طول تردده فى الآثار وهى الاكوان واخبر انه يوجب له بعد المزار وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب منه ان يختصر له طريق سلوكه ويقربه عليه و يجمعه من مفترقات الآثار بخدمة تظهر فيها عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير تردد ولا طول ﴿(الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده

(مفتقر اليك) وهو المكونات فانها فى ذاتها عدم محض كما مرّ (ايكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك) فان الدليل يكون أظهر من المدلول حتى يستدل به عليه فأصحاب النظر والاستدلال حالهم قبيح بالنسبة الى أصحاب الشهود والعيان ويقال لهم عوام بالنسبة لهم كما تقدم عند قوله شتان بين من يستدل به ومن يستدل عليه * ثم ترقى فى نفى الاستدلال بقوله (متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار) أى المكونات (هى التى توصل اليك) أى الى معرفتك ولذا قال مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال ويحك وهل يطلب مع العين أين (الهى عميت عين) المراد بها عين البصيرة وهذا يحتمل أن يكون اخبارا وأن يكون دعاء بدوام العمى لان أصله حاصل (لاتراك عليها رقيبا) أى حفيظا مراقبا لها فمن رأى الله رقيبا عليه يعلم بجميع احواله لا يخفى عليه منها شئ استحيا منه وهابه ان يراه على ما يكرهه منه ومن لم يكن على هذا الوصف عميت عين بصيرته فبارز مولاه بأنواع القبائح من غير اكتراث ولا مبالاة ولذا ورد فى الحديث افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان (وخسرت صفقة) اى تجارة (عبد لم يجعل له من حبك نصيبا) أى حبك له او حبه لك والاول هو الاصل فى الثانى قال تعالى يحبهم ويحبونه وحب الله لعبده احسانه اليه وثناؤه عليه وحب العبد لله طاعته وموافقة أمره وتعظيمه وهيبته وانجذابه بقلبه اليه فمن أعطاه الله من ذلك الحب نصيبا فقد فاز ومن حرمه منه وشغله بالدنيا فقد خسرت تجارته وهى تلك الامور الدنيوية التى يتقلب فيها أى خسر فى تجارته وكانت تجارته خاسرة لا عبرة بها

مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك) هذا تقبيح لاحوال المستدلين على ربهم وهم اصحاب النظر والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام الآخر وهم ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر محمد بن على الكتانى رضى الله عنه وجود العطاء من الحق شهود الخلق بالحق لان الحق دليل على كل شئ ولا يكون شئ دونه دليلا عليه قال فى لطائف المنن وارباب الدليل والبرهان عوام عند اهل الشهود والعيان قدسوا الحق فى ظهوره ان يحتاج الى دليل عليه وكيف يحتاج الى الدليل من نصب الدليل وكيف يكون معروفا به وهو المعرف له قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشئ من سبق وجوده وجود كل شئ وقال مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال له ويحك ابطلب مع العين أين وقد تقدم هذا المعنى عند قوله شتان بين من يستدل به ويستدل عليه ۞ (الهى عميت عين لاتراك عليها رقيبا) الرقيب الحفيظ فمن رأى الله تعالى رقيبا عليه يعلم بجميع احواله ولا يخفى عليه منها شئ استحيا منه وهابه ان يراه على ما يكرهه منه وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه بموضع لا يراك ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت عين بصيرته فبارز الله تعالى بأنواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا مبالاة وقد سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظورات قال بعلمه بأن رؤية الحق سبحانه له تسبق نظره الى تلك المحظورات وقال الله عز وجل وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه * قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم فى جميع احوالهم ورؤيته لما يسلفونه من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياءهم منه وهذا هو حال المراقبة فالعبد اذا علم بان مولاه يراه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه وعنه فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان ۞ (وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا) حب الله تعالى لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه واحسانه اليه وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقة امره وتعظيمه وهيبته والحب المضاف الى الكاف فى قوله من حبك يحتمل ان يضاف الى الفاعل والى المفعول والظاهر كونه مضافا الى الفاعل لانه ابلغ وامدح ولان محبة الله تعالى لعبده اصل لمحبة العبد له قال الله تعالى يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت

(الهي امرت بالرجوع الى الآثار) اي المكونات من الاموال والعمال وغيرهم اى ملابستها ومخالطتها بعد غيبتي عنها بالوصول اليك ومشاهدتك فان المريد اذا وصل الى المولى غاب عن الاكوان ثم اذا خالطها بمقتضى الامر ربما اشغلته عن مولاه واحتجب بها عنه فلذا قال (فارجعني اليها) مكسوا (بكسوة الانوار) أي بكسوة هي الانوار الالهية التي تمنع من تعلقي بها واحتجابي بها عنك (وهداية الاستبصار) أي هداية ناشئة عن الاستبصار اى الشهود بعين البصيرة (حتى ارجع اليك منها) اى اشاهدك فيها وفي بعض النسخ فيها وهي بمعنى ماقبلها (كما دخلت اليك منها) بالاستدلال بها عليك والاعتبار بها فان المريد حينئذ محجوب عن مولاه فيتنقل في الآثار حتى يصل اليه والضمير في الموضعين للآثار لا بالمعنى المتقدم بل بمعنى الموجودات من السماء والارض وما بينهما ولو حذف ذلك هنا لكان اولى (مصون السر عن النظر اليها) اى التعلق بها في اعتقاد نفع اودفع ضرر وقوله (ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها) بمعنى ماقبله ويحتمل ان صون السر عن النظر اليها هو عدم استحسان شئ منها في نظره ورفع الهمة في الاعتماد عليها هو عدم التعلق بها فيما ذكر والحاصل انه سأل المولى انه اذا ارجعه الى الاكوان والتلبس بها ارجعه اليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مكسوا بكسوة الانوار وهداية الاستبصار فانه اذا رجع اليها على هذه الحالة لم تؤثر فيه ولم تحجبه عن مولاه وهذا المعنى غير ما تقدم في قوله فاذا نزلوا الى سماء الحقوق الخ كما هو ظاهر مما قررناه سابقا (انك على كل شئ قدير) ومنه تحصيل تلك المطالب السنية (الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك) وهو في الحقيقة عين العز والفخر قال ذو النون المصري ما أعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو أذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه اه وقوله (وهذا حالي لا يخفى عليك) بمعنى ماقبله والقصد بذلك طلب حصول مطالبه من مولاه

صفته وبان عيبه وخيبته وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام ياعبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن بعضهم انه قال اشتريت جارية فسمعتها في شطر الليل وهي تقول الهي بحبك اياي الا ما غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي اياك فقالت ياسيدي بمحبته اياي من علي بالاسلام وايقظني لعبادته وكثير من عباده نيام قال زيد بن اسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك ﴿(الهي امرت بالرجوع الى الآثار فارجعني اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شئ قدير)﴾ الآثار التي أمر العبد بالرجوع اليها بعد وصوله الى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات التي يلزمه اذا تلبس بها حق او يكون له فيها منفعة وحظ فسأل الله تعالى ان يرجعه اليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل السلوك وهي كونه مكسوا بكسوة الانوار وهي انوار اليقين ومؤيدا بهداية الاستبصار وهي العلم الراسخ المتين فاذا رجع العبد الى الآثار على هذا الاسلوب والمعيار لم تؤثر فيه ولم تأخذ منه لكمال حريته عنها وكان رجوعه الى مولاه في مآل امره في مثل دخوله فيها عليه في ابتداء أمر سلوكه مصون السر عن النظر اليها بعين الاستحسان مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال او احسان وقد تقدم هذا المعنى عند قوله فان نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ الى آخره وقال رضي الله عنه ﴿الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك﴾ هذا انطراح منه على مولاه ومبالغة في بث شكواه وتلطف في سؤال رجاه وبمثل هذا يرجى اجابة الدعاء واستحقاق جزيل العطاء وقد قالوا أبواب الملوك لا تقرع بالايدي بل بنفس المحتاج * وقال بعضهم قلت لابي الربجورى اجد في قلبي قسوة وقد شاورت فلانا فأشار علي بالصوم فلم تزل وشاورت آخر فأشار علي بالسهر فلم تزل فقال الربجورى رضي الله عنه خاطبا بلتا حضر الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل تحيرت في أمري تخذ بيدي ففعل فزالت القسوة وقال الشاعر

ومارست الدخول عليه حتى * حللت محلة العبد الذليل

وأغضيت الجفون على قذاها * وصنت النفس عن قال وقيل

وذل العبد للمولى غناه * وغايته الى العز الطويل

فذل العبد للمولى غاية العز والفخر وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ما أعز الله عبدا

(منك اطلب الوصول اليك) أى اطلب منك لا من غيرك الوصول اليك لا غيره من المطالب الدنيوية والاخروية وهذا مطلب
العارفين كما مر (وبك أستدل عليك) اى استدل عليك وأعرفك بك لا بغيرك من الدليل والبرهان قيل لبعض العارفين بم
عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال بعضهم لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة
(فاهدني بنورك) أي بنور تقذفه في قلبي اهتدي به (اليك) أي الى معرفتك معرفة خاصة (وأقمني بصدق
العبودية بين يديك) اى اقمني بين
يديك بأن تجعلني حاضر القلب
معك حال كوني مصاحبا لصدق
العبودية أى للعبودية الصادقة
بان لا يظهر على شئ من أوصاف
الربوبية بل اكون متصفا بغاية
العجز والذل والضعف والفقر ولا
يظهر على شئ من قوة أو عز أو قدرة
او غنى (الهي علمني من علمك
المخزون) اضافة ذلك العلم اليه
اضافة تشريف والعلم المخزون
هو العلم اللدني الذي اختزنه
عنده فلم يؤته الا للمخصوصين من
اوليائه قال تعالى في شأن الخضر
عليه السلام وعلمناه من لدنا علما
وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان
من العلم كهيئة المكنون
لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا انطقوا به
لا ينكره الا اهل الغرة بالله وقال
بعضهم هو اسرار الله يبديها الى
أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء
من غير سماع ولا دراسة اهـ
(وصني) أى احفظني عن رؤية
الاغيار او عن اباحة تلك العلوم
والاسرار (بسر اسمك المصون)
أى اسمائك المصونة أى المحفوظة
عن الابتذال والاهانة فانه لا يجوز
ان يدخل بها في بيت الخلاء مثلا
١٥ عيانا او عن ان يسمى بها غيره سبحانه وسرها أنوار وتجليات تحصل لمن يذكرها (الهي حققني بحقائق اهل القرب) اى أعطني
مقامات اهل القرب منك الذين تحققوا في مقام الفناء فبطل في حقهم رؤية الاسباب وزال عنهم كل حجاب فلم يروا غيرك ولا كتفوا
بتدبيرك عن تدبير أنفسهم و بعلمك عن الشكوى لغيرك (واسلك بي مسالك اهل الجذب) وهم المحبوبون المرادون فكأنه يقول

بعزه وأعزله من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن
ذل نفسه (منك اطلب الوصول اليك) هذه صفة العارفين المحققين لا يسبق نظرهم الا الى
الله ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم الا الوصول اليه لا غير (وبك أستدل عليك)
أى لا بغيرك لانك الظاهر قبل وجود كل شئ ظاهر بل بظهورك خفيت المظاهر وقيل
لبعض العارفين بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال ابو
القاسم النصراباذي رضي الله عنه الاشياء ادلة منه ولا دليل عليه سواه وقال احمد بن ابي
الحواري رضي الله عنه لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة (فاهدني
بنورك اليك) وهو نور الايمان واليقين (واقمني بصدق العبودية بين يديك) حتى أكون
ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك ۞ (الهي علمني من علمك المخزون) اضافة العلم الى الله ههنا
اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم اللدني الذي اختزنه عنده فلم يؤته الا للمخصوصين
من الاولياء كما قال الله تعالى في شأن الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي حديث
أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من العلوم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا انطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله قال بعضهم
هي اسرار الله تعالى يبديها الى انبيائه واوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة
وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها أحد الا الخواص وقال أبو بكر الواسطي رضي الله
عنه في قوله تعالى والراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر
السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مذخور
الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النظر فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا بالحكمة (وصني بسر اسمك المصون) الصون المطلوب هو صيانته
عن رؤية الاغيار بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار ۞ (الهي حققني بحقائق أهل القرب)
حقائق أهل القرب هي الفناء في التوحيد والتحقق بالتجريد فتبطل في حقهم رؤية
الاسباب ويزول عن مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
في حزبه الكبير واقرب مني بقدرتك قربا تمحو به عني كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك
فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه وكيف لا يحجب عن
مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحباء كلا انى أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى
لا أرى ولا احس بقرب شئ ولا ببعده عني انك على كل شئ قدير (واسلك بي مسالك أهل
الجذب) أهل الجذب هم المحبوبون ومسالكهم في غاية السهولة لا تعب عليهم فيها ولا

اجذبني اليك حتى يسهل علي سلوك الطريق وأصل اليك في اقرب مدة وأجد لذة وحلاوة في الاعمال كما هو حال اهل الجذب الذين
اخرجتهم عن حكم انفسهم وتوليتهم بحفظك ورعايتك من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة (الهي اغنني بتدبيرك لي عن تدبيري
وباختيارك لي عن اختياري) فان في تدبيري أحوال نفسي واختياري شيأ من الاشياء بمقتضى شهوتي وميلي منازعة لك
في ربوبيتك لانك المنفرد بالتدبير والاختيار (واوقفني على مراكز اضطراري) المراكز جمع مركز
وهو موضع الاستقرار والثبوت
اى مواضع اضطراري كالذل
والعجز والفقر شبهت بالمواضع التي
يستقر فيها فهي مواضع اعتبارية
ينبغي للعبد ان لا يفارقها بل
يلازمها كما يلازم الشخص
مكانه الذي يستقر فيه ومعنى
وقوفه عليها ملاحظتها وعدم غيبته
عنها اى اجعلني ملاحظا لفقري
وعجزي وذلي التي هي مواضع
اضطراري او ملازمتها وتحققه
بها اى اجعلني ملازما لها ومتحققا
بها واضافتها لاضطراري باعتبار
كونها يحصل عندها اضطرار
العبد لمولى واحتياجه (الهي
أخرجني من ذل نفسي) من
اضافة المصدر للمفعول اى من
كوني اذل نفسي لغيرك بالطمع
والحرص او للفاعل اى من كون
نفسي تذلني وتوقعني فيما لا يليق
(وطهرني من شكي وشركي)
الشك ضيق الصدر عند احساسه
بأمر مكروه فاذا ضاق اظلم القلب
واصابه الهم والحزن وطهارته
منه بوجود ضده وهو اليقين اذ به
يتسع الصدر وينشرح فيستنير
القلب ويجد الروح والفرح بالله تعالى وبقدر ما يصيبه من نور اليقين يكون انشراحه واتساعه والشرك اخبار
تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه هو مبدأ ذلك هيجان الشهوة عن استيلاء ظلمة الشك على القلب
فيفزع حينئذ الى الاسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق في
قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن عن الشره والطيش الذي اصابها وكلما قوى نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر
(قبل حلول رمسي) اى قبري اذ ليس بعده تطهير الابالنار

مشقة بل يجدون اللذة والحلاوة في أعمالهم وذلك من قبل انه أخرجهم من أسر نفوسهم
وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة ۞(الهي اغنني بتدبيرك عن
تدبيري وباختيارك لي عن اختياري واوقفني على مراكز اضطراري) المتفرد بالتدبير
والاختيار والمشيئة والاقتدار هو الله عز وجل فمن كان له دعوى في شيء من ذلك فقد نازع
الله تعالى في ربوبيته وخلع عن عنقه ربقة عبوديته فلذلك ساله وطلب منه ان يغنيه عن
تدبيره واختياره وان يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققا بصفاته ومتعلقا بصفات
مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة
حسنة ۞(الهي أخرجني من ذل نفسي) ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو ذلها
لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت أغصان ذل الا على
بذر طمع (وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي) الشك والشرك هما سبب
وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه الاوصاف كلها مجانبة
لحقائق الايمان والتوحيد عافانا الله منها والشك ضيق الصدر عند احساس النفس
بأمر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك أظلم قلبه وأصابه من أجله الهم
والحزن وطهارته منه انما تكون بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح
ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر امتلاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر
واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا
واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط والشرك تعلق القلب بالاسباب عند
غفلته عن المسبب ونسيانه له تعلق العبد بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة
عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيحاول له حينئذ الهوى فيفزع اذ ذاك الى الاسباب
التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيترك من أجل ذلك في حبائل الشرك
وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فتطمئن بذلك
نفسه وتسكن عن الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان
خلاصه من الشرك أكثر فتمحى عنه الاسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فاذا تطهر
العبد من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفي

بك استنصر) اى اطلب النصرة على نفسى وشيطانى وهواى (فانصرنى) عليها (وعليك اتوكل) فى تحصيل مطالبى (فلا تكلنى) الى غيرك وان كنت لست صادقا فى توكلى (واياك اسأل فلا تخيبنى) وان كنت اهلا للخيبة (وفى فضلك ارغب فلا تحرمنى) وان كنت اهلا للحرمان اى ارغب فى فضلك لا فى فضل غيرك وقولنا وان كنت الخ جواب عما يقال ان من توكل على الله وحده كفاه فلا حاجة لقوله فلا تكلنى ومن ساله وحده لم يخيبه ومن رغب فى فضله وحده لم يحرمه فلا حاجة لقوله فلا تخيبنى ولا تحرمنى (ولجنابك) اى ذاتك والاضافة للبيان (انتسب) لا لغيرك (فلا تبعدنى) عن بابك ١١٩ (وببابك اقف) بالسؤال وفيه تشبيه المولى بملك عظيم

أشياء داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ان الله أوحى اليه يا داود هل تدرى متى أتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك (بك استنصر فانصرنى وعليك اتوكل فلا تكلنى واياك أسأل فلا تخيبنى وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ولجنابك انتسب فلا تبعدنى وببابك أقف فلا تطردنى) تعلق بالله تعالى فى كل مطالب من هذه المطالب واضرب عن الوسايط والاسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذى سأل من مولاه أن يحققه به بتطهيره من اضداده ومعانى هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال أبو الحسن على بن هند القارسى رضى الله عنه اجتهد فى أن لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها القدمية قرارا ولا مقاما ۞ (الهى تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة منى) رضا الله تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع عليها سابقية العلل والقديم لا يكون مسبوقا بشئ واذا كانت صفاته العلية منزهة عن أن تكون لها علة منه فكيف يكون لها علة من غيره فرضا الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه وسخطه هما سبب أعمال العاملين حسنها وسيئها رضى عن قوم فاستعملهم باستعمال أهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم باستعمال أهل السخط قال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الابد بما جريا فى الازل يظهران الرسمين على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلامها عليهم فانى تنفع من ذلك الالوان المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام المنتفخة (أنت الغنى بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عنى) الكلام فى الغنى كالكلام فى الرضا وكان المؤلف رحمه الله قصد فى مناجاته بهذه الكلمات الاسترضاء والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن أعماله المدخولة وأحواله المعلولة وذلك من أحسن المقاصد للداعى ۞ (الهى ان القضاء والقدر غلبنى وان الهوى بوثائق الشهوة اسرنى فكن أنت النصير لى حتى تنصرنى وتنصر بى وأغننى بفضلك حتى أستغنى بك عن طلبى) هذا اعتذار واعتراف والله تعالى أكرم من أن يرد عذر من اعتذر اليه أو يخيب أمل من

يقف الطالبون ببابه (فلا تطردنى) عنه (الهى تقدس) اى تنزه (رضاك) وهو الاحسان او ارادته (عن ان تكون له علة) ناشئة (منك) والا لكنت محتاجا الى تلك العلة لتتكمل بها (فكيف تكون له علة منى) كاعمالى واحوالى فرضا المولى لا يتوقف على سبب ولا علة بل رضاه وسخطه هما سبب لاعمال العاملين حسنها وسيئها ارضى عن قوم فاستعملهم فى خدمته وسخط على قوم فشغلهم بما يبعد عن حضرته (انت الغنى بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عنى) هذا كالتعليل لما قبله وقصد المصنف بهذه المناجاة الاسترضاء والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة واحواله المعلولة (الهى ان القضاء) وهو ارادة الله مع التعلق (والقدر) وهو ايجاد الله الاشياء على قدر معلوم ومقدار معين (غلبنى) فكلما اعزم على طاعة او ترك معصية لا يتيسر لى

ذلك (وان الهوى) اى ميل النفس الى مرادها ومشتهياتها (بوثائق الشهوة) اى بالشهوة الشبيهة بالوثائق اى القيود (اسرنى) اى قيدنى (فكن انت النصير لى حتى تنصرنى) على اعدائى اى النفس وجنودها (وتنصر بى) اى تنصر احبابى واصحابى على اعدائهم بى قال الشاذلى قدس سره واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا بينهم وبين اعدائك (واغننى بفضلك) اى شهودك (حتى استغنى بك) اى بشهودك (عن طلبى) منك لان من كان مشاهدا للحق حاضرا معه يستحيى ان يطلب منه شيئا لرؤيته انه مطلع على حاله لا يخفى عليه شئ منها ومن كان كذلك لا معنى للطلب منه قال الشاذلى قدس الله سره والسعيد حقا من اغنيته عن الطلب منك

اعترف بذنبه وأقرّ به لديه يقال ان العبد يبتهل الى الله تعالى فى الاعتذار والحق سبحانه يقول له عبدى لولم أقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار وقال الكتانى رضى الله عنه لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة الا لفتح باب المغفرة فلاجرم لما وثق بذلك وقوى رجاؤه فيه طلب منه النصرة له على اعدائه ولم يقتصر على ذلك بل اضاف اليه طلب النصرة به لتكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه كما قال أبو الحسن رضى الله عنه واجعلنا سبب الغنى لاوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك ثم لم يقنع بذلك حتى طلب منه أن يغنيه بما يستغنى به عن الطلب منه وهو ما يؤتيه من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه هى غاية السعادة كما قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه والسعيد حقا من اغنيته عن السؤال منك ﴿(انت الذى أشرقت الانوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذى أزلت الاغيار من قلوب احبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك انت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوالم) سبب ايحاش العوالم لهم ما هى عليه من الفاقة والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد منها جالب لنفسه طالب حظه من كمال نقصه ووفاء بخسه والله تعالى غنى حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف عليهم متودد اليهم مؤنس بهم فلما شاهدوا هذا كله مشاهدة يقين ومعاينة باشهاده اياهم لم يتمالكوا أن أحبوه واووا اليه وقصروا همهم عليه وجعلوه معقد أنسهم واستغنوا به عن أبناء جنسهم فحصلوا اذ ذاك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال ذو النون المصرى رضى الله عنه بينما أنا اسير فى بعض البوادى اذ لقيتنى امرأة فقالت لى من انت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله احزان الغربة وكتب مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما وليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استأنسوا بالله فكانوا فى وحدتهم اشد استئناسا من الناس فى كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون ﴿(وانت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم) لما تولى الله تعالى هدايتهم الى طريق التوحيد والمعرفة ابان لهم علامات ذلك ودلائله فعند نظرهم فى تلك العلامات والادلة انشرحت صدورهم بانوار الايمان واليقين فلم يتداخلهم شك ولم يخالجهم ريب والمعالم جمع معلم وكان رحمه الله تعالى عرّض فى هذه الكلمات بالمطالب الذى يحصوله له يستغنى عن الطلب وهو اشراق الانوار فى قلبه وازالة الاغيار عن سره وايناسه له وهدايته اياه وهذه الاربعة مطالب متضمنة لاسنى الرغائب ﴿(ماذا وجد من فقدك وما الذى فقد من وجدك) قد تقدم غير ما مرة ان ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المحقق انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله المؤلف رحمه الله تعالى ههنا وكان حقا الامرية فيه قال ابو على الروذبارى رضى الله عنه سألنى ابو بكر الدقاق رضى الله عنه فقال لى يا ابا على لم ترك الفقراء أخذ البلغة فى وقت الحاجة فقلت لانهم يستغنون

بالمعطى

انت الذى اشرقت الانوار) اى المعارف والاسرار (فى قلوب اوليائك حتى عرفوك ووحدوك وانت الذى ازلت الاغيار) اى المكونات والتعلق بها (من قلوب احبابك) حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك) وهم اولياؤك وهذا من عطف السبب على المسبب لان زوال الاغيار سبب فى شروق الانوار (انت المؤنس لهم) اى المدخل للسرور على قلوبهم بتجليك (حيث اوحشتهم العوالم) التى كانوا يألفونها وتتعلق قلوبهم بها من أصحاب واولاد واموال وغير ذلك فان من حصل له ادنى شئ من شهود الحق وتودده لم يستوحش لشئ من ذلك بل يغيب عنه ولم يستأنس بشئ منه بل ينفر عنه بقلبه (وانت الذى هديتهم) بنور منك (حتى استبانت) اى ظهرت (لهم المعالم) اى طرق الحق التى سلكوها فان ظهور ذلك لا يكون الا بهداية منك (ماذا وجد من فقدك) اى فقد شهودك ولم يشهد الا ذوات المكونات وهذا كناية عن كونه لم يجد الاشياء حقيرا (وما الذى فقد من وجدك) اى لم يفقد شيأ بل حصل على غاية المقصود حيث كنت سمعه وبصره وجميع قواه

(لقد خاب من رضى دونك بدلا) كالشهوات واللذات الدنيوية والاخروية فقد روئى الشبلى فى المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك قال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى الا على شئ واحد قلت يوما لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال وأى خسارة أعظم من خسران لقائى (ولقد خسر من بغى عنك متحولا) أى طلب التحول عن حضرتك الى التعلق بغيرك كالكرامات والمكاشفات فقد تقدم ان هذا شبيه بمن طلب منه الملك أن يكون جليسه فلم يرض الا بسياسة الدواب (الهى كيف يرجى سواك) أى يتعلق القلب بالطلب منه (وأنت ما قطعت الاحسان) بل احسانك دائم مستمر (وكيف يطلب من غيرك) أى يتوجه اليه بالطلب (وأنت ما بدلت عادة الامتنان) أى عادة هى الامتنان أى الاحسان (يا من أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته) المؤانسة سرور القلب بشهود جمال المحبوب شبهه بشئ له حلاوة وهى تخييل والاذاقة ترشيح (فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف فى التودد كأن يقول الانسان حفظك الله سترك الله وهو هنا كناية عن الطلب من المولى بذلة وانكسار وترتبه على ذوقهم حلاوة مؤانسته بين (ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته) أى ملابس هى هيبته أو هيبته الشبيهة بالملابس الحسية والمراد بالهيبة الجلالة والعظمة التى كساها الله لاوليائه فكل من رآهم حصل له رعب منهم كأنهم أسود (فقاموا بعزته مستعزين) أى قاموا بين يديه مستعزين بعزته بأن رفعوا هممهم عن تعلقها بالاغيار تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه (أنت الذاكر من قبل الذاكرين) أى أنت الذى ذكرتهم بالاحسان اليهم فى الازل بان تعلقت ارادتك بوجودهم فيما لا يزال فهذا ذكره لعباده قبل ذكرهم له ويحتمل أن يراد بذكره لهم توفيقه اياهم لذكره اذ لولاه ما ذكروه وقوله (وأنت البادئ بالاحسان من قبل توجه العابدين) يرجع لما قبله وكذا قوله (وأنت الجواد) أى المحسن (بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب) أى كثير الهبة أى الاعطاء للعطايا كالاعمال الصالحة والاحوال السنية (ثم أنت لما وهبتنا) أى للشئ الذى وهبته لنا (من المستقرضين) كأنك قلت أقرضونى هنا أعطكم بدله فى الدار الآخرة قال تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا واستقراضه تعالى من عبده ما وهبه له فى غاية تلطفه به واعلائه لقدره وفيه اشارة الى ان احسانه تعالى واعطاءه ليس مشوبا بالعلل

بالمعطى عن العطاء فقال نعم ولكن وقع لى شئ آخر فقلت هات أفدنى ما وقع لك فقال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذا الله فاتهم ولا تضرهم الفاقة اذا الله وجودهم * وكان أبو حمزة البغدادى رضى الله عنه يقول فى مناجاته اللهم انك تعلم أنى من أفقر خلقك اليك فان كنت تعلم ان فقرى اليك بمعنى هو غيرك فلا تسد فقرى * (لقد خاب من رضى دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا) هذا بين وهو مبنى على ما تقدم الآن من الكلام روئى الشبلى رضى الله عنه فى المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى الا على شئ واحد قلت يوما لا خسارة أعظم من خسارة الجنة ودخول النار فقال وأى خسارة أعظم من خسران لقائى وفى معناه أنشدوا

سهر العيون لغير وجهك باطل * وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث عندنا ثلاث عشرة سنة يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استأنست بسواك ثم يسكت الى المغرب * (الهى كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان) هذا تعجب ممن كان على هذا الوصف وهو أعجب من كل عجيب والمعنى فى ذلك بين * (يا من أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين) التملق هو التلطف فى التودد وترتبه على ذوقهم حلاوة مؤانسته بين * (ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين) استعزازهم بعزته هو رفع هممهم عن تعلقها بغير الله تعالى تيها وتكبرا عليها وثقتهم به وذلك لما ألبسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة حقر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين وقيل فى معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بأن يكون لك بك معك بين يديك * (أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادئ بالاحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين) الحق تعالى له الاولية

فيما ذكر كما ذكر قال أبو يزيد رضي الله عنه غلطت في ابتداء أمري في أربعة أشياء توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي أولا حتى طلبته فاذا كانت له الاولية في ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه ومما يوافق ما ذكره المؤلف ما حكي عن الجنيد رضي الله عنه أنه كان يقول في مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادئ العارفين بما به عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك الا باذنك من ذا الذي يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية في ترفيعه لقدره وابانة لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية في اكرامه له وتفضله عليه وقال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافا بين فيه ان نعمه وعطاياه بعيدتان أن يكونا مشوبتين بالعلل * (الهي اطلبني برحمتك حتى أصل اليك واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك) لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه أن يطلبه بها ولا يأتي له الاقبال عليه الا بمنته فلذلك طلب منه أن يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الاولية التي ذكرناها من قبل

* (الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفي لا يزايلني وان أطعتك) الخوف والرجاء حالان يتعاقبان على قلب العبد واعتدالهما واستواؤهما هو المطلوب سواء كان العبد في طاعة أو في معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطائر وهذا من أعلى مشاهد العارفين والاولياء وذلك لان منشأهما عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها فكذلك مشاهدتهم لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدة ناقصة وأحوالا معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه للمعصية كما وصف به المؤلف نفسه * قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني أجدني أعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ومن دعاء سيدي أبي العباس رضي الله عنه الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف أرى احساني مع احسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصياني ومن كلامه أيضا رضي الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فهم اذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله وأهل الله اذا خوفوا

الهي اطلبني) الى القرب منك برحمتك) أي احسانك (حتى أصل اليك) فانه لا سبيل الى الوصول اليك الا برحمتك لا بأعمالي المدخولة والطلب ان كان من الاعلى كالسلطان لم يحصل في الوصول مشقة بخلاف ما اذا كان من الادنى (واجذبني بمنتك) أي احسانك فلا يبقى لي قدرة على الامتناع (حتى أقبل عليك) وهو بمعنى ما قبله (الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك) لمعرفتي انك المبتدئ بالاحسان ومن هو كذلك يرجى خيره ولو مع المعصية (كما أن خوفي لا يزايلني) أي لا يفارقني (وان أطعتك) لعلمي بانك الفعال لما تريد فالطاعة لا تقتضي رفع سخطك وزوال عقابك خصوصا وهي مدخولة معلولة ومنشأ اعتدال الخوف والرجاء عند العارفين شهود الصفات المخوفة والمرجوة فكما ان صفاته تعالى لا تفاوت فيها كذلك شهودها لا تفاوت فيه فان وقع فيه تفاوت كان شهودا ناقصا فلذا يتصور عندهم كمال الخوف مع العمل بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكاب المعصية كما وصف به المصنف نفسه

(الهي قد دفعتني العوالم اليك) وذلك اني اذا توجهت الى أحد ليعطيني أو ينصرني يقول لي لا معطي الا الله ولا ناصر الا هو ويحتمل أن يراد بالعوالم جميع ما عدا الله فاذا اظهرت لي كرامة وكشف لي عن شئ من الكون وأردت أن أقف عنده تقول لي حقيقته لا تتعلق بي بل تعلق بمولاك وكذا ان خاطبتني الجمادات وأردت أن أقف عند ذلك تقول لي حقيقتها لا تتعلق بي بل تعلق بمولاك فكل شئ يدفعني اليك (وقد أوقفني على بكرمك عليك) أي على بابك فالحامل على وقوفي ببابك على بكرمك والكريم لا تتخطاه آمال المؤملين ولا يتوجه نحو سواه طلب الطالبين (الهي كيف أخيب) أي يحصل لي خيبة وعدم ظفر بالمطلوب (وأنت املي) أي الذي أملت العطاء منه لان عادتك الاحسان (أم كيف اهان) ١٢٣ أي يحصل لي هوان وذل (وعليك متكلي) أي اتكالي واعتمادي (الهي كيف استعز) أي يحصل لي عز في نفسي (وأنت في الذلة أركزتني) أي أقمتني في الذلة وجعلتها مركزا ومكانا لي لا أفارقها (أم كيف لا استعز) اي يحصل لي عز بك (واليك نسبتني) اي وقد نسبتني اليك نسبة خاصة بافاضة الانوار على ظاهري وباطني حتى صار كل من رآني يقول هذا ولي الله فانا ذليل من وجه عزيز من آخر (أم كيف لا أفتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني) فهو صفة لازمة لي ومن لازمه الذلة فيرجع لما قبله (أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك) أي بشهودك وفي بعض النسخ بجودك اي احسانك الى بالشهود فيرجع لما قبله (أغنيتني) حتى حصل لي عز بك فالافتقار يرجع للذلة والاستغناء للعزة وتلونه في هذه الاوصاف المتضادة بحسب الظاهر عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هي ذلة الخليقة والعبودية والنسبة التي أشار اليها هي سر الخصوصية كما تقرر (أنت الذي لا اله غيرك) يعبد أو يستند اليه في شئ (تعرفت لكل شئ) اي جعلت نفسك معروفا لكل شئ بما أودعته فيه من النور الذي عرفك به (فما جهلك شئ) بل صار كل شئ يعرفك (وأنت الذي تعرفت الي في كل شئ) بأن اودعت في نورا (فرأيتك ظاهرا في كل شئ) بسبب ذلك النور (فأنت الظاهر لكل شئ) مفرع على ما قبله (يامن استوى) أي استولى (برحمانيته) اي برحمته (على عرشه) فصار العرش تحت حكمه وقهره كاستيلاء السلطان بجنوده على أهل بلاده شبه المولى بسلطان ورحمته بالجنود وعرشه باهل القرية (فصار العرش

رجوا عاملين ان من وراء خوفهم وما به خوفوا أوصاف الرجوا الذي لا ينبغي أن يقنط من رحمته ولا أن ييأس من منته فاحتالوا على أوصاف كرمه علما منهم أنه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وايردهم بذلك اليه واذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذي هو من وراء رجائهم وخافوا أن يكون ما أظهر من الرجاء اختبارا لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ الى خوف ما بطن في مشيئته فاذلك أثار الرجاء خوفهم * (الهي قد دفعتني العوالم اليك) انما دفعته العوالم اليه لما تضمنته من السمات الموحشة كما تقدم ولقد أحسن من قال لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى أنشدوا

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت * بمنظر حسن مذ غبت عن عيني

(وقد أوقفني على بكرمك عليك) اذ الكريم لا تتخطاه آمال المؤملين ولا يتوجه نحو سواه طلب الطالبين * (الهي كيف أخيب وأنت أملي أم كيف أهان وعليك متكلي) لما تعلق بالله تعالى وتوكل عليه استبعد أن يخيب أمله أو يناله هوان يؤوده تحمله * (الهي كيف أستعز وأنت في الذلة أركزتني أم كيف لا أستعز واليك نسبتني أم كيف لا افتقر وأنت الذي في الفقر أقمتني أم كيف أفتقر وأنت الذي بجودك أغنيتني) تلونه في هذه الاوصاف المتضادة لما يغلب عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة هنا هي ذلة الخليقة والعبودية والنسبة التي أشار اليها هي سر الخصوصية والافتقار بمعنى الذلة والاستغناء بمعنى العزة قال بعضهم رأيت ذل كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي على عزهم وقال الشبلي رضي الله عنه لقد ذللت حتى عز في ذلي كل ذي ذل وعززت حتى ما تعزز أحد الا بي وبي به تعززت (أنت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شئ فما جهلك شئ وأنت الذي تعرفت الي في كل شئ فرأيتك ظاهرا في كل شئ فأنت الظاهر لكل شئ) هذا كله قد تقدم معناه ولفظه في كلام المؤلف على غاية الكمال والتمام والحاصل منه أن الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار ثم انه عبر هنا عن ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله * (يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش

غيبا) أي غائبا ليس له وجود (في رحمانيته) أي بالنسبة لرحمته (كما صارت العوالم) أي السموات والارضون وما فيهما (غيبا) أي غائبة (في عرشه) أي ليس لها وجود بالنسبة له ثم بين ذلك بقوله (محقت) يا الله (الآثار) وهي السموات والارضون وما فيهما (بالآثار) وهو العرش لانه اثر الرحمة والعوالم بالنسبة له كلاشئ (ومحوت الاغيار) وهو العرش (بمحيطات أفلاك الانوار) أي بالانوار الشبيهة بالافلاك المحيطة بالعرش وهي تلك الرحمة والحاصل ان رحمته تعالى اي احسانه هو الذي اقتضى وجود العوالم كلها من عرشها الى فرشها ولولا احسانه لها بالوجود ما وجدت فالمراد بالرحمة الرحمة العامة التي وسعت كل شئ (يا من احتجب) أي امتنع (في سرادقات عزه عن أن تدركه الابصار) أي في عزه الشبيه بالسرادقات جمع سرادق بمعنى الخيمة التي تنصب على صحن الدار فالسرادقات الخيام وهو من اضافة المشبه به للمشبه فكما ان الخيمة تمنع من رؤية ما بعدها كذلك عز الله أي قوته العظيمة يمنع عن رؤيته بالابصار ثم ان أريد رؤية الاحاطة فهي ممتنعة في الدنيا والآخرة وان أريد مطلقها فهي ممتنعة في الدنيا واقعة في الآخرة للمؤمنين فعزه تعالى اقتضى حجب ما سواه عن رؤيته فان العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقي اليه وقيل العزيز الذي ضلت العقول في عظمته وحارت الالباب عن ادراك نعته وكلت الالسن عن استيفاء مدحته (يا من تجلى) على قلوب العارفين (بكمال بهائه) أي بمحاسن صفاته اي بصفة جلاله وجماله (فتحققت عظمته) أي كونه ما عظيما عظما لا نهاية له (الاسرار) اي بواطن القلوب (كيف تخفى وانت الظاهر) بذاتك في جميع الاشياء كما يقوله اهل الشهود او بظهور افعالك وتصرفاتك في العالم كما يقول غيرهم (ام كيف تغيب وانت الرقيب) اي المراقب لنا في حركاتنا وسكناتنا (الحاضر) الذي ليس بغائب واتى به لانه لا يلزم من المراقبة الحضور اذ قد تحصل الاحاطة بالغير واحواله بالمكاتبة والمراسلة

غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه) كأنه أشار بهذا الى معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن ورحمانية الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم لله تعالى يقتضي وجود كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة ههنا هي الرحمة العامة التي وسعت كل شئ كما وسع علمه كل شئ في قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش اذ قالوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما ولذلك دخلت تحت مقتضى اسمه الرحمن جميع أسمائه تعالى الايجادية ويفهم من معنى الاستواء القهر والغلبة ومقتضاهما في حق الله تعالى أن لا يكون لغيره وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره فلا جرم لما كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه الذي العوالم كلها في طيه كان العرش غيبا في الرحمانية والعوالم كلها غيب في العرش لانها في طيه فلا ظهور اذا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور التام لله عز وجل * (محقت الآثار بالآثار) كما بين العوالم والعرش (ومحوت الاغيار بمحيطات أفلاك الانوار) كما بين العرش والرحمانية ومحيطات أفلاك الانوار هي أسماء الله الحسنى والله أعلم * (يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الابصار) عزة الله تعالى اقتضت كون كل ما سواه محجوبا عن رؤيته عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل اليه يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي لا يرتقي اليه وهم طمعا في تقديره ولا يسمو الى صمديته فهم قصدا الى تصويره وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار تعظيمه وحارت الالباب دون ادراك نعته وكلت الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وذكر السرادقات مضافة الى عزه واحتجابه فيها مجاز حسن * (يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار) كمال بهائه هو محاسن صفاته وأسمائه فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته أسرار العارفين * (كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر والله الموفق وبه أستعين) هذا كله بين لا اشكال فيه والحمد لله وقد تقدم معناه غير مامرة من كلام المؤلف رحمه الله * قال مؤلف هذا الكتاب وقد نجز بحمد الله ما أردناه وبلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول لنا في ذلك ولا قوة الا بالله وبذلك تبين ما عندي من مسائل الكتاب والله تعالى الهادي الى الصواب وقد تقدم في أول هذا التنبيه أني لم أقصد فيه الا هذا المعنى ولم نلتزم كون

ماذكرناه فيه صحيح المبنى حتى نحتاج الى نصب الادلة والبراهين على ما ادعيناه فيه وانما
سقنا ذلك على سبيل حكاية مذهب من المذاهب وللمحكي له ذلك أن يصححه أو يبطله ان احب
وما وقع فيه من توخي استدلال على مطلب من المطالب فانا في ذلك متبرع فان صح ذلك
الدليل فهو المطلوب وان بطل لم يلزم من بطلانه بطلان المدلول وبقي المذهب قابلا للتصحيح
أو الابطال من غير أن نتوجه على مطالبة بذلك والذى حملني على سلوك هذا السبيل ما فيه
من وجدان السلامة لى من الخطر الذى يتعرض له كل من يتكلم على طريق التصوف
عن لا تحقق له فيه ويدعى صحة ما ينظره بعقله وفهمه وينسب ذلك الى القوم ولعل شيأ
من ذلك لا يصح عنهم فيكون بذلك مفتريا كذابا عليهم ثم فيه من سوء الادب معهم والتقدم
بين أيديهم ما لا يقوم له شئ وعند ذلك يكون الخرس والبكم وذهاب الحس والحركة أولى
به وأحمد عاقبة له لخلاصه بذلك من شر لسانه وبنانه ثم ان ما قصدناه من ذلك لا يمنع من
حصول الفائدة لمن أراده الله تعالى بها ووفقه لها فعلى العبد أن يعمل على خلاص
نفسه ولا يلزمه اتباع مرضاة غيره فقد قيل رضا الناس غاية لا تدرك ونحن نرغب الى من
وقع بين يديه هذا التأليف وظهر له فيه خطأ أو تحريف أن يصلح منه ما القاه مختلا
وأن ينتهج من الاعتذار عنه الطريقة المثلى وان ظهر له أن يضع فى ذلك تأليفا يتضمن
تنبيها وتعريفا فذلك من المذهب الذى يرتضى وعلم يزل من شأن من قد مضى ونحن
نستغفر الله تعالى مما يعلمه منا من التعدى والجراءة فيما تعرضناله من بيان كلام الاولياء
والراسخين من العلماء وتقرير عباراتهم واشاراتهم من غير اطلاع منا على كنهها ولا بصيرة
فيها ونستغفره أيضا مما أقدمنا عليه من اظهار ما ستروه واعلان ما أسروه ونستغفره
أيضا مما وقع منا فيه من ذكر أحوال الاولياء رضي الله عنهم ومقاماتهم وتحريضنا على
سلوك طريقهم المستقيم مع افلاسنا من جميع ذلك وعدم احتظائنا به ونسأله مع ذلك أن
لا يؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعايب التى
يعلمها منا ولا نعلمها أو نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقي منها والتنزه عنها اغترارا منا بحلمه
واستهانة بنظره وعلمه ونرغب اليه جل وعلا أن يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل حوبة
حتى تنقلب أعداؤنا عنا خائبين خاسئين داخرين صاغرين لم ينالوا من تحقق ارادتهم
فينا مطلبا ولم يبلغوا من عدم اسعافه ايانا بما طلبناه منه مأربا وأن يشمل فى ذلك معنا
كل من أمن على هذا الدعاء ممن سمعه وممن دعا لنا بعده من اخواننا المسلمين ونتوسل
اليه فى بلوغ الامل والوصول الى المبتغى الاجل بما انصرفنا به عن تولى كل جحود
وكنود وأخرجنا على يديه من الظلمات الى النور سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين
وامام المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه البررة الاكرمين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا والحمد لله
رب العالمين

وهذا آخر ما تيسر رقمه على هذا
الكتاب المبارك على وجه لطيف
جعله الله خالصا لوجهه الكريم
بمنه وكرمه آمين تم ذلك الشرح
يوم السبت المبارك لثلاث عشرة
ليلة خلت من شهر شوال من
شهور سنة اربع بعد المائتين
والالف من الهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام
على يد افقر العباد الى الله عبد الله
الشرقاوى الخلوتى وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول المتوسل الى الله بالجاه الفاروقى ابراهيم عبد الغفار الدسوقى خادم التصحيح بدار الطباعة اعانه الله على مشاق هذه الصناعة

تم بعون الله واهب الفضل والنعم طبع شرح ابن عباد على متن الحكم وهو احسن شرح يجذب الطباع ويقضى اولوه بكثرة الاطلاع ياخذ بالعقول اخذ ابنة الزرجون حرى بان يكتب بماء العيون مطرز هامشه المتساوى بشرح العلامة ابي حامد الشرقاوى على ذمة الملتجى الى مولاه الغنى الحاج ابي طالب بن عبد الله الميقى بدار الطباعة العامرة ذات التحريرات الباهرة المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظلال من تعطرت بثنائه الافواه وبلغ من كل وصف جميل منتهاه وارث الملوك الاماجد وسلالة السراة الصناديد الجامع بين طارف المجد وتالده والمسند أحاديث الخديوية عن جده ووالده ذى الحلم الذى تستخف لديه الاطواد والمآثر التى لا يفى بها التعداد من ذلل بهمته الصعاب وذلت بعزته الرقاب عزيز الديار المصرية وحامى حوزتها النيلية صاحب المآثر والفخر الجلى جناب الخديوى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على متع الله الوجود بطول وجوده ولا زالت

منهلة على رعاياه سحائب كرمه وجوده وكان طبعه مشمولا بادارة ذى المضاء

والالمعية والفطنة الحاذقة الذكية من هو لصعاب الامور مدنى

سعادة حسين بك حسنى ونظارة من عليه احاسن اخلاقه تثنى

حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة ذى الرأى المسدد

ابى العينين افندى احمد وكان تمام طبعه

وانتهاء نفعه فى شهر رجب الاصم سنة

تسعين والف ومائتين من هجرة سيد

العرب والعجم عليه وعلى آله

افضل الصلاة واتم السلام

مالاح بدر تمام

آمين

تم